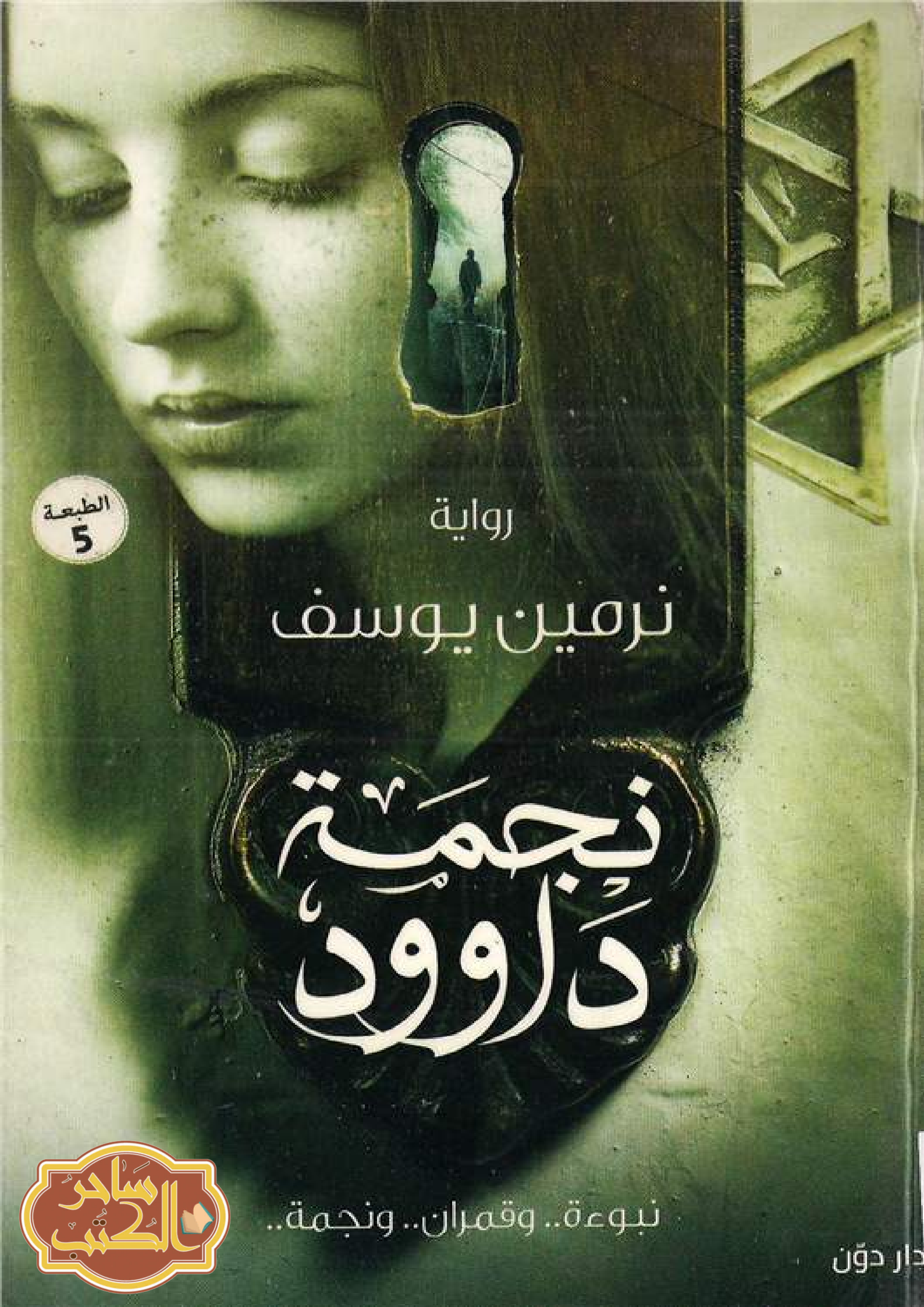
الطبعة
5
رواية
نرمين يوسف
نجمة داوود
نبوءة.. وقمران.. ونجمة..
دار دوّن

ساحر الكتب

نجمة داوود

روايـــــة

نرمين يوسف

دوّن
للنشر و التوزيع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إهداء

«راقيـــــة»

« يوســـــــف»

«مريـــــــم»

«محمـــــد»

ومــــا بينهمــــا

«أنـــــا»

إلينا أهدي هذا العمل.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

"عاليا؛ يا نجمة الحب..

يانجمتي.. لا تنطفئي، لا تنطفئي أبدًا"

داوود

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

(أنا هنا لأكتب نفسي، ولست مسئولة عن قراءتكم لها، إن قرأتم أولم تفعلوا فهو اختياركم الحر، والذي لن يعنيني بالنهاية كثيرًا قدرعنايتي بأن أكتب نفسي الآن وبسرعة، ذلك قبل أن أجلس في قبوٍ أسفل هذا العالم واضعة ساقًا فوق ساق، ومبتسمة؛ ابتسامة ساخرة تعترف بلا جدوى الأشياء -كل الأشياء بالمناسبة- حتى كتابتي لنفسي الآن، تلك التي جاهدت كثيرًا كي أفعلها.)

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

"الرحمة ليست مرتبطة بأفرادٍ ولا جماعات، ولا علاقة لها بأيديولوچيات ولا ديانات، لا جنسيات ولا أصول عِرقية، هي ليست أيضًا معتقدات فكرية أوروحية، الرحمة لا هي تعليم ولا حالات اجتماعية، ليس هناك شكلٌ لتمييزها، فالرحمة هي أن يرق قلبك بعفوية، وانسيابية، لينسجم مع كل ذرة خُلقت في الكون وكأنها قطعة من روحك. "

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم يعد بالإمكان العدول عن تلك الرحلة، فأنتِ بالفعل داخل الطائرة، تربطين حزام الأمان وتجلسين مستقرة، مغمضة العينين، تتأملين السحب -ولا التباس فيما أقول- فالسحب التي أعنيها هنا ليست تلك التي تتهادى في سيرها بالفضاء الواسع حيث تسبحين من فوق مقعدك المصفوف بعناية داخل الطائرة التي ترتادينها، بل تلك السحب التي تتهاوى متلاحقة في سماء رأسك الصغير، وأنتِ فقط تتأملين تواردها وتتابعينها غير آبهةٍ بالاصطدام الداخلي الناتج عن سرعتها الوهمية في الاندفاع.

على متن هذه الطائرة كل شخص منشغل بحاله، غير مبالٍ بالآخرين، كل التوق كان للانفلات من عبء اللحظة -الزمن- والتحرر من قيده، والتخلص من ثقوبه التي حفرها في القلوب، لم يكن أحدهم يفكر في آخر، بل لا أحد يفكر في غير نفسه، كانت القوة تكمن في الصبر على وقت الرحلة حتى تحين لحظة الوصول، لأن المغادرة وترك الرحلة كان يعد دربًا من المستحيل، من بين كل هذا، كان السؤال الملح عليك، إلى أين تمضي بكِ تلك الرحلة؟

عَلِقت الطائرة لبعض الوقت قبل أن تتحرك، ظل الركاب في انتظار تحسن الأحوال الجوية، بعضهم كان منزعجًا من سوء الخدمة في شركة الخطوط الجوية لأنها لم تقدِّر مدى ملاءمة الأجواء لميعاد الرحلة وإعلام الركاب قبل إنهاء كل الإجراءات في المطار.

كنتِ في انتظار تحركها، بل كنتم جميعًا، لم يكن لأحد منكم رغبة في شيء سوى الخروج من تلك الأزمة، لم يكن سوى رغبة وحيدة لجميعكم وهي أن تتحركوا وتتجاوزوا تعليق أرواحكم بين الحركة والسكون، تتجاوزوا الثبات لتنتقلوا إلى التغيير، تتجاوزوا الانتظار لمرحلة حدوث شيء، أي شيء.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنتِ تعرفين أنهم لم يرغبوا يومًا بوجودك فكان لابد من السفر، بل إن هذه الخطوة قد تأخرت كثيرًا وكان عليكِ أن تضعي قدميك في مهب التحرك والانتقال من بينهم منذ أمدٍ بعيد، لكنكِ كنتِ عنيدة، وإصرارك الدائم على وجودك بينهم هو ما أخر حِراكك كل هذه السنوات، أيضًا لم يكن بإمكانك تركهم دون أن يتوفر لديكِ من الأسباب الكافية للقيام بفعل كهذا، أعلم كم كنتِ تحبين وجودهم، وكم كنتِ تتوقين للاستمرار في حياتك معهم، لكن رفضهم الدائم كان لابد له من رد فعل مساوٍ له في المقدار، فمن الجنون أن تلتحمي بهم وهم يلفظونك ومن السخف أن تقرري إنجاب طفلك عندهم، إن آخرما فكرتِ به هو ما تفعلينه الآن، وهو أن تنأي بحياتك بعيدًا عنهم نهائيًا وأبدًا إنقاذًا لما تبقى من إنسانيتك المهدَرة فوق أسفلت قسوتهم وصلفهم.

طائرة كبيرة ذات جسم عريض هي كل ما يصلك بعالمهم، أما عالمك فمليء بالطيران من دون طائرات، مليء بالخفة من دون أثقال، بعالمهم؛ أنتِ داخل الطائرة وأثقل من الهواء، أما في عالمك فأنتِ والهواء خليط متجانس، بل أنتِ الهواء.

الطائرة؛ تلك الآلة التي تشدك للحكي وتربطك برباط متين بالحكاية، ما علاقتها القوية بكِ؟ بل ما علاقتها بحكايتك؟ ما شأن هؤلاء الركاب؟ وما الذي يمثله معنى كلمة «آلة» بالنسبة لك؟

آلة؛ تعرفين جيدًا مدى وقع هذه المفردة على أذنيك بل ربما تدركين ما هو أبعد من ذلك، فأنتِ تعرفين كيف تقودك الآلات إلى أسرار وحكايات لم تكوني تُلقين لها بالًا، كيف كانت مجرد «آلة» صغيرة سببًا لكل ما كان وربما ما سيكون؟ ما الذي سيحدث لو دار الحظ دورته كاملة واستهدفك أنتِ دونًا عن نساء العالمين لتحظي بنبوءة؟ يا لها من مزحة! ولكن ماذا لو كانت كل حقيقة هي بالأصل مزحة وسخيفة أيضًا، دعينا نشاهد الحكاية

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كقاطعي تذاكر مسرح يجلسون في الصف الأول، ولتدعِي القدر يقوم بعمله وليكن ما يكون.

تحبين تلك الرائحة التي تملأ أنفك وربما أنها تسده، لكن ما مصدرها؟ لقد امتلأت الطائرة برائحة البخور وهل هذا معقولٌ؟ هل يشعلون البخور على متن الطائرات؟ إنه لأمر غريب حقًا! وتلك الشجرة؛ ماذا لو أن أوراقها الداكنة لا تخضر؟ ماذا لو أنها لا تثمر أبدًا؟ ماذا لو كانت كل فصول العام التي تمر عليها «خريف» فقط؟ وهذا القط الذي يرقد هناك؛ أيتركونه هكذا على متن طائرة في قلب السماء؟ من المتعارف عليه أن للقطط إعدادات خاصة لكي تنتقل من بلد إلى بلد في طائرة، إن ما يحدث في هذه الطائرة غير معقول بالمرة. انظري أيضًا هناك في أول الطائرة إنها امرأة عجوز شديدة الجاذبية تبتسم ابتسامة رائقة، وأنت تضحكين لها وتهمسين: يا لك من جدة شقية أما كفاك ما فعلتيه بنا؟

أما ذلك الممر الطويل الممتد بطول مقصورة الركاب يشبه ماذا؟ دائما ما شعرت أن طريقك ليس طريقًا واسعًا له اتجاهات عديدة ولم يكن أيضًا بالطريق المفتوح بل كان دائمًا طريقك ذلك الممر الضيق ذا الاتجاه الواحد.

كنتِ نائمة على مقعدك في الطائرة تودين لو أنه ما أيقظك أحد، كنت مصرة على إخفاء عينيكِ السوداوين خلف جفونك المرتخية، حيث تطبقين رموشك على المنطقة أعلى خديكِ ومن فوقهما جبهتك الحنطية ينسدل فوقها شعرك الأسود الكثيف، ملامحك الدقيقة المتألمة وأنتِ نائمة توجعني.

أيقظك اهتزاز الرجل الذي يجلس في الكرسي المجاور على الجانب الآخر -السيد «دال»- يضع السماعات بأذنيه ويهتز معها جسمه وهو جالس في مكانه دليلًا على سماعه للموسيقى، فإن اهتزازه من الخارج

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يعدُّ إشارةً إلى اهتزازِه من الداخل أيضًا، فما يربطنا بالموسيقى أوبالرقص، بالفن أوحتى بالجنس، ليس إلا تلك الأحاسيس ذات الاهتزازات الخفية التي تترك أثرها الواضح بنفوسنا قبل أجسادنا، إنَّ تلك الاهتزازات بمثابة طاقة تجعل الروح تتحرك وأنتِ ككائنٍ حيٍّ لا يلائمكِ فعل السكون بل تلائمكِ الحركة التي تتركها فيك أيٌّ من تلك الأفعال السابقة، فالسكون يلائم الموتي أكثر، أما الأحياء فقد خُلقت الموسيقى لبعث أجسادهم كلما أصابها موتٌ جزئيٌّ.

إن الموسيقى تجعلكِ تودين لو أن بإمكانك حفر نفقٍ تحت الأرض، تتمنين لو أنك ظللت تحفرين وتحفرين أعوامًا حتى تبتعدي بموسيقاك الداخلية عن صخب حروبهم، تودِّين لو أنكِ عبرتِ إلى تلك البلاد البعيدة التي لا تحدها حدودٌ شمالية ولا شرقية، لا جنوبية ولا غربية، إنها بلاد مفتوحة الأبواب ومفتوحة القلب على عوالمٍ عديدةٍ.

تلك البلاد التي لا يحلم سكانها بالجنَّة لأنهم يخلقونها كل ثانية، والتي لا يملك سكانها عيونًا، نعم فالعيون مؤذية؛ إن العيون سبب التمييز والعنصرية والحروب، لقد كرهتِ الحروب، أعرف ذلك وكرهتِ العيون أيضًا، تودين لو زحفتِ فوق بطنك حتى تصلي إلى تلك البلاد ثم أفرغتِ كل الحقائب فلا تعودي تسافرين.

ولكن ألن تسافري إلى الماضي؟ ألن تأخذك الذكرى من يدك لتجرك إلى حديثكما معًا؟ إلى وقع كلمات داوود فيكِ ووقع صوته في بدنك وروحك سواء؟ ربما يختفي صوت داوود للحظات ويظل صوت معتز صديق داوود، لكن؛ ما الذي يقوله معتز هذا؟

- كل ما هو غير مألوف ولم تتعودي عليه، كل ما لم يرد في الثقافة السائدة في مجتمعك، فاعلمي أنه صادم.

قال ذلك حين كان يقوم بتنفيذ وصية داوود والتي تختصرها تلك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الكلمات التي وجدتيها في بطاقته الشخصية:

Organ Donor

«I Would like to help someone to live after my death»

حينها صرختِ:

-إن ما تعنيه الكلمات في تلك البطاقة صادم. فردَّ عليك معتز الرد السابق. بكيت يومها كما لم تبكي في عمرك كله، وما كان يقطع بكاءك سوى اسم داوود، ملامح داوود، صوته، كل ماله صلة به من قريب أو بعيد، ويبقى صوته؛ الصوت الذي ظل يتردد بداخلك برغم فراقه، هناك أشخاص بحياتنا لا يموتون أبدًا، يأبى حضورهم أن يُقتل بالموت، كان أحد هؤلاء.. داوود.

لم يكن بينك وبين داوود ذلك الحب من النوع المتعارف عليه بين البشر، بل كان كل شيء مختلفًا ونادرًا، فريدًا، بل غريبًا أحيانًا.

كنت تصرخين فيه بعصاب وأنتِ مغمضة العينين:

-هل تتذكر لون عيني؟

وكان يضحك من فعلتك المجنونة ثم يغمركِ بقبلاته على جفنيكِ المغمضين ولا يجيب.

ماذا لو أن ما سافرتِ للبحث عنه ليس على الجانب الآخر؟ هل ستقطعين تلك المسافة الطويلة بلا جدوى؟ ماذا لو وجدتِ داوود مقتولًا بالفعل؟ لابد من مواصلة السير، إن التوقف في منتصف الرحلة بمثابة موت، أن تَعْلَقي بين البداية والنهاية ليس بالشيء الجيد على أية حال ولذا فلا سبيل للتراجع ولا مفر من استكمال الرحلة.

الصمت كان صديقك المقرب أثناء الصعود، ويبقى السؤال؛ هل ما يظهر على ملامحك الهادئة هو بالفعل ما يدور داخل عقلك؟ هل تحديقك للنجوم في السماء هو بصدق كل ما كنتِ تفعلينه؟هل الصمت كان حقيقة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ما بقلبك؟ أم أن الحوارالذي يشتعل بداخلك كان نقيضًا لأي صمت، لقد خلقتِ شخوصًا في عقلك، ابتكرت أشياء وألوانا، بنيت ذاكرة جديدة وخلقتِ مواقف، خلقتِ حوارات وأسئلة لا تنتهي.

هي المرة الأولى في عمرك التي تركبين فيها طائرةً، ربما؛ وربما أنك ركبت الطائرة مرات ومرات، هنا تتأرجحين في الفضاء، تغوصين في المجهول، ثمة صوتٌ يقترب من أذنك، ثمة يدٌ تربت على كتفك، تفتحين عينيك، ثمة امرأة بشبه ابتسامة يبدو أنها المضيفة يتضح لك ذلك من ملابسها وابتسامتها الحيادية، تطلب منك التأكد من ربط الحزام.

– سيدتي أرجو التأكد فقط من حزام الأمان.

– تفضلي.

تتفقد الحزام ثم تشكرك وتكرر فعلتها مع الشخص الجالس بجوارك، السيد «راء» والذي يبدو للوهلة الأولى قارئًا جيدًا منهمكًا في عالمه الموازي فبيده كتاب ويرتدي نظارة، ولم يلتفت لحظة للمضيفة، بل رفع ذراعيه فقط لتتأكد هي بمجرد النظر أنه أحكم إغلاق حزام الأمان، ثم تنصرف إلى الكرسي المجاور بعد أن استيقظتِ أنتِ من غفوتك وبدأتِ في محاولة استيعاب الحدث الذي فاجأتِ نفسك به، لقد كان عنادك لأول مرة مجديًا، يصب في مصلحتك لا العكس كما كان الحال سابقًا.

تعتدلين في جلستك يستنفرك بكاء طفلٍ في الخلف، وتتداخل بعض أصوات الركاب لتقطع نفاذ طنين الهواء لأغشية أذنيك الداخلية وتشاركه تحطيمه إياها بثبات، تتجول عيناك في الحيزِ الذي يرتفع بك فوق العالم مع حفنة من البشر لا يربطك بهم سوى مصيرٌ واحدٌ في حالة وقوع الطائرة، ومسارٌ واحدٌ حال وصولها سالمة، وجوهٌ مألوفةٌ لديك، فقد رأيت بشرًا بعددٍ هائل، هم في العادة لا يختلفون كثيرًا، يتصرفون وفق عاداتٍ وطباعٍ وقناعاتٍ مختلفةٍ لكنهم جميعًا يشتركون في الجمود لا ينقصهم سوى أن تتساوى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

آذانهم في كبر الحجم نتيجة لاحتراف الكذب وتوفر هرمونات الغباء، تكاد ملامحهم تتشابك فيغدون وكأن جميعهم شخصٌ واحدٌ، لا تستطيعين تمييز الأنوف والأفواه والآذان والعيون فالكل لا يعدو سوى بعض الأصوات المتداخلة، ولكنك تختلفين بالتأكيد؛ أنتِ السيدة الجالسة أمامي في المقعد المقابل، الوحيدة التي يستطيع ذو الفطرة الخالصة تمييز ملامحها من بينهم، أنتِ السيدة الجميلة في أواخر الثلاثينيات، السيدة «عين».

تفيقين بلمسة خفيفة على كتفك من ذلك الشخص الجالس بجوارك في الطائرة الذي يدعى «راء» ليجعلك تستيقظين حيث يريد أن يعبر لدخول الحمام، تقومين من مكانك وما إن يمر حتى تعاودي الجلوس، ولكنك تعذلين جلستك مفرودة الظهر فتمرين أمام عيني بما يكفي لتعويض الوقت الذي استسلمتِ فيه للنوم، وهل تسمين هذا نومًا؟ لقد كنت أجلس معكِ، لحظة بلحظة، ولكن في عالم آخر، عالمك أنتِ، ذلك الذي صنعتِه والآن تغادرين كل ما فيه دون أدنى أسف.

ها أنتِ عاليا أم أناديكِ تاليا؟ هل تذكرين ذلك الاسم؟ أخشى أن تكوني نسيت.

ها أنت تعودين لحياتي من جديد لتخلطي لي الحاضر بالذكرى في مزيج عميق لا أستطيع من خلاله متابعة الزمن وملاحقة دقات الساعة.

قلت لك سابقًا وها أنا أكررها: قلبك وحده؛ وفقط إذا تخلص من هواجسه، الوحيد القادر على إقناعك بمواجهة الحياة، وعلى قهر الخوف بل وضربه في مقتل، انتظريني في أحلامك فـ«أرسطو» يقول: إن الروح تستغل الأحلام للتركيز على ما تريد، وأنا سآتي لك بكل ما تريدين، سأحمل لك أثناء نومك كل ما تمنيتِه، وحين تستيقظين ستجدينني معك في مواجهتهم، لا تأبهين لهم فهم لا يأبهون لك، إن ما يعنيهم فقط شرحك لذاتك المتعبة، والتي توازي ذواتهم المتألمة أيضًا، لذلك اطرديهم خارج

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دوائرك جميعها، تخلّ عنهم، واحبسيهم في حجرة بعيدة، ثم ألقي بمفتاحها في نهر، واستمتعي بحياتك من دونهم، اصرخي هناك على الشاطئ، واجعلي الموج يرد لك صوتك، اسمعي رجع صوتك، اسمعيني عاليا، احرقيهم في ذاكرتك بنسيناهم، وانفضي عنهم رماد الحرق فمن لم يستحق حبك لا يستحق كرهك أيضًا، فالكره معناه مساحة قد شُغلت بالقلب كما قرأتِ لكاتبتك المفضلة، وهؤلاء الذين منعوا مشاعرك الطيبة من القدرة على حبهم لا يستحقوا أن يحتلوا مكانًا، ولو بالكره، لا يستحقون منزلة ولو كانت حقيرة، فمن الأجدر بك أن تنسيهم تمامًا، وأن تجعلي منهم لا شيء في ذاكرتك.

تنتبهين مرَّةً أخرى فورعودة ذلك الراكب جارك الذي قام منذ قليل لدخول الحمام، هاهو قد جلس وضبط وضعية نظارته ثم استعاد الكتاب الذي كان بيده وأخذ يقرأ كما كان يفعل منذ صعوده للطائرة، وجلست أنت تتأملينه في فضولٍ غريبٍ وكأنَّك تريدين أن تتحسسي ملامح وجهه ونظارته تلك، لتتأكدي من وجوده أو تتأكدي من وجودك استدلالًا بوجوده.

أخذتِ بعدها تسألين نفسك أسئلةً كثيرةً، لماذا تشعرين أنَّك في مرحلة الانطفاء؟

تلك التي تحدث عند الموت أو لنقل النوم؟ إنها المرحلة التي تشعرين فيها بالجمود، تشعرين بالتوقف، توقف الجسد والقلب، وجمود كل خلاياك الحية، وثباتها وكأنَّها في حالة بياتٍ شتويٍّ، في حالة غياب، وأنت لا تدرين إن كان غيابًا مؤقتًا أم أبديًا دائمًا، كلّ ما تدركينه أنَّ شيئًا ما انتزعك، وكلّ ما يحدث في هذه المرحلة من حياتك هو نتاجٌ جزئيٌّ لهذا الانتزاع، كلّ ما يحدث هو هدرٌ مقصودٌ ومرتبٌ لتلك المرحلة، ليسهل تمريرها بين مراحل عمرك الطويل.

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

مزامير داوود (١)

«داوود؛ رهانك الأعمى، ورغبتك المحمومة، حلمك الواعي، وحضورك الغائب» كان مجرد تذكر الاسم يجعل الدماء تتدفق في أوردتك، ماذا لو كان داوود يسري فيها بدلًا من دمائك، لقد كان من المستحيل لرجل مثل داوود أن يحبَّ حبًّا عميقًا، لقد كان يخشى الحب لأنه يعرف أنه وإن أحب فسيبذل كل عمره في سبيل هذا الحب، لذا كان يتجنبه قدر المستطاع، كنت تشعرين وهو معكِ أنه أبٌ وليس حبيبًا، داوود هو ذلك الشخص المنضبط الذي سرى انضباطه على كل شيء، حتى الحب، يتذكر التواريخ بدقة ويقيس درجة الاهتمام بدرجة التزام كل طرف نحو الآخر ومدى مسئولية كل طرف نحو الآخر، لم يكن داوود ذلك الشخص الذي ينسى أبدًا بل يتذكر كل التفاصيل».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١-

إبريل ٢٠١٠

كان الحب مقصلةً تلتهم رقاب كرات الدم الحمراء بداخل جسدك، فيسير الدم من وإلى قلبك بدون أدمغة، كل كرات الدم الحمراء فقدت رؤوسَها في تجربةِ عشقٍ.. أوموتٍ.

هكذا بدأت تكتبين، كانت تلك العبارة نقطة البدء التي انطلق منها شخوصك بادئين في التحرك، آسفة؛ أقصد هكذا بدأت تحكين حكايتك.

ففي إحدى المصحَّات النفسية، وفي إحدى جلسات العلاج الجماعي، كان الجو مشمسًا على غير عادته في هذا الوقت في إسبانيا، وكنت تجلسين مع بعض المرضى في حديقة المصحة في حلقة تشبه حلقات الذِّكر عندنا بمصر، ولكن الفرق أن أرضيتكم هناك لم تكن أرضية أحد المساجد، بل كنتم تجلسون على مقاعد وثيرة تلامس العشب ويحيطكم الأخضر ممتزجًا بزرقة السماء.

بدأ طبيبكم بتعريف أفراد الحلقة لبعضهم البعض، كنتم سبعة أشخاص بوجود الطبيب «بارت»، ذلك الشاب الثلاثيني الأشقر ذو الملامح الغربية، وبعد أن تمت عملية تعريفكم ببعض وقبل أن تبدأوا الحديث استأذن الطبيب وانصرف، ثم عاد بعد عشر دقائق ومعه شاب أشقر آخر، يبدو عليه أنه في نفس المرحلة العمرية للطبيب «بارت» أوأكبر قليلًا، عرَّفه إليكم وجعله ينضم إلى الجلسة قائلًا:

– هذا«چاكوب»؛ صديقكم الجديد من أمريكا، والذي سينضم إلى جلساتنا من اليوم.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رحبتم بـ "چاكوب» بإيماءات خفيفة وابتسامات محبطة تسللت من بين تعبيرات وجوهِكم المرهَقة.

. وهنا بدأ الطبيب الجلسة مشيرًا لكِ بأن تبدأي الحديث، وقد بدأتِه قائلة:

– كان الحب مقصلةً تلتهم رقاب كرات الدم الحمراء بداخل جسدي، فيسير الدم من وإلى قلبي بدون أدمغة، كل كرات الدم الحمراء فقدت رؤوسَها في تجربةِ عشقٍ.. أوموتٍ.

قاطعك الطبيب بارت:

– فقط قدمي اعترافك.

ترددتِ قليلًا، ثم قلتِ:

– أعترف لكم؛ لقد قتلت داوود.

ردَّ الطبيب:

– لماذا قتلتِه؟

فأجبتِه:

– إنه ثقل الروح.

تساءل:

– كيف؟

– هذا بالفعل هو السؤال الأهم؛ كيف؟

. أجبته واستطردتِ:

– هل شعرت يومًا أنَّ لاعبَ مصارعةٍ محترفًا يجثو فوق روحك في لحظة نشوةٍ بانتصاره؟ هل شعرت يومًا كيف يكون شعورك وأنت بين أربعة جدرانٍ مفصلةٍ بحجم جسدك تمامًا لا تزيد ولا تنقص ولوبضعة سنتيمترات؟

وتنهدتِ مستطردةً:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- إن ثقلت الروح على صاحبها فلا مفر له سوى الراحة الأبدية.

قال الطبيب «بارت»:

- اشرحي لنا.

- القتل أن تغمد غيابك في صدر حنيني، قلت له كثيرًا -داوود- ولم يصدقني، هو قتلني أولًا.

- كيف؟ نريد أن نعرف أكثر.

- كان ذلك في نهارٍ شتويٍّ يشبه هذا النهار، قتلته واسترحت من كل شيء إلى الأبد، لِمَ تتعجبون؟ نعم؛ أحببته بجنون، وقتلته بنفس الجنون، لاشيء جديد في فكرة القتل، كلنا منذ البداية أبرمنا العقد مع الموت، رحبنا بوجوده بيننا، وقبلنا به، فنحن نولد ونبدأ في التعرف للأشياء من حولنا وتكون أولى تلك الأشياء هي حقيقة الموت، إننا بمجرد أن نولد نأخذ رقمًا في كشف المواليد في الحياة، ورقمًا آخر في قائمة الانتظار الـ«وايتنج»، تلك التي يتولى شأنها ملك الموت، وخلال رحلة الانتظار التي نسميها مجازًا -الحياة- نشاهد موت غيرنا، موت أحدهم الذي كنا نحبه ولا نتوقع وجود حياة بعد رحيله، ذلك الأحدهم الذي ما إن مات حتى نتجاوز موته ثم نتجاوز هذا التجاوز فنتعود الفقد، ثم نتجاوز هذا التعود فنبدأ بتمنى الموت لنا أولغيرنا حتى نُرحم من عذاب الانتظار، ثم نتجاوز التمني فنَبدأ بممارسة القتل أوالانتحار بشكلٍ يوميٍّ منتظمٍ حتى ولو كان ذلك القتل معنويًا.

- كيف قتلتِ داوود؟

- وضعت له السم في حساء الـ«سي فود».

- ماذا شعرت حينها؟

- شعرت بأنني أنتصرت على الموت، قتلته بيدي وتخلصت من عناء الانتظار، فلم أعد انتظر ذلك اليوم -الذي كان سيأتي حتمًا-

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ليأخذه الموت على غير رضا مني، لقد سلمته للموت بيدي وبكامل إرادتي.

– تكلمي بحرية عاليا.. اشرحي كيف أتممتِ جريمتك؟

– فقط لا تقل جريمة

نهرتِه، ثم بدأتِ تحكين:

– بعد أنْ بدأ ابن داوود يتحرك داخل أحشائي، شعرت أنَّ ثمة شيء خطير سيحدث، فقد كان قلبي غير مطمئنٍ ألبتة، مرت شهور الحمل كأنها سنواتٌ، وحين آن وقت ولادته كنت متيقنة تمامًا أن ما انتظرته سوف يحدث، فحين أنجبته أخبرني الطبيب أن قلب مولودي به ثقبٌ كبيرٌ وأنه آخذٌ في الاتساع مما سيجعل قلبه يتوقف عن العمل بعد عدة أشهرٍ، ثم يموت، ليس فقط؛ بل إنه من أجل إنقاذ حياته لابد وأن يزرع مكان قلبه قلبًا طبيعيًا وليس صناعيًا وهذا ما عجز عن تفسيره الطبيب حيث قال لي:

– إنَّ شيئًا غريبًا يحدث في جينات طفلك سيدتي فيمنع جسمه من قبول قلبٍ صناعيٍّ، بل إنَّه حتى ذلك القلب الطبيعي الذي سينقذه لابد وأن يكونَ ذا مواصفاتٍ خاصةٍ جدًا، وهذا ما لا أفهمه ولم يمر عليَّ خلال سنوات عملي في عمليات زراعة القلب منذ أكثر من عشرين عامًا، إن قلب طفلك سيدتي أكبر حجمًا من قلوب الأطفال وهو مرتبطٌ بشكلٍ أوبآخر بروحه ولكي يعمل القلب الجديد المزروع لابد وأن يؤخذ من شخصٍ كان ملتصقًا بعلاقةٍ روحيةٍ قويةٍ بطفلك.

وقتها لم أقو على سماع كلمات الطبيب كاملة فصرخت:

– إذن خذ قلبي أنا، لن يكون أحدًا ملتصقًا بعلاقة روحية بأحدٍ قدر علاقة أم بابنها.

– ولكنك سيدتي مازلت على قيد الحياة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– وما فائدة حياتي إذن، إن كانت بدون ابني.

– بالطبع أقدر حالتك ولكن هل تعرفين معنى أن آخذ قلبك وأزرعه مكان قلب طفلك؟ معنى ذلك أن تدفعي حياتك ثمنًا لحياة هذا الطفل، وهذه جريمة لا أستطيع ارتكابها أومجرد المشاركة فيها.

وكما رأيتم؛ لم يكن أمامي إلا أن أقتل داوود عقابًا له على خيانته، وإنقاذًا لابنه من الموت، كانت كل الطرق تودي بي لقتل داوود فلم يكن هناك بُدٌّ من أن أفعل ذلك.

هكذا همستِ لنفسك في حين باغتك الطبيب بارت بسؤاله لكِ:

– عاليا.. هل أحببت داوود؟

فأجبتِه شاردة:

– أيَّ داوودٍ فيهم؟

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٢-

نوفمبر ١٩٩٧

كئيمة الخريف كان الطقس سيئ المزاج، وكنت أنتِ وصديقتك صفية تهرولان في ذلك الشارع الطويل الذي يصل بيت جدتك لأمك بكلية الآداب في نهايته، كان الشارع مليئًا بالأشجار العتيقة والتي تتساقط أوراقها مصدرة حفيفًا خفيفًا لا يسمعه العاديون، تخفي صوته قوة صوت الرياح، ولكنك كنت تسمعينه جيدًا، لأنه الصوت الذي كنت تصغين إليه في لياليك الطويلة حين كانت تجتاح رياح الخريف شارعكم في مثل هذا الوقت تحديدًا من كل عام، أما تلك الشجرة فقد كانت أهم وأجمل الأشجار في شارعكم، تلك الشجرة العتيدة، المنتصبة في شموخ أمام منزل عائلتك، الشجرة التي تملك أسرارًا وحكايات أبعد مما يملك رأسك ذو العشرين عامًا، وتلك الأرجوحة المطاطية المتهالكة -بفعل الرطوبة والحر الشديد وبعض عوامل التعرية- المعلَّقة بجذعيِّ الشجرة لازال وجودها يحكي لك الكثير عن طفولتك الدافئة في هذا المكان حيث بكارة الأشياء والناس، ذلك قبل أن تطال الجمالَ يدُ القبحِ وقبل أن يتطاول الشرُّ على روحِ الخيرِ في هذا العالم.

تسحبين صفية من يدها، وتديرين رأسك نحو بوابة المنزل تدلفانه مسرعتين، هاربتين من الجو الغاضب، فتصعدان الدرج المظلم وثمة إضاءة من النيون تصدر ومضاتٍ متقطعةً ليس بخلًا منها بل ربما حكمةً وفطنةً إلى مغزى الحياة، لتجعلك تدركين أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الحياة لن تضيء إضاءة كاملة أبدًا، ولن تمنحك ذلك النور الصافي الذي تبغين، لكنها وفي الوقت نفسه لن تبخل عليك بومضات نورانية متقطعة بين الحين والحين، تبتسمين احتفاءً باكتشافاتك الصغيرة، وباستقبالك الخفيِّ لكل العلامات التي ترسلها الأشياء من حولك، ويجوب كفك البارد بحقيبتك بحثًا عن المفتاح؛ وما إن تفتحي الباب حتى تنبعث رائحةٌ قويةٌ من أعواد البخور تلك التي تشعلها جدتك دائمًا، تلجين وصفية البيت المعبأ بأشكالٍ هلاميةٍ كوَّنها دخان البخور، ثم تنادين جدتك فلا يجيبك سوى مواء القط ذي الفراء البيج الجالس في الصالة على سجادة ذات نقوش عثمانية، وهي سجادةٌ جميلةٌ لها رائحةٌ تاريخيةٌ ولكنها حميميةٌ، سجادةٌ هي المعنى الأنقى للدفء، ليست مجرد سجادةٍ عاديةٍ في صالة منزلٍ، ولكنها ذكرياتٌ وأعمارٌ وأصواتٌ وروائح، هي أشخاص هنا، وآخرون رحلوا لكن ضحكاتهم ما زالت هنا، هي ليال مليئةٌ بالكثير من الحكايات، ونهارات كان يسلِّيك فيها خيطٌ من الشمس ينفذ عبر النافذة فيُحرِّك ذرات الغبار صانعًا خطًّا أفقيًّا طالما لعبت به وشكَّلت منه أشكالًا عديدةً وأنت طفلة، ذلك حين كنت تنتظرين عودة أمك من عملها في بيت جدتك إلى أن كبرتِ وانتقلتِ برغبتك للعيش مع جدتك بعد وفاة جدك وكثرة الخلافات بين والديك.

دخلت الجدة وبعد أن احتضنتك واحتضنت صفية قالت:

- صباح الخير عاليا، صباح الخير صفية، ورددتما:

- صباح الخير جدتي.

جلستْ الجدةُ على الأريكةِ في أحد أركان الصالة، وأخذت ترتب كرات الصوف والإبر لتُكمل شالًا أرجوانيًّا كانت قد بدأت تغزله لتوِّها، وكان يعلو الأريكة لوحة مزخرفة على هيئة غزالة أم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وابنها يسيران في غابة كثيفة الأشجار، وبدأتِ الكلام مداعبة جدتك:

– يالها من معجزةٍ كونيةٍ، مالي أرى قمرًا يسطع في وضح النهار، وردَّت هي باسمة:

– بل المعجزة الحقيقية وجود شمسين منيرتين في نهارٍ واحدٍ، ثم استطردتْ:

– قولا لي ... ما الذي أتى بكما مبكرًا هكذا من الجامعة؟ ألم تحضرا محاضرتكما؟ وأجابتها صفية:

– بل حضرناها ولكن ألغيت محاضرتان لعدم حضور الدكتور المحاضر اليوم، فقالت الجدة:

– ولكني لم أنتهِ من تجهيز الغداء بعد.

ردَّت صفية:

– غداء! لقد تناولنا إفطارنا للتو، وأكملتِ أنتِ:

– إن صفية جاءت معي لا لتتناول الغداء، ولكن كي تطمئن على مستقبلها.

ثم تبعتِ جملتك بضحكة ساخرة.

وردَّت الجدة مستفهمة:

– مستقبلها؟ وأسرعتِ تشرحين لها:

– نعم؛ فقد جاءت معي لتلعب تلك اللعبة القديمة التي أخرجتيها من دولاب جدي، وقلت لي أنها تتنبأ بما سيحدث في المستقبل، لقد حكيتُ لها عنها وقد شغفها الأمر، وأصرت أن تلعبها معك اليوم جدتي.

– آه منك عاليا، يا لك من طفلة شقية، ألا يستطيع المرء أن يأتمنك على سرٍّ أبدًا؟

– أنت تعرفين يا جدتي أنني لا أخفي سرًّا على صفية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- أعرف يا حبيبتي وصفية هي ابنتي مثلك تمامًا.

وهنا قالت صفية:

- هلا حكيت لنا يا جدتي ما حكاية هذه اللعبة؟ ومن أين جئت بها؟ وهل تتنبأ بالمستقبل بالفعل؟

وهنا ضحكت الجدة ضحكة رائقة ثم قالت:

- بالطبع؛ هي تتنبأ بالمستقبل فقد أخبرتني عن أشياء أزال أتعجب حدوثها إلى الآن، فكيف لي ألّا أؤمن بتنبؤها بالمستقبل؟ أما من أين جئت بها؟ فهذا سؤال كررته كثيرًا في حياة جدك لأعرف من أين أتى بها؟ ومازلت أكرره عليه كلما زارني في منامٍ، ولكنه لم يجبني إلى الآن ، ربما حكى لي يوما ما في أحد المنامات.

أثارت كلمات جدتك ضحككِ أنتِ وصفية، لكنك أشرتِ لها أن تكتم ضحكتها وتخفيها حتى لا تثير غضب جدتك، ثم حاولت تمالك نفسك أنتِ الأخرى واستجمعت الكلمات التي هربت مع ضحكاتك لتقولي:

- إذن هيا يا جدتي فلتأتينا بتلك اللعبة، ودعينا نجربها معك.

قامت الجدة من على الأريكة، وسارت بخطواتٍ بطيئةٍ تتناسب وسنوات عمرها التي انسلت من بين يديها متجهة إلى حجرة نومها، دخلت الحجرة وفتحت دولابًا بدا أنّه لجدك، وأحضرت تلك الآلة التي كانت ترقد بالدولاب مع أشيائه الثمينة وبعض ملابسه التي مازالت تحتفظ بها بعد موته، تنهدت جدتك تنهيدةً حزينةً فعطر زوجها يخرج من فواحةٍ معلقةٍ بضلفة الدولاب، كلما فتحته ينتشر العطر في أرجاء المكان، ثم أغلقت الدولاب ومسحت دمعةً طفرت من إحدى عينيها، وحملت الآلة وخرجت بها إليكما، فأخذتما تتأملانها بشغفٍ ودهشةٍ وعيناكما تلمعان من فرط الانبهار.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت الآلة على هيئة مثلثين متداخلين أحدهما رأسه لأعلى والآخر رأسه لأسفل، وتعتمد آلية اللعب في تلك الآلة على أن المثلث العلوي يتحرك فوق السفلي مع ارتباطه به عن طريق مِفصَّلة يمثلها مسمارٌ متحركٌ في المنتصف، يتقاطع المثلث العلوي مع المثلث السفلي في تلك المنطقة المحيطة بالمسمار المتحرك، ويحيط التقاطع ستة رؤوسٍ يصنع كل منها مثلثًا صغيرًا، وتحوي رؤوس المثلثات ستة أرقام، يحمل المثلث العلوي منها ثلاثة والسفلي ثلاثة أيضًا، أما العلوي فيحمل الأرقام الفردية (١-٣-٥) وأما السفلي فيحمل أرقامًا زوجية (٢-٤-٦)، وعند دوران أحد المثلثين تتلاقى رؤوسُهما تسع مرات كالآتي: (١-٢)، (١-٤)، (١-٦) (٣-٢)، (٣-٤)، (٣-٦) (٥-٢)، (٥-٤)،(٥-٦).

تجلس جدتك مرة أخرى على الأريكة وتتأمل ملامح وجهيكما حين شاهدتما تلك الآلة ومدى تدقيقكما في أدنى تفاصيلها، وعلى وجهها ابتسامة حانية، إلى أن وقعت عيناكِ على عينيها، فبدأتْ الكلام ولم تزل الابتسامة فوق شفتيها:

- هل أشرح لكما كيف تعمل الآلة؟ أم أعطيكما مزيدًا من الوقت لتفغرا ثغريكما أكثر؟

- لنبدأ اللعب يا جدتي.

ردت صفية.

- من سيبدأ اللعب؟

قلتِ أنتِ، وردت جدتك:

- سأشرح لكما أولًا كيف تعمل تلك الآلة، ثم استطردت:

- يبدأ عمل الآلة حين يطلب منها العمل ذلك الشخص الذي يريدها أن تتنبأ له بما سيحدث في مستقبله، ويكون طلبه هذا عن طريق

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وضع بصمة إبهامه على الدائرة تلك المثبت بها المسمار المتحرك في منتصف هذين المثلثين المتداخلين، وقتها ستصدر اللعبة صوتًا مثل ضغطات الآلة الكاتبة أوذلك الاختراع الجديد الذي تكتبون عليه أيضًا الذي يسمى الكمبيوتر، فردت صفية:

- لوحة المفاتيح تقصدين يا جدتي.

وهنا نظرت الجدة نظرة حادة ذات مغزى لصفية، فنكزتها أنتِ لتكف عن مقاطعتها حتى لا تثير غضبها، ثم استرسلت الجدة:

- هذه الآلة تعمل يدويًا لا دخل لها بالتقنيات الحديثة، فهي ترجع لعصور قديمة، ليست كألعاب السحر التي اخترعها الأمريكان اليوم تلك التي يستطيع أن يلعب بها الصغار، بل هي حقيقية تنتمي لعهود البدء، لبدايات الخلق والتكوين، ولذلك عليكما أن تكونا حريصتين في التعامل معها إلى أقصى درجة ممكنة، ولنكن أكثر جدية؛ فهذا الشيء اسمه آلة والآلة بكل تأكيد ليست بلعبة.

ثم سكتت جدتك هنيهة وأردفت:

- في البدء يا ابنتاي خُلِق الجمال، والقبح، خُلِق الخير، والشر، خُلِق العدل، والظلم.

ثم سكتت مرة أخرى، ولكنها مرة أطول من سابقتها، وعادت تتكلم بعد تنهيدة طويلة حزينة:

- العالم مكان قاسٍ يا ابنتاي وما من حلٍّ لذلك، وهنا قاطعتها صفية:

- وما دخل قسوة العالم بعمل الآلة يا جد د د د ... تقطعت كلمات صفية إلى أن سكتت تمامًا حين نظرتِ إليها وأنتِ تمسحين بكفيك على وجهك من أعلى لأسفل وتنفخين من فِعلتها ثم ساد صمت.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٣ -

قطع الصمت صوت جرس الباب فقمت مسرعة من مكانك لتجدي العم إبراهيم حارس العقار:

- صباح الخير، كيف حالك يا عاليا يا ابنتي؟

- بخير يا عم إبراهيم ... أي خدمة أستطيع أن أفعلها من أجلك؟

- لا شيء؛ فقط أردت أن أعطيكِ هذا، ومد يده إليك بإيصال كهرباء.

وبينما تنظرين للإيصال سألك:

- هل تحتاجين شيئًا آخر؟

- أشكرك يا عم إبراهيم، فقط أرسل (راجح) مساءً ليجلب لي بعض الطلبات.

- العفو يا ابنتي، سأبلِّغه فورًا.

وانصرف الرجل الذي قطع عليكِ خيط أفكارك، لكنَّكِ سرعان ما التقطِه مرة أخرى ورجعتِ لتستقري في جلستك، وتستدعي شخوصك للبدء في الظهور من جديد، وبالفعل أطلُّوا من جهاز الـ«لاب توب» الذي يرقد في سكون فوق المكتب.

حين ذهبتِ أنتِ عاليا لجدتك لتعطيها الإيصال، ملتِ عليها وهمستِ لها بشيء مما جعلها تبتسم وأشارت لك أن تجلسي، ونظرتْ لصفية نظرة تهديد فهمت صفية مغزاها على الفورفوضعت يدها على فمها في إشارة منها أنها ستكف عن الكلام تمامًا ثم أخذت الجدة تتحدث من جديد:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

حين تصدر الآلة ذلك الصوت الذي يشبه صوت الطرق على لوحة المفاتيح في جهاز الكمبيوتر يبدأ المثلث العلوي بالدوران فوق المثلث السفلي تسع دورات، ثماني دوراتٍ منهم كاملة، أي بمعدل زاوية ثلاثمائة وستون درجة في كل دورة، وستلاحظان أن كل ما بالآلة يتعلق بالهندسة بداية من شكلها إلى كل تفاصيل عملها، ويجب أن يكون صاحب طلب النبوءة مُعلِّقًا كل تركيزه بالمثلث العلوي، حتى إذا ما أتم الدورة الثامنة كاملة وهمَّ بالبدء في التاسعة فليتدخل صاحب النبوءة ويدير المثلث بيده من مركز الدائرة المفترضة وهو نفس الزر الذي ضغط عليه بإبهامه في البداية، وهذه الدورة التاسعة لا تكون كاملةً أبدًا، فالآلة تتوقف عن الدوران تمامًا في منتصف أوربع أوثلاثة أرباع تلك الدورة التاسعة، بحيث يتطابق المثلثان العلوي مع السفلي، وبحسب الرقم الفردي الذي يتطابق من المثلث العلوي مع الرقم ستة في المثلث السفلي تخبرنا الآلة بجزء من النبوءة فمثلًا (١-٦) (٣-٦) (٥-٦)، وهكذا يكرر صاحب النبوءة ما سبق إلى أن تكتمل نبوءته باكتمال تلاقي الأرقام (١-٣-٥) مع الرقم(٦).

أكملت جدتك جملتها وأخذت تسعل مما جعلها تسكت قليلًا، فيما تسمَّرتِ أنتِ وصفية مكانكما وما زالت عيناكما مثبتتين على الآلة، ثم أخذت الجدة تواصل كلامها مجددًا:

- عند تلاقي كل رقم من الأرقام الفردية (١-٣-٥) مع الرقم (٦) تصدر الآلة في كل مرة نفس صوت النقر على لوحة المفاتيح، ولا يميز معنى هذا النقر إلا صاحب الآلة ومالكها في هذا الوقت وتتعرف الآلة على صاحبها هذا من رائحة جلده التي تميزها من أول مرة يستعملها فيها، فصوت النقرات الذي يسمعه صاحب النبوءة هو في حقيقة الأمر كلمات تلقيها الآلة في أذن مالكها الذي تميزه من بين الحاضرين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جميعًا كما ذكرت لكم من رائحة جلده، وتلك الكلمات هي التي ينقلها المالك حرفيًا لصاحب النبوءة حتى ولو لم يفهم منها حرفًا لكن تلك الكلمات هي الأمانة التي يجب أن تصل لصاحبها بأيِّ شكلٍ.

– إذن ستخبرك أنتِ الآلة بالنبوءة يا جدتي؟

كان سؤالك لجدتك عاليا، وأجابتكِ:

– نعم يا ابنتي.

– وكيف ستميز الآلة رائحتك يا جدتي وسط رائحة البخور الكثيفة التي يعج بها البيت؟

سألت صفية وهي تبتسم نصف ابتسامة ملئها السخرية، مما أثار غضب الجدة فقالت في عصبية:

– علها تخطؤني وتذهب إليك أنتِ وتخبرك بالنبوءة، ولكن عساك ألا تصرخين فزعة من الرعب.

. تراجعت صفية في كرسيها ونظرت حولها لتخفي حرجها ثم صمتت تمامًا، كل هذا وأنتِ عاليا في عالم غير العالم فحدقتا عينيك مثبتتين على الآلة ولا يتحرك لك جفن ثم قلتِ:

– هلا بدأنا جدتي.

– نظرت جدتك إلى صفية فحوَّلت صفية نظرتها إلى سقف المنزل، ثم إلى الأرض محاولة الإفلات من نظرتها، ثم تحدثت الجدة:

– هيا يا ابنتي فلنبدأ بصفية.

هنا صرخت صفية:

– لا.

ثم أردفت:

– أعتقد أن عاليا متلهفة أكثر مني.

فأجابتها الجدة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ولكن عاليا قالت منذ قليل إنكما جئتما من أجل الاطمئنان على مستقبلك أنتِ يا صفية.

ثم وجهت كلامها إليكِ وسألتك:

- أليس ذلك صحيح ياعاليا؟

فرددتِ ومازال الوجوم يملؤك:

- صحيحٌ جدتي ولكنه صحيحٌ أيضًا أنني الآن التي تتلهف لمعرفة النبوءة أكثر من صفية.

نظرت الجدة إليكِ ثم قامت من مكانها وسارت على مهلٍ إلى باب المطبخ، أطفأت بعض أعواد البخور التي كانت تتوسط مبخرة نحاسية صغيرة، ثم قامت بإغلاق النوافذ ما عدا نافذة تطل منها بعض وريقات من الشجرة الكبيرة المنتصبة أمام المنزل، قامت بمواربتها وسمحت لخيطٍ من خيوط الشمس أن ينفذ من خلالها، ثم عادت وجلست مكانها وقرَّبت الآلة منها وقالت لكِ بصوت خفيض:

- هيا ابدأي يا ابنتي، أتعرفين ما ستفعلينه؟

أومأت برأسك بالإيجاب، ثم اقتربتِ منها فوضعتْ الآلة على منضدة دائرية صغيرة وقالت:

- اقتربي أكثر.

فاقتربتِ؛ وهنا همست لكِ:

- هيا يا ابنتي ضعي إبهامك.

وبيد مرتعشة قمت بوضع إبهامك فوق الزر وضغطتِ ضغطًا خفيفًا فأصدرت الآلة على الفور صوت نقراتٍ سريعةٍ مما جعلك ترجعين للخلف فزعًا، فنظرت جدتك إليك نظرةً حانيةً مشجعةً وهمست:

- هيا حبيبتي لا تخافي، ما من شيءٍ يدعو للخوف، هيا ابدأي بلف المثلث العلوي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

مددتِ يدك ولكن أكثر ثقةً هذه المرة، وأدرتِ المثلث الذي أخذ في الدوران ثماني دوراتٍ كاملةٍ وفي كل مرة كانت تزيد سرعته عن سابقتها وكنتِ شديدة التركيز، حتى وصل المثلث لدورته التاسعة، فمددت يدك مرة أخرى وقمت بلفه وبالفعل لم تكتمل دورته التاسعة لنهايتها، فقد توقف الرقم (٣) في المثلث العلوي على الرقم (٦) وهنا أصدرت الآلة صوت النقرات مرة أخرى ولكنها أبطأ من سابقتها، وقتها نظرتِ إلى جدتك فوجدتِها مغمضة العينين تكسو ملامحها حالة من الخشوع كأنها تدعو أو تصلي.

بعد لحظات قليلة فتحت الجدة عينيها وبدأت تتحدث إليكِ:

- إن آلهة الخير بالعالم القديم قد أرسلوا روح إحداهن مع رياح الشمال لتحل بك عاليا، ستحملين روحها لتتحركين بها، وستتحرك بداخلك، لترثين كل صفاتها: جمالها، إخلاصها وبحثها الدءوب عن الحب، سيحل الخير أينما حللتِ، وستفيض روحك بچينات الخير التي ستسكبها فيكِ لتحمَلي وتنجبي ابنًا ينقذ البشر من الشر المتأصل بالعالم ويخلصه منه للأبد، سيأتي هذا الطفل من رجل ستحبينه بشده وسيفعل هو أيضًا، سيكون لك نصيب من المعنى الذي يحمله اسمك، ابحثي عنه.

ثم سكتت الجدة وهنا قالت صفية:

- فقط؛ هذا ما أخبرتك به يا جدتي.

- نعم يا ابنتي ثم نظرتْ إليك عاليا وقالت:

- دعينا نكمل ما بدأناه حبيبتي، هيا أديري المثلث العلوي مرة أخرى.

كررتِ ما فعلتيه في المرة السابقة وأنت أكثر شوقًا وشغفًا لسماع باقي أجزاء النبوءة وبعد أن انتهيتِ قالت الجدة:

- ستقابلين رجلًا يجمع بين رجاحة العقل ووسامة الوجه،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ممتلىء عن آخره بچينات الخير التي حلت به من إله الخير بالعالم القديم، ولأن الشر أصيل يا ابنتي فروح رجلك مُزقت أزلًا، انشطرت إلى جزءين حلًا برجلين، فرجلك حبيبتي انقسم إلى اثنين وتوزعت كل صفاته بالتساوي عليهما: رجاحة العقل، وسامة الوجه وحتى مقدار حبهما لك، سيحبك كلاهما بنفس المقدار، لكن شيئًا واحدًا سيختلف فچينات الخير التي تحملها روح رجلك أبت أن تتوزع بين الجسدين، ولكن بتأثير قوة الرياح الشديدة تكتّل جزءٌ صغيرٌ من هذه الچينات وذهبت لأحد الرجلين بينما اجتمعت باقي چينات الخير عند الآخر، هذا الآخر هو الذي ستنجبين منه ابنك الذي سيحمل الخير للعالم ويخلصه من نزاعاته وشره.

- ولماذا لا أقابل هذا الآخر الذي سأنجب منه فقط؟ لِمَ يجب عليَّ أن أقابل شخصًا وأقع بحبه بما أنني أعرف مسبقًا أنّا سنفترق؟

- إنه قدرٌ يا ابنتي، النبوءة تقول لابد أن تجمعي أشلاء روح الرجل التي انقسمت منذ الأزل، لتجمعي بذاخلك كل چينات الخير التي تفرقت مع تمزق روحه وما أدراكِ ما الروح يا ابنتي؟ إن البشر منذ أقدم العصور عبدوا الشمس والقمر والسماء والأرض، بحثوا عن الرب في كل مكان ونسوا المعجزة السارية بداخلهم، الروح يا ابنتي، الروح هي ربٌّ صغيرٌ بداخل كل إنسان. فما بال من تمزقت روحه؟ إن السبيل الوحيد لجمع أشلاء روح رجلك الممزقة هو أن تقابلي الرجلين وتعيشي قصة حب حقيقية مع كل منهما، ولكن اعلمي أنكِ لن تنجبي إلا من ذلك الذي يمدك فيهما بچينات الخير الأكثر، وإن ضاع منك أحدهما لن تجدي الحب ما حييتِ.

سكتت الجدة وكررتِ أنتِ ما فعلتيه للمرة الثالثة، لكن شيءٌ خفيٌّ كان يحول دون شغفك، أو يحوِّل استمتاعك إلى شعورٍ بالمسئولية

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ناحية النبوءة وكأنها حقيقة لا مفرَّ منها، وبعد أن انتهيت استرسلت الجدة:

- أما عن روح ابنك؛ فهي ترقد أزلًا في تابوتٍ نادرٍ من الأبنوس والسدر مطعَّم بالذهب والفضة والعاج، هو نفس التابوت الذي انطلقت منه روح أبيه، ولن تتحرر روحه لتحمَلي به وتُنجبيه إلا إذا أحببتِ أباه أكثر من أي شيء وشخص وعقيدة، فشرط خروج روح ابنك المحبوسة هو أن تحبي لأقصى درجات الحب وأن تسامحي لأقصى درجات التسامح وأن تتحدَّي الكراهية والعنف والقيم العفنة التي يورِّثاهم، ليس بداخل نفسك فقط بل في عالمك، في مجتمعك وفي كل مكان تخطو إليه قدماك.

- إذن؛ لن أنجب إلا إذا فعلت شيئًا خارقًا لكل ما هو عادي.

- ليس فقط يا ابنتي، بل إن فعلت شيئًا خارقًا للعادي وداعمًا للخير المطلق غير المحدود بعِرقٍ ولا عقيدةٍ ولا انتماءٍ، الخير من أجل الخير فقط، إنَّ بكاءك النابع من حبك الصادق سيملأ النهر وإذا امتلأ النهر من دموعك الصافية ستتحرر روح ابنك وهذه هي الطريقة الوحيدة لتحرير روحه الملحقة بتابوت أبيه، ابنك الذي سيحمل رسالة إصلاح حال العالم وتخليصه من العنف والعنصرية، من الكراهية والتعصب وينشر چيناته في دماء كل البشر.

وما إن أتممت الجدة جملتها حتى صاحت صفية ساخرة:

- أبشري يا عاليا سوف تنجبين نيلسون مانديلا.

وهنا بدأتِ الضحك ولم تستطيعي أن تكتمي صوتك العالي فأخذت جدتك تنظر إليكما شذرًا.

❊ ❊ ❊

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- ٤ -

ديسمبر ٢٠٠٧

داوود؛ ذاك الرجل الأربعيني، يحار في وصفه القلم، ولن تنصفه الكلمات أبدًا، كانت قامته أطول منك بعض الشيء، ذو بشرة حنطية مقاربة لبشرتك لكنك كنت أفتح منه قليلًا، صامتٌ أغلب الوقت وما كان يعوض صمته، وضوح نظرته وعيناه الباسمتان المريحتان، فضلًا عن أنه إذا تكلم خرج منه الكلام مرتبًا، هادئًا، رقيقًا كمعزوفةٍ ناعمةٍ، وغالبًا ما يتخلل حديثه كلمةٌ موجعةٌ، مستفزةٌ يضرب بها بمطرقٍ من قسوةٍ فوق مشاعرك الهشة، ليرى تحول ملامحك من الهدوء إلى الانفعال بفعل استفزازه المتعمد، ثم يبتسم، لتؤكد لك ابتسامته الساحرة أنه فقط يداعبك فتستعيدي هدوءك كاملًا، جذَّابٌ جاذبيةً لا حد لها، وهو يدرك حجم جاذبيته، لذا كان ذا ثقةٍ مفرطةٍ في نفسه، وكان أيضًا من الذكاء أن يستغل جاذبيته تلك، شعر داوود متوسط الطول تتخلله بعض الشعرات البيضاء، يملك شاربًا ولحيةً خفيفةً فيما يعرف بـ«ديرتي لوك»، وكان مما يزيد جاذبيته ووسامته أنفه المعقوف، ذلك الأنف الروماني المستقيم الذي لا تشوبه شائبة مع انتهائه بطرفٍ متعرجٍ، أما شفتاه البارزتان فكانتا تشبها شفتيك إلى حدٍّ كبيرٍ حاليا وكانت تلك الشامة فوق حاجبه الأيسر من أهم ما يميز ملامحه.

أنت بالفعل تتذكرين جيدًا وقع تلك الرسالة التي أرسلها لك داوود بعد غياب ثلاثة أيام، وكيف حلت البهجة محل الكآبة التي عشتِها خلال اثنتين وسبعين ساعة، فقد كنت مستلقاةً على فراشك، ورغبتك منعدمة في كلِّ شخصٍ وشيءٍ وفعلٍ حتى أعلن الـ "لاب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

توب» عن تلقّي رسالة في «إنبوكس»، فانتفضتِ بقوة من على السرير وحين وجدتِها رسالة منه تحول عبوسك وعَقد حاجبيكِ إلى انفراجة من شفتيك، واسترخاءٍ كاملٍ لكلِّ عضلات وجهك الذي وإن دلَّ فيدلُّ على ارتياح مبرَّرٍ، وسببه بالطبع رسالة داوود التي كانت كالآتي:

شريكتي عاليًا:

ليس الحب تلك الجزيرة المملوءة بالورود بقلب المحيط ذي الأمواج العاتية، وأنتِ هناك تحتسين مشروبك الدافئ على أرجوحتكِ الشبكية، غير مبالية بارتفاع الموج خارج حدود جزيرتك، لا؛ ليس الحب كذلك، لكنه تلك الصخرة المستقرة أسفل الجبل حيث يمكنك الصعود فوقها لمواصلة التسلق، أو الاستناد إليها إلتماسًا لبعض الراحة، أوالاختباء خلفها ظنًّا منكِ أنكِ هاهنا أكثر أمانًا، ستختبئين عمرك جميعه، أومعظمه دون أن تنتبهي أنكِ لم تسلمي من القلق الذي سيدمر ما تبقى من خلايا عقلك، نعم، عزيزتي عاليا، إن القلق سيكون بشأن متى ستنقض عليكِ تلك الصخرة وتسقط فوق رأسك كحيوان مفترس جائع لم يتناول طعامه لأسبوعين متواصلين؟ ستتحسسين عمرك في كل لحظة، ماضيك وحاضرك خشية ألّا تحظين بمستقبلٍ لهما، وستتفقدين رأسك من آنٍ لآخر، خوفًا من الارتطام وحجم الأثر الذي سيتركه سقوط تلك الصخرة فوقه.

هل تعرفين ما الحب؟ الحب هو ذلك الخوف الفطري، الغير مسبب بداخلك منذ خلقتِ، والذي يتحول لهاجسٍ يحمل سببًا وهدفًا واضحين -قطعًا يتعلقان بالحبيب-الحب هو تلك الصخرة التي تختبئين خلفها وتحتمين بها ومع ذلك تنتظرين ارتطامها برأسك محطمة إياه في أية لحظة.

أتمنى ألا تعيشي على أمل استنزاف عمرك في الحب معتقدة أنك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تستثمرينه، فالحب مخاطرة، الحب سيطبّق عليك قانون «لكل فعل رد فعل»، وأحيانًا قانون «النسبية»، وبالطبع قانون «الجاذبية».

شريكتي:

الحبُ مرضٌ عنيفٌ يعبث بعقلك وجسدك معًا، يعبث بقناعاتك وغرائزك، سيظل الحب ينهش قطعًا من لحم رأسك الصغير الذي أعشقه، حتى توقني أن الحب والوهم توءم، لكن؛ فيم يهم إن كنت تؤمنين أنَّ العمر بالأساس وهمٌ؟ الحب كالزمن لا وجود له إلَّا في مخيلتك فقط، لذا أريدك أن تبصري حقيقة الأمر لتفتحي المجال لجلاء الحجب التي تعوق رؤيتك ومن ثَمَّ تتفتح عيناكِ على آفاقٍ رحبةٍ، جديدةٍ وأنا على يقين بأنَّ اختيارك الحر سيتحمل راضيًا تبعات كل ما ستكتشفينه في رحلتك.

داوود

لقد كانت رسالة داوود ردًّا -استغرق فيه وقتًا أطول من المعتاد- على رسالة أرسلتيها له تحدثينه عن حبكِ له وكيف أنكِ فقط لا تحتاجين سوى ذاكرة إضافية، لتحملي بها كل تفاصيل حبك إلى عالمكِ الآخر فيما يبدو أنك كنت تعلمين أن عمر أحدكما القصير لن يسعفه بمستقبل حافل مع حبِّه الوحيد، والمستحيل أيضًا وها هي رسالتكِ السابقة:

شريكي داوود:

لن أبدو مندهشة حين تخلف موعدك الأول، ولن أبكي حين تفاجئني بأن اليوم هو الأكثر انشغالًا، فلن تمكث سوى بضعة ساعات معي ولا تلبث أن تغادرني مهرولًا، ولن أنزعج حين أتصل بك فلا ترد، ولن أتوقع بالأكيد أن تتصل أنت، ماذا إذن؟ ما الذي أريده منك؟ هل أبحث جادة عن سبب آخر للألم ليضاف إلى قائمة أسباب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تعاستي؟ أم أنني بالفعل أدركت ما تقوله عني، وهو أني طفلة لم تتعدَّ الثلاث السنوات، فتركتُ لك بكامل وعيي مهمة إنضاجي وإضافة صفر إلى تلك السنوات الثلاث فتصبح ثلاثينًا، ومزيدٌ من النضج يحتاج فقط إلى مزيدٍ من الألم.

هل هذا ما أردته؟ أم أنني أحبك بالفعل؟ والحب لن يحتاج لكل هذه الأسئلة فهو الفعل الوحيد غير المبرر في حياتنا ليس لأننا لا نريد أن نجد له سببًا بل لأننا لا نعرف، ومع ذلك فعدم تبريره هو ما يخلق منطقيته.

إذن أنا أحبك، ولا أحتاج لذلك أسبابًا، فقط أحبك، وأهمس بها لنفسي:

- أ.ح.ب.ك.

وأكرِّرها مراتٍ كثيرةٍ:

- أ.ح. ب.ك.

ثم أتألم فأحبك وأحبك فأتألم، وأخلق من ألمي سببًا لأحبك، وأخلق من حبك سببًا لتحمُّلي الألم فأدور في دوامةٍ من حبك والألم، وأتوه بين الألم وحبك إلى أن أسقط مغشيًّا عليَّ في حبك أسمع من حولي ينادونني ولا أستطيع الرد، يعقد لساني الألم، وأغفو على حبك وأفيق على الألم، وأسأل نفسي هل أحبك أم أعشق الألم؟ وأمتلئ بك فتفيض نفسي بالألم، وأتشبع بالألم فأعيد اكتشاف حبك.

لا شيء الآن يبهرني غير الألم فهو يأتي كلَّ يومٍ بشكلٍ مختلفٍ، يكسر قيودي ويحرِّرني من كل ما هو عادي، ولا شيء يمنحني متعة اختلاس نفسي من صخب ذلك العادي لتخلو إلى صفاء الألم سوى حبك، إذن الأمر ببساطةٍ هو إني:

- أ.ح.ب.ك.

هكذا همست لنفسي في جلستي الأسبوعية للتأمل حيث كان كل تركيزي منصبًّا على ملامحك، كنت أغوص في تفاصيلها فأسافر من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خلالك إلى عوالم لم تطأها روحي من قبل، وأستمتع بتجلي حبك فيَّ لأتلذذ بشفافية الألم، وأمتزج بحبك فألتمس ذاتي في الألم، وأفرط في الألم فأفنى في حبك، ثم أهمس:

- أ.ح.ب.ك.

وأفقدالألم فيجدني حبك ويعيدني من جديد فأتألم وأحبك، وأنغمس في ضجيج الاستسلام فيعتقني السكون النابع من حِدَّة الرفض، وحين أذهب لحياتي الأولى يرافقني حبك وحين أموت لن يتخلى عني الألم.

وها أنتَ يا مَن أحبك؛ تقف هناك على نفس المسافة التي يقف الألم منِّي، تأكل من روحي وتغذِّيها في آنٍ، تقترب فلا تكون قريبًا، وتبتعد لا لتكون بعيدًا، تنتصب هامتك معلنةً وجودك على عتبات اليقين، وروحك هناك معلقة في غياهب الشك، ها أنت بنفس القدر الذي أشتهيه وأتقيأه، حقيقةٌ سرمديةٌ وخيالٌ هلاميٌّ ولكن تبقى في النهاية أنت من أحببت.

لا أحتاج مبرِّرًا للعشق، فقد امتلأت ذاكرتي بأسبابٍ وهميةٍ لكلِّ شيءٍ، أريد التخلص من الأسباب، ومن كل ما هو عاديٍ جامد، لكم هو سخيفٌ، عقيمٌ، ذلك العادي، يعبث في حياتنا بكل لؤم ويملأ ذاكرتنا بفراغٍ سطحيٍّ، غير عابئ بأنه لابد أن يترك لنا جزءًا صغيرًا لنملأه بالعمقِ، ذلك الذي لا نراه ولا نلمسه، ولكنه يظل إيقاعًا ينظِّم ضربات قلوبنا دون أن ندري، وأنت إيقاعي المنتظم فهل تسمع؟ بل أنت حِصَّتي من العمق، أفرغتك كلك فيَّ فتشبعت بك، ولم أعد أحتاج إلا أن أنسخ حبك والألم في ذاكرة إضافية، لأحملكما إلى عالمي الجديد حين أسافر.

عاليا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٥-

لم أدرك مقدار حبك لداوود إلا حين رأيت ذلك التحول الذي أصابك عند استلام رسالته برغم أنَّ محتوى الرسالة لم يكن ليكفي ملء جنبات شوقك المتعطشة بالحنين، إلا أنك طرتِ بها وقررتِ أن تردِّي برسالة كانت توافق حالتك النفسية بل والصحية أيضًا وقتها فقد كنتِ تعبةً، روحك مرهقةٌ وجسدك هزيلٌ، وذلك بسبب العديد من الأسئلة التي كانت تنخر فيكِ بلا إجابات شافية لقد كان من العبث حقًا أن أتوقع منكِ رسالة غير تلك التي كتبتِها.

شريكي داوود:

أفهم جيدًا كيف يكون الحب توءم الوهم بل وتوءم الموت أحيانًا، أعرف أنك لم تقصد أبدًا إهانة مشاعري الصافية على حافة كبريائك، وأعرف أيضًا أنَّ أيَّ قرارٌ سأتخذه بشأن الابتعاد عنك والتخلي عن حبي هو قرارٌ منسيٌّ فوق رف حنيني؛ أنت تعلم أنني امرأة صوفية المذهب إلى أبعد مدى وأنَّ الاستغناء هو ما دربت نفسي عليه حتى صار أهم دروسي التي تعلمتها وحفظتها عن ظهر قلب من هذه الحياة، تعلم أيضًا أنني أطحت ببشرٍ كثيرين وكأنهم لم يدخلوا حياتي يومًا، تعلم كل هذا وأجدك متحيرًا تتساءل كيف لامرأة من هذا النوع أن تذوب في العشق كطفلة في مراحل حياتها الأولى من التعلق بالأشياء والأشخاص؟ أجدك تتساءل، كيف أنسى الجميع ولا أتذكر سواك؟

إن عالمي ممتلئ أفرغته من أجلك، لم أُبقِ على أحدٍ ولا على شيءٍ فلم أشأ أن يشغلني عنك شاغلٌ، وكيف يشغلني عنك غيرك وأنت تملأ كياني وتتوغل في نفسي؟ لتقل إني شئت أن أستمتع بالعشق وحدي دون أن يشتت انتباه حواسي ومشاعري عنك لذةٌ أوألمٌ أوشبعٌ أوحتى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مجرد تشويش طاقةٍ بعواملٍ خارجيةٍ، أردت وبكامل قواي العاطفية وبكل إرادتي أن أستمتع بمشاعري نحوك بتركيزٍ صافٍ بدرجة مائة بالمائة لأظل محاطة بك وحدك، يشبعني فقط جوعي إليك، لك أن تعرف أنّي لا أنام بسبب الأسئلة، وأحاورك كل ليلة لتجيب أسئلتي ولا ألوم إجاباتك العبثية، فرأسي الصغير لا يحتمل الأسئلة ولا الإجابات ويظل يدور ويدور حول نفسه لا يهدأ أبدًا فبالأمس كنت أسألك:

- لِمَ تبدو السماء بعيدة؟

ولَمْ تُجبني وأخذت تضحك.

فأخذت أكرر سؤالي:

- لماذا السماء بعيدة؟

وحين رددت قلت كلامًا غريبًا:

-لأن الزرع أخضر، ولأن لدينا الدولاب نحفظ به الأشخاص الذين رحلوا، والروائح، وربما بعض الملابس، لأن البحر أزرق، ولأن قلبك شفّافٌ، يحتاج إلى الكثير من البطانات القاتمة ليخفي ما بداخله.

ثمَّ وجهتَ سؤالك لي:

- وهل تعرفين لماذا البحر أزرق؟

فأجبتك بالنفي، فقلت لي:

-بل تعرفين.

- نعم، أعرف.

وتنهدت ثم استطردت:

-البحر أزرق لأن الشرفة خالية من الزرع، ولأن حقيبتي لا تحوي أدوات التجميل والتليفون المحمول كسائر السيدات، ولأنك لم تُجب على الهاتف حين كنت أحتاجك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تضحك وتقول:

- ليس فقط.

ثم تكمل:

-لأن القطار لا ينتظر أحدًا، ولأن الملائكة يدعون ربهم أن يجعلهم يدونون مشاعرهم مثلنا، هم يريدون امتلاك مدونات ولكن ربهم يرفض أن يستجيب حتى لا تتجرأ عليه الملائكة ذلك أنَّ التدوين يورث الجرأة، وحين يسألونه عن سبب الرفض فيقول لهم، لأن السماء بعيدةٌ، فتسأل الملائكة، ولماذا السماء بعيدة؟

أبتسم، ثم أهمهم بصوتٍ خفيضٍ:

-إذن؛ فالملائكة تسأل نفس سؤالي.

ثم أستطرد:

- وبماذا يجيبهم الرب؟

فتجيب أنت:

- إنَّ الربَّ لا يفسر كلماته للمخلوقات، لابدَّ أن نبذل الجهد في التفكير والبحث إلى أن نعرف ماذا يقصد الرب بكلماته، وماذا يريد منا أن نكون، وعليه فالملائكة كلها تتساءل وتشتري الكتب وتقرأ وتناقش حتى يعرفوا ما السبب الذي جعل السماء بعيدة و....

أقاطعك لأسألك:

- وهل وصلت الملائكة لشيء؟

فتومئ برأسك بالإثبات ثم تقول:

- نعم وصلوا إلى أن السماء زرقاء، والسحاب أبيض والعمر قصير والحياة مثل القطار تمامًا لا تنتظر أحدًا.

فأتساءل بحزنٍ واضح:

- ولماذا العمر قصير؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فتجيب بابتسامة تقتلني:

- يجوز لأنك لم تغسلي الأطباق اليوم، أو ربَّما لأنَّكِ لم تكملي الكوفية التي تصنعينها، أو لأنَّكِ لاتشتاقين إليَّ.

فأجيب على الفور:

- إذن أنا وحدي مركز الكون، ثم أبتسم وأستطرد:

- لكنك تعلم جيدًا أنني أشتاق إليك ثم أهمس:

- وحدك.

ثم أستطرد بتغنج واضح:

- لكنك رجلٌ سيءٌ وطفلٌ مشاغبٌ فلا أستطيع نشر الغسيل وأنت معي، ولا أستطيع الصلاة في وجودك، ثم إنك لا تراقصني في عيد ميلادي، ولا تقبِّلني بضمير ولا تضمني إلا بعد طلب رسميٍّ أتقدم به للهيئة المسئولة عن قلبك التي تختفي هناك في ركنٍ مظلم في قاع عقلك، إنك أيضًا لا تسقي الزرع بالرغم أنِّي قد حذرتك ألَّا تفعل فقلت لك، إنَّ النبات يحب الماء، ربما الصبار مثلي لا يحبه كثيرًا ولا يطلبه لكنك لا تجود حتى بالقليل من الماء وتمنعه عنه تمامًا فتجعله يموت و...

فتقاطعني:

- وهل تعرفين لماذا يموت الزرع؟

وتستطرد:

- لأن العصافير تطير بعيدًا في السماء.

وتصمت برهة كأنك تتذكر شيئًا، ثم تقول بصوت متقطع مع وقفة لمدة ثانية بعد كل كلمة:

- لكن ... لماذا... السماء... بعيدة؟

أبتسم وأقول:

- لأن الملائكة انشغلت بالقراءة والبحث على «جوجل» ولأنني كلما حاولت الاقتراب من بابك لنتناول قهوتنا الصباحية معًا وجدت القفل الصديء عليه فأعود مرة أخرى لأشرب قهوتي وحيدة.

عاليا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٦-

إيزيس

كيف أصفك حبيبتي؟ أنتِ التي تأنين فيؤلمني أنينك، مَنْ أغضبكِ إلى هذا الحد؟ ما الذي جعلك تتأوهين في نومك هكذا وتعضين على شفتيك المكتنزتين المرسومتين بعناية كمن تكتمين ألمًا رهيبًا وتختزنين حزنًا ملء السنين؟

أنتِ؛ أيتها الفتاة النائمة في أحلام اليقظة، والسيدة المتيقظة في أحلام النوم، الطفلة البريئة، الجريئةوالهشة جدًّا في مواجهة الحياة بما يكفي للتحديق في عيونهم مباشرةً حين تحدثينهم، والعجوز المخضرمة، الصلبة جدًّا، والحييَّة بما يكفي لحبس نفسها في حجرتها لمدة عام بمنتهى الصرامة لتفادي الوقوع في شرك الحب.

أتأملُكِ الآن في صمتٍ غير حزين، بل صمتٌ متفاخرٌ بكِ وبفعلتكِ تلك، صمتٌ تتسع معه حدقتا عيناي وتختفي ملامحي وتعتصر البهجة قلبي حتى يكاد ينفرط كعقدٍ لؤلؤيٍّ ترتطم حباته بالأرض ارتطامًا ناعمًا، فيحتقن وجهي لا من الفزع، بل من الدهشة وتذرف روحي دموع الاطمئنان بعد خوف، نعم عاليا؛ فقد كنت أخشى ألَّا تفعلي وأتمزق بظلمهم لكِ عمري كله، لكنَّكِ حطمتِ سائر توقعاتي وهجرتِهم وحملتِني معك إلى عالم من صنيعك، عالمٌ طالما تمنيته لكِ بل ورسمت فيه كل اللوحات التي تستحقين أن تُرسم من أجلك.

كيف أصفك حبيبتي؟ أنتِ الغنوة الهادئة ذات الإيقاع البطيء تلك التي تجعل من يسمعها يُرخي كل أعضاء جسده، فلا تلبث أن تفاجئه بعلو إيقاعها تدريجيًّا يظل يعلو ويعلو، ليأخذه إلى جبالٍ شاهقةٍ وسماواتٍ واسعةٍ، ويُطيِّره وسط زخم سحبٍ كثيفةٍ، ثم يتساقط به كزخات مطر في ليلة شتوية شديدة البرودة والرومانسية معًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنتِ تميمة الله في الأرض، التعويذة التي تلف عنق كل من يقابلها فتباركه بالقرب منها، بل أنتِ لعنة تغرز أظافرها في عنق كل من يقابلها، وتصب عليه غضبها، ولكن مَنْ يدري؟ هل الحب تميمة الرب؟ أم لعنته في الأرض؟ هل تدرين أنتِ؟ هل تدركين دوائر الطاقة التي تخرج من بين خصلات شعرك لتصيب من يقترب منكِ بهوس قربك؟ إنه لا يُشفَى أيًا مَنْ مَرِض بكِ ولو عاش فوق عمره عمرين، اسمعيني:

أعلم تمامًا أنك تركتِ لهم كل ما أرادوا على غير انتباهٍ منهم حتى يتفاجأوا بما أعددتِ لهم بعد رحيلك، أعلم أيضًا أنكِ حملتِ كل ذكرياتك، وأحلامك معك في الصندوق ولكن؛ أتعلمين أنتِ؟ الصندوقُ مثقوبٌ يا صديقتي، ولذا حتمًا سيُسقِط بعض الأشخاص، وقليلًا من الندم، وثمة رمادٌ من المشاعر، ودويراتٍ من رفات الذكرى، وخُطيَّاتٍ متلاحقةٍ، مهرولةٍ، وكثيرًا من السنوات المحمومة، أسرع مما تتخيلين، وأبطأ مما تريدين.

أعلم أنك لا تتحدثين مثلهم فلن يسمع أحدٌ لك صوتًا سوى صوت الارتطام الناتج عن لمس ندى عينيك لخديك الزجاجيين الشفَّافين، والمتوردين دائمًا كعودين ورد بلدي، الحزينة بما يكفي لأن تملأ ضحكاتك المكان، والشقيَّة بما يكفي لئلَّا تبرحين حجرتك لشهور.

أنتِ المرأة الجميلة ذات البشرة الحنطية والعيون السوداء والشعر الأسود المنسدل الذي تقع بعض خصلاته فوق جبينك عند انهماكك في الكتابة فتزيدك جمالًا، لكن لن أخفي عليك سرًّا فلا غضاضة أنك كنتِ أجمل من هذا الوصف بكثير حين كانت تأتيك رسائل داوود، فقد كنت تقضين وقتك كله في تفسير الرسالة، ومعرفة هل هذا هو المعنى الذي يقصده من وراء كلماته أم أنه معنى آخر يختفي بين الحروف؟ كنت تصرخين وتهللين كطفلة من فرحتك حين تعلمين أن رسالةً أتتك منه، وكنت تمرضين حين تغيب رسالاته لمدة يوم أو يومين.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٧-

مارس ٢٠٠٨

- لو أنكِ تركت كل رجل لأنه يخونك فلتعرفي مسبقًا أن علاقتك بأي رجل ستنتهي بأن تتركيه.

صاح داوود مخاطبًا إياكِ، فتراجعتِ خطوتين لتبتعدي بهما عن صياحه ثم نظرتِ في وجهه وقلت بهدوء:

- وأنا لن أحتمل الخيانة مهما وصلت درجة حبي لك.

أطرق ينظر في الأرض ثم واصل حديثه:

- عاليا يبدو أنك لا تفهمين كيف أحبك؟ أنا لن أخونك يا حبيبتي لأنني لن أصير يومًا في هذا الوضع الذي يجعلني أخونك، فنحن لن نتزوج أبدًا.

احتقن وجهك ورددت متهتهةً بكلماتٍ متقطعةٍ:

- إذ. ذ. ن ك. كي.. ف تناد.د. يني بحبيبتك؟

ردَّ بسرعة:

- قطعًا أنتِ حبيبتي ولا يعني هذا أبدًا أن تكوني زوجتي.

كتمتِ صرخة كادت تنطلق في وجهه، ثم قلتِ برفق:

- نعم نعيش في علاقة مفتوحة تفعل ما يحلو لك وأفعل ما يحلو لي حبيبي، أليس هذا ما أردته؟

احتدم صوته من الغضب، ثم قال:

- لا ليس هذا ما أردته.

تضحكين بسخرية وتواصلين الحديث:

- حقًا لم أعد أفهمك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يحاول أن يهدئ من روعك ويخفض من صوته قائلًا:

- حبيبتي أحبك وكَفى، أرجوك لا تسألي كل هذه الأسئلة المربكة والمحيِّرة.

- أن أسألك عن حياتنا ومستقبل علاقتنا هذه أسئلة مربكة ومحيِّرة، إذن قل لي بربِّك وبمبادئك التي تعرفها ما الغير مربك والغير محيِّر كي أسألك عنه، ودعك تمامًا من تلك العلاقة المربكة والمحيِّرة من الأساس.

قلتِ هذا بلهجة من يصدر أمرًا.

- حبيبتي دعي المستقبل جانبًا ولا تجعليه طرفًا في حديثنا.

قال داوود برفق.

تتعجبين وتمطين شفتيك مندهشة من تناقض أمره، ويستطرد هو:

- إن كلامنا عن المستقبل وعن هذا التناقض الذي تتهمني به عيناكِ سيتطرق لموضوعات لا تحبين طرحها مثل شعرك الذي طلبت منك تغطيته أكثر من مرة تلبية لرغبة والدك وتغاضيتِ عن الأمر ...

تقاطعينه:

- وهل موضوعنا الآن هو شعري؟ بل هل شعري يثيرك إلى الدرجة التي لا تستطيع فيها التحكم بنفسك حتى يصبح أمر تغطيته من المناقشات الجادة جدًّا لتُطرح في وقتٍ كهذا؟

يجيب على الفور:

- ماالذي تقولينه؟ وما هذا الذي يثيرني؟ أنت تعلمين جيدًا أننا تحدثنا في هذا الأمر -والذي لا يعنيني من الأساس- كثيرًا، وقد أوضحت لك أسبابي وأهمها رغبة والدك، والتي إن كان يهمك أمري فستحاولين حتى الاهتمام بالأمر.

- الاهتمام بالأمر!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تهمسين لنفسك بتعجب ثم تستطردين:

– إن كان أمر علاقتنا لا يهمك للحد الذي ترفض فيه مناقشة مستقبل هذه العلاقة فأيُّ أمرٍ آخر تريد مني الاهتمام به؟ ثمَّ ماشأنك أنت برغبة والدي؟ وما شأنك بعلاقتي بوالدي من الأساس؟

– إن شئتِ فلتعتبريها نصيحة من شخص يهمه أمرك. قال داوود.

– ماذا؟ لا لا.. حقًا ماذا قلت؟ نصيحة؟ إذن دعني أحكي لك حكايةً قصيرةً؛ إنَّ زيوس ابتلع زوجته الأولى، أتدري لم؟ لأنها كانت إلهة النصح والاستشارة.. أظن أنَّك فهمت ما أعني.

– إنك تسخرين! يالها من دعابة سخيفة، يبدو أنك لا تحاولي حتى أخذ ما أقول على محمل الجد وذلك عن عمد.

– لا لا... عن عمد كيف؟ ... حسنًا سأهتم بالأمر، دعني أهتم به الآن.

تضحكين بصوتٍ مرتفع ثم تهمسين له:

– هل من الممكن أن أئتمنك على سر؟

يجيبك:

– تفضلي.

– إنَّ شعرك مثيرٌ جدًا وقد كنت ألتقط لك الصور فقط لأتأمل شعرك وحيدةً، وحتى مع صديقاتي إنَّه مثيرٌ بشكلٍ غير عادي.

تتخللين شعره بأظافرك وتنزلين على عنقه وتستطردين:

– أقول لك.

يجيبك مرتبكًا:

– قولي.

– لابد لدرء الفتنة التي يسببها شعرك لي وبالتأكيد لأخريات أن ترتدي الحجاب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يصيح بتأثير المفاجأة من كلامك وباستنكاره لما تقولين:
- ما هذا؟ يبدو أنك جُننتِ، إنك بالفعل مجنونة.
- نعم أنا مجنونة.
تقولينها ثم تسترسلين في الضحك.
لم تنسِ يومًا كلماته مهما اختلفتِ معه ولم تنسِ نبرة صوته، ألم يحبك داوود؟ بلى إنه أحبك من دونهن جميعًا، لكنَّه قرَّر بكلِّ قواه العقلية وبكل ما أوتي من جرأة أن يفتح لرغبته مساراتٍ بين صفحات وأقلام نسائه بدلًا من أن يفتح لشهوته مساراتٍ بين أفخاذهن، لقد تخلى عنهن جميعًا فأصبحن كلهن ملكه، هكذا كنتِ تبرِّرين لنفسك غموضه في بداية علاقتكما؛ بالطبع كنتِ أنتِ حبيبته ولكنك لم تخرجي عن كونك حالة يستمد منها مزاج الكتابة، فوجودك في حياته كان لسببٍ أكثر أهمية من وجودك هذا نفسه، فقد كان لتغذية الوحي، لتجعليه مضطرًّا دائمًا أن يكتب
كان داوود يملك حجرةً واسعةً، تلك التي كان يسميها المحراب وكان في حالات الكتابة كالراهب، من شدة إخلاصه لما يكتب، كانت حجرته تلك لا يوجد بها سوى أريكةٍ، تلك الأريكة التي كان يتمدد فوقها ليصيد الأفكار التي تتجول في سماء رأسه كي يصنع أشهى حالات الكتابة وأتقنها صنعةً، لقد كان داوود أقدر الأشخاص على الإيحاء لنفسه -قبل من يحدثه- أنَّه يعني ما يقول، وكان أكثر الأشخاص الذين لا يعرفون حقًا ما الذي يريدونه بقولهم هذا أوذاك، ولذلك كان صامتًا إلا فيما ندر، أما نجاحه وكان داوود من الشخصيات الناجحة جدًّا في حياته العملية فقد كان حافزًا حقيقيًّا لمنتهى تعاسته، إنَّ نجاحه وحب من حوله كانا مبررين غنيين يستمد منهما ألمه، ذلك الألم الذي كان يبثه في روحك عبر روحه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– الألم ... أتدرين معنى الألم؟ هل تعرفين حجم الألم الذي نقابله يوميًا في حياتنا؟ ومنذ متى خُلق الألم؟

يقول داوود، فتهزين رأسك في علامة منك على أنك تريدينه أن يجيب عن أسئلته، فيستطرد:

– لقد خُلق الألم قبل أن نتعلم أن نصرخ، قبل حتى أن نستطيع قول «آه».

هل تتذكرين وقت زارك داوود وكنتِ قاربت على العام لا تخرجين لهم، كنت قد سئمتِ وجودك بينهم وقررت الانعزال، قررت أن تتألمي بعيدًا عن عيونهم.

– ماذا تفعلين؟

قال داوود مستنكرًا.

– أفرّط البازلاء الخضراء لآكلها.

أجبتِ ببرود.

– أتريدين لي أن أفهم أنَّ لك شهورًا لا تغادرين المنزل كي تفرطي البازلاء وتأكليها؟

رد متعجبًا.

وأجبته أنتِ بانفعالٍ:

– ماذا بك؟ وما الذي يضيرك في هذا؟ هل هي جريمة؟ أليس هذا أفضل من الكائنات السمجة التي نقابلها يوميًا بالخارج؟

رد محاولًا تقبل الأمر:

– وماذا تفعلين أيضًا؟

تفكرين للحظة، ثم تنظرين إليه وتخرج الكلمات من بين شفتيكِ:

– امممم ... عصير جزر ولكني لا أستطيع شرب الكوب كاملًا لأني لا أحب الجزر فأنا أفضّل عصير الجوافة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ينظر إليك صامتًا وعيناه مثبتتان على عينيكِ فيما أردفتِ أنتِ:
- أريد أن أمشِّط شعري.
- أريد أن أُكمل الرواية.
- أريد أن أزرع الفل والريحان والنعناع في شرفتي.
يختلط صوتاكما ويبدو صوته أوضح من صوتكِ:
- إن شعرك هكذا أجمل، لماذا لا تكتبين؟ ما الذي يمنعك؟
يعلو صوتكِ:
- أنا أكتب الآن، ألا ترى؟
لقد أربكتني الحياة حتى صرت أتشاجر مع ندى الصباح على زجاج نافذتي، بينما أعانق ضجري كل لحظة، أربكتني حتى إنني لم أعد أكترث بموت النوارس محتضنة الأسماك فوق الأمواج العاتية، ولم أعد أبالي بذبول سنابل القمح فوق عيدانها.
يقاطعكِ:
- الحياة أربكتكِ حتى صرتِ تدافعين ببسالة نادرة عن كل ما رفضتِه بالأمس.
تجيبينه مبتسمة بإحباط نصف ابتسامة تخفت تدريجيًا:
- أشعر بالخواء مثلي كمَثل عُجز نخلةٍ خاوٍ، فلم أعد تلك الطفلة التي تقف مندهشة أمام كل معرفة جديدة بحياتها، ولست الفتاة التي تلاحق الدوائر الغير منتهية في بركة الماء الآسن، ولا تمل من تكرار قذف الحجر، ولست أيضًا المرأة المملوءة بالرغبة في رجلٍ ينتظرها فتنتظره هي ولا يأتي.
يقاطعك:
- أنتِ لستِ سوى صورة مصغرة للكون بكل تداعياته، لست سوى فراشة لم تُخلق بعد جناحاتها فلا زالت داخل الشرنقة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تستطردين بنفس الابتسامة:

– لقد تجاوزت شغفي وانبهاري بالألم وتركت عناء البحث للتائهين، لقد مللت السفر، فما بحثت عنه طيلة عمري كائنٌ بداخلي، فلماذا أقطع المسافات الطويلة وأنا أصلًا معي؟..

إذن فليكفيني ذلك الكوخ الصغير وتلك الشمعة التي قاربت على الانطفاء وعليه فأنا أمضي الوقت في تحضير حقائبي وحزم أمتعتي ولا، لا أسافر أبدًا.

إن السكون فقط هو الفعل الغير مربك لي في هذا العالم، نعم، أترك نفسي للفراغ، أتأمل الكون بشراهة فأنا محرومة وحدة، محرومة صمت، محرومة يقين، محرومة معرفة، والآن أغترف منهم بلا هوادة وأصب كأسي من الإجابات الممزوجة بالقلق على أسئلة لم أكن شغوفة بمعرفة إجاباتها، ثم أصنع طبق التحلية من اللاشيء، فاللاشيء هو أفضل الأشياء على الإطلاق.

أنا حقًا مرتبكة أتعامل معكم بارتباك أوإنني لا أتعامل معكم، بل أتعامل مع آخرين يشبهونكم وأنقل إليهم ارتباكي فهم أفضل حين يرتبكون حيث أقوم بتهدئتهم وبعث السكينة فيهم، تلك التي طلبتها منهم ووجدتها داخلي، ثم أبني بيني وبينهم بوابات من الرياح الملونة لا يستطيع أن يفتحها إلا من يرى ألوانها، وهي لا تتجلى لذوي العيون المفتوحة وأصحاب الحسابات على «فيسبوك» بل لهؤلاء الذين يغمضون عيونهم وحساباتهم على «فيسبوك» معطلة وكذلك عقولهم خاملة كفت عن التفكير منذ وقت بعيد، حتى تتيح الفرصة للقلوب لتعمل، والقلوب آنذاك تفيض برؤية صوفية، كأنما الرياح قد طوحت بكل الأشياء إلى مدى أزلي لا نهائي.

تتنهدين ملتقطة أنفاسك وكأنكِ عائدة للتو من ساحة الجري،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيخاطبك داوود:

- ربما يكون أحد أهم أسباب رضاي عن الكسل اللانهائي أوالسكون أيًا ما تسمين ذلك الفعل الذي تمارسينه هو أن الناجحين حقًا غير سعداء حبيبتي، إنَّهم فقط يبذلون الجهد ليكونوا ناجحين، لا ليكونوا سعداء، ومع ذلك فرحتهم الكبيرة بالنجاح تخفت مع الوقت، كفرحتك الكبيرة بالـ«بيتزا» التي تخفت مع التهامك لآخر قطعة مثلثة فيها، ففي النهاية لا أحد سعيد؛ إذن لم تتعبين نفسك في محاولة الكد أوبذل الجهد لتتعرفي إلى الأشياء؟ فلن يفيدك هذا أوذاك حبيبتي.

عاليا، لتتناولي ورقة بيضاء وقلم رصاص، ولترسمي دائرة، دون استخدام البرجل، جربي، ابتعدي قليلًا عن الورق، فقربك الشديد لن يجعلك تتحكمين في الرسم جيدًا، غيبي في الرسم، لا تحاولي مرَّة بعد مرَّة، بل ابدأي مرَّة واحدة واتركي كل شيء، على ألَّا تتركي القلم إلَّا والدائرة مرسومة كاملة، مارسي اللاشيء بضمير، واتركي نفسك للفراغ.

غادر داوود المكان بعد أن ترك لكِ أثر كلماته، وصوتك لا يزال يعلن عن وجوده لم يغادر بعد:

- لقد أربكتني الحياة حتى صرت أجهز على وردة حمراء لأعلن قوتي لقطفها فلا أستطيع لأنَّ ضميري الذي يشنق العاديَّ يوميًا بشبق الجنون هو الذي يقف عاجزًا عن خلع قلب وردة حمراء لسلبها حياتها لمجرد اشتهاء امتلاكها ...

تتلفتين حولك تبحثين عنه:

- داوود، داوود انتظر، أتغادر دون أن تمشِّط لي شعري؟

ثم صمت يملأ المكان.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٨-

يناير ٢٠٠٧

مازلت أتذكر تلك الرسالة التي كتبتِها فور سفر داوود إلى إسبانيا، حيث جلستِ يومها تتمتمين بكلمات غريبة وكأنكِ تودعين للبحر سرًّا، أخذتِ تهزِّين رأسك في انزعاج شديدٍ، ثم استلقيتِ على الرمال تحركين يديكِ، وكأنَّكِ تقبضين على شيءٍ ما، الفراغ كان، أو أنك كنت تلاحقين روحك، أوالوقت، ربَّما كان القبض على رائحة داوود، تلك التي فارقتكِ مع فراقك لعناقه منذ سفره، كتبت إليه بعدها تقولين:

داوود

تلك الرمال التي أغوص فيها بجسدي الآن، تضغط فوق كلِّ مسامه التي تعانق البرد منذ سنوات تشتاق إليك، تلك الشمس التي تتخللني وتقبل خلاياي الحيَّة، تقبل رائحتك في كل خلية، ذلك العشب هناك الذي ألامسه حافية، أضغط عليه بقدميَّ الصغيرتين يتلمس ماءك كي يرويه، أضاجع الطبيعة وأتلحف نقاءها، أغسل قلبي بملوحة الحزن من عيني تختلط بملوحة البحر، أبكي كثيرًا، أحتاجك أكثر من بكائي، أحتاجك الآن كما لم أحتج أحدًا من قبل، إنَّني في قمة شاهقة من الضعف، وحضيض سحيق من الاحتياج، ألا تجتاح احتياجي وتأتي.

عاليا

كانت رسالة قصيرة لكنك قلت بها كل ما يمكن أن تشعري به لسنوات لم تستسيغي فيها طعم الأشياء، ولا رائحتها، دون أدنى استثناءٍ لأي منها، لم تستسيغي التحيز الحقير، بل ولم تستسيغي أيضًا النبذ العنيف، هذا لا يعني بالضرورة إنك كنت في حالة من التماهي مع المكان والزمان أو الأشخاص، لا، فقد كان وجودهم جميعًا وجودًا رأسيًّا لا يتمدد بأي حال من الأحوال بحياتك، فقط كانت علاقتك بأصواتهم أفقية قابلة للتمدد، أصواتهم تلك التي كانت تأتيك من وراء أجساد رأيتِها سواء، أو لم تريها،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فإنك يومًا لم تفكري أن تتخلي عن سماعك إياها من أجل رؤيتهم، أوما شابه، لأنَّه كان جلّ ما تعشقينه التمييز بين رغباتهم عن طريق أصواتهم كما علمك داوود تمامًا حيث كان يقول لكِ:

١٨ أنصتي عاليا، لا تفتحي عينيكِ، بل دعي أذنيكِ فقط تتحكم في أوصالك، دعي حبل المشيمة ينفصل بين روحك وكل حواسك، عدا سمعكِ، اربطيه بأذنيكِ جيدًا وأحكمي العقدة، ثم اصغي لتلك الذبذبات التي تصُبُّها الطبيعة في نفسك، استمعي للموج، للنهر، للحديد، للريح، للخشب، للرعد، لكسرة الخبزالمحمص، وهي تنقسم بين أصابع طفلين جائعين، أنصتي لتماوج حسيس النار، دعيها تهمس لكِ في ليالي الشتاء الطويلة الباردة، اتركي طقطقة الخشب المشتعل في الهواء الطلق تبوح لكِ بمدى أهميتك في الحياة، أنصتي لدمدمة الريح، ولا تخافي منها بل افتحي لها نافذتك، ولا تخشي هدير الموج ليلًا بين ثنايا الماء المظلم، ولا تتردي في أن تصادقي هزمة الرعد، اجعليه يحدثك كيف يكون الغضب؟ اتحدي بحشرجة تردد النفس في صدرك ودعيه يخبرك عن حالتك، دعيه يخبرك أتعشقين؟ أم تموتين الآن؟ دعي حفيف النسيم يُقبِّل أذنيك، اجعلي خرير الجدول العذب يخترق كيانك على مهل، ثم بعد ذلك اتركي المدى لأصواتهم، لموجات الأصوات الناطقة لكّل الشخصيات التي قابلتِها في حياتك، أنتِ وحدك تملكين الميكروفون؛ قربيه إذن وابعديه بحسب رغبتك، وبحسب تأثير أصواتهم فيكِ، لا تتأثري بصوتٍ أحاديٍّ، بل امزجيهم معًا، امزجي كل الأصوات لتصنعي إيقاعًا، اجمعي مجموعة متكاثفة من أصواتهم وقومي ببعثرتها في براح روحك، واصنعي إيقاعًا خاصًّا، بك، وانجرفي مع جموع الأصوات التي خلقت هذا الإيقاع، اجعليها تنتقل وتنعكس وتنكسر وتتداخل وتُقاس بتأثير روحك، لا بعلم الفيزياء، ثم صُبِّي الإيقاع هناك في قاع الروح ليستقر ويكمن.

أعرف أنه من الممكن أن يتلاشى جزء من الصوت بمرور السنين،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ولكن عمق الإحساس الأزلي الذي خُلق به صاحب الصوت، سيتحرك من خلالك، وسيتابع كل صوت قدرته على الحياة في أحشائك، وفي ذاكرتك، وستستقر روح الصوت بدورها وتخلق حالات كثيرة، كمفاصل أساسية لعظام جِسك لتجعلكِ ترتجفين من السعادة ومن الحزن، من الشجاعة ومن الخوف في آنٍ، سيختلط الإيقاع بدمائك ويتلطخ بها، ويسير معها في أوردتك وشراييك سيرًا خفيًا غير ملموس لكنه صافٍ أملس وحيد، كالبصمة؛ لا يتكرر، فلكل صوت مداه وحجمه ووقعه في النفس وعمقه وتأثيره ومدى حدته أونعومته، فلا يتعدد الصوت في همسه وصياحه، في امتداده واتساعه، فقط لا تجعلي الإيقاع عاليًا حاد النغمات ولا هامسًا، لا تجعليه غليظًا ولا ناعمًا، لا مختنقًا ولا مغتصًا ولا شجيًا أبح، بل مزيجًا من كل هذا.

قال داوود تلك الكلمات التي صارت جزءًا من قناعتك تجاه الاتحاد بالكون، من خلال أصواته والتي نمت فيكِ منذ صغركِ ووجدتِ لها المدد والمداد في كلمات داوود التي اندمجت مع هوايتك تلك حتى صرتِ تتحدين بداوود وبالكون معًا، فصرتما جزءًا من الطبيعة التي احتوت روحيكما، كما تحتوي نبتةً يغلفها ماء المطر، أوشمسًا تلتحف الغيوم، أونجمةً تبيت في صدر السماء بأمانٍ وسكينةٍ، بينما يظلل الكون كل هذه الثنائيات بجناح يحوي المحبة والسلام.

كنتِ تستمعين إليه وهو ينفث كلماته فيكِ كمن يُلقي بروحه في روحك، لم تنصتي له فقط في هذا اليوم بل في تلك الفترة كلها من حياتك، فكل ما أفضى لك به ظل موغلًا في عمق ذاكرتك، حتى إنكِ احترفتِ ترديده على مسامعي كلما جلسنا معًا هناك على البحر، أتتذكرين تلك الفترة ؟ تلك التي كان يكسوها عري مشاعركما، وصفاؤها، ثم هل تتذكرين ذلك اليوم ذلك الذي عشتِ فيه حياة كاملة في بضع ساعات؟ لقد كان يومًا له طبيعة خاصة تختلف عن كل ما مر بعلاقتكما، أتتذكرين.. عاليا؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٩ -

ديسمبر ٢٠٠٨

استقبلتِ خيوط النور المارَّة عبر النافذة المغلقة بابتسامةٍ راضيةٍ ثمَّ غيَّرتِ اتجاه نظرتك لتجدين نورًا آخر تلحف الـ«فايبر» الأزرق على الأريكة المجاورة ليحميه من برودة جهاز التكييف، اتسعت المسافة التي تظهر أسنانك حيث أخذت ابتسامة الرضا في الانفراج، حتى صارت زفرةً حارةً خرجت مع قبلة على المنطقة الوسطى بين حاجبي النائم، تركتِ فراشك في هذا اليوم بانبعاث من عاد للحياة بعد موتٍ دام ساعات، وحين انحنيتِ لتقبيله، مدَّ ذراعه يحتضنك وهو نائم، وبرفق خلَّصتِ عنقك من ذراعه، ثم غادرت الحجرة وسرت في ذلك الممر الطويل حافيةً متجهة نحو الحمام، لتأخذي حمامك الصباحي، بعد أن ملأتِ حجرة الفندق بأعواد البخور المشتعلة والذي اختلط مع البخار الخارج من حمامك مع نوافذ مغلقة فصنع جوًّا تعشقينه تاركًا عطره على جسدك، ثم خرجتِ لتجديه مازال نائمًا، رُحتِ تجلسين بجواره، فإذا به يمد يديه ليضمك، ويختبئ بوجهه ليتنفس شعرك الرطب بعفوية عاشقٍ يستمد من ندى شعرك، وعطر جلدك أكسچينه اليومي.

تعدلين جلستك فتصيرين أمامه فيداعب كفيكِ بكفيه ويميل برأسه فوق كتفك يمسح وجهه فيك كقطٍّ بريٍّ اعتزل الصيد، وقرر أن يقضي حياته يقتات خبزًا طازجًا يتناوله من يد ربة بيتٍ تدلِّل رغبته وتقبِّله مع كلِّ وجبةٍ، كنت تلاحقين أنفاسه لتشُمِّي ما خرج منها وتصطنعين البكاء في نحيبٍ رقيقٍ إذا ما عاندك وأخرج زفيره بعيدًا عنكِ كي لا تستنشقيه كله، فيضحك ثم يربت عليكِ برفقٍ وحنوٍّ ويقبِّلك قُبلةً يصالحك بها، ويقرب وجهه منكِ متنفسًا وهو لا يزال يضحك قائلًا:

- خذي نَفَسي كله.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ثم يرن تليفونه المحمول فيقوم بتجاهل المكالمة، ويغلقه نهائيًا، وتسألينه أنتِ عن سبب لما فعل

فيردُّ:

– حين نخرج للتسوق سأقوم بفتحه.

فتسألينه:

– هل تحبني؟

فيجيبك على الفور:

– لا.

في نفس اللحظة التي يقبِّلك فيها قُبلة طويلة ويهمس لك في أذنك:

– أنا لا أحبك بل أعشقك.

يعتدل في جلسته ويأخذ ورقة من فوق الـ «كومود» ويبدأ بلف سيجارة، تتشاركاها معًا، ثم يهمس لكِ بسؤال:

– مبسوطة؟

فتجيبينه بابتسامة مُرتاحة:

– جدًا.

ينظر لعينيكِ من خلال الدخان ويضمك ضمةً قويةً تكاد تنتزع ضلوعك من بين لحمك، وما تلبثين أن تضعي يديكِ فوق ظهره حتى يبكي ويزداد الضم مرهونًا بالبكاء، تستمرين بالمسح بيديكِ فوق ظهره حتى يضمك ضمة تعيد ترتيب ضلوعك، بل تعيد ترتيب دقات قلبك أيضًا؛ قلبك هذا الذي كاد ينفطر من فرط توهجه بمشاعرٍ بكرٍ لم يجربها من قبل، قلبك الذي كان يزحف لاهثًا للبحث عن الحب، هاهو الحب يخترقه اختراقًا ناعمًا يشبه الموج الهادر، ويدق بابه بطرقات منغَّمة لا يشبهها شيء.

يقوم داوود ليأخذ حمامه الصباحيَّ في حين تدخلين أنتِ المطبخ لإعداد كوبٍ من الكراميل الساخن وتشعلين سيجارة، حين يخرج ينظر لكِ متعجبًا، ترتسم على وجهه ابتسامة دافئة ثم يقترب منكِ ويأخذ سيجارتكِ قائلًا:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- حبيبتي الـ«هوت كراميل» الذي تشربينه معناه أنك تشربين شيئًا مخلوطًا باللبن، كيف لكِ بشرب السجائر مع اللبن؟

تبتسمين وتستعيدين سيجارتك من يده بهدوء قائلة:

- لو كان كلُّ فردٍ في حاله لسلمت أمورٌ كثيرةٌ.

يكتفي بإيماءة لاستنكار ما تقولين، ثم يسألكِ مبتسمًا:

- ماذا نعدُّ للإفطار؟

فتجيبينه:

- أيُّ شيء، دعنا نلقي نظرة على «الثلاجة».

يدخل المطبخ مصطحبكِ في يده، ويبدأ في إعداد الفطور في حين تجلسين أنتِ على أريكة تكفي لفردين بجانب المائدة، تنظرين له بمودة وهو يعد فطورك وتكسو وجهك ابتسامةٌ ملؤها الرضا، ثم يضع الإفطار فوق المائدة المستديرة في مطبخ منزلك -تلك التي كنا نتسامر سويًّا ونحن جالستان عندها- ولكن كيف ذلك؟

إن المشهد مشوشٌ في ذاكرتك، ربما أنت في منزلك أو في ذلك الفندق، أنتِ حقًا لا تدركين.

يجلس داوود جوارك على الأريكة، واضعًا ذراعه على كتفك، وتضعين أنتِ رأسك على صدره، ويبدأ في إطعامك، ومع كلِّ قطعة طعام يقبِّلكِ وتقبِّلينه قبلةً طويلةً لما ينوف على طعام قد كان ساخنًا وأصبح باردًا الآن، تنتبهين لبرودة الطعام، فتبتسمين ويبتسم هو، ثم يُكمل إطعامك، ولا يلبث أن يترك الطعام مرة أخرى لتقبيلك، فتقاطعينه أنتِ لتلاعبه لعبتكما المفضلة، وهي أن تقولي له كلمة فيرد فورًا وقبل أن يفكر بأول كلمة تخطر بباله عند سماع كلمتكِ، تقولين له بتأنٍ وهوادةٍ:

- حبيبتك.

فيجيب بسرعة:

- بل نجمتي، عاليا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تكررين متعجبة:
- نجمتك؟ أم لؤلؤتك؟
فيردُّ:
- نجمتي.
تقولين:
- عاليا.
يجيبك بابتسامة:
- نجمة داوود.
فتقولين بنفس الهوادة:
- حبيب عاليا.
فيردُّ:
- داوود.
فتقولين:
- فصيلة دمك.
فيردُّ:
- نفس فصيلة دمك.
تبتسمين قائلة:
- زحام.
يردُّ:
- عيون.
تهمسين:
- ندى.
يقول:
- خبز.
تهمسين:
- دفء.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يقترب منك هامسًا في أذنك:

- في قلبكِ.

تبتسمين مستطردة مغمضة العينين:

-احتواء.

يقترب أكثر ثم يضمك ويسترسل همسًا:

- حين أضمك.

ثم تتعانقان عناقًا طويلًا فداوود يقدس العناق، نعم كنت تبكين حين تحكين لي عنه وهو يتحدث عن العناق، كان يقول:

- العناق هو الفعل الوحيد الذي خالف قوانين نيوتن، فالعناق فعلٌ له رد فعل، ليس مساويًا له في المقدار، بل مضاعفًا، وذلك لأنه ليس مضادًا له في الاتجاه، بل يسير الفعل جنبًا إلى جنب وردُّ الفعل، يسيران معًا في نفس الاتجاه، مما يضاعف قيمة ردِّ الفعل ويصبح في الثانية التالية ردُّ الفعل فعلًا آخر مضاعفًا، له ردُّ فعل آخر مضاعفٌ له في المقدار، فيتضاعف الضعف كل مرة ليصل ربمًا لملايين الأضعاف، وهكذا دواليك، ففعل الضم تستطيعين إضافة ملايين الأصفار إلى يمينه.

كنت تبكين في صمتٍ حين يحتضنك وكأنك تشكين له مما فعلوه بك دون أن تنبثي ببنت شفةٍ وكان يشعر هو بما تريدين قوله، كان يقرأ صمتك بل ويجيب على أسئلتك التي لم تسأليها أبدًا.

تخلصين وجهك من صدره وترفعين خصلات الشعر التي انسدلت على جبهتك وحين تنظرين إلى المكان من حولك تجدين أنَّك في غرفة بأحد الفنادق، إنَّه ذلك الفندق الإسباني، وليس منزلك لكنهما متشابهان جدًّ التشابه، تبتسمين غير مشدوهةٍ وكأنَّ ما حدث هذا من تغيير الأمكنة كان معتادًا بالنسبة لك، وكأنَّك في حُلم تنتقلين بخفة طائرٍ دون أدنى التفاتة منك للزمن فلا يستغرق كل هذا منك سوى ابتسامة، بعدها تكملين لعبتك قائلة:

- هاتفك.

يطرق مفكرًا لحظةً ثم يزفر زفرةً تحمل من الألم ما تحمل ويقول:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أكرهه.

ثم يبدأ في الحكي:

- أنتِ الوحيدة التي لا أملُّ حديثها في الهاتف أما هم فلا أرغب بحديثهم، هم يتحدثون فقط عند حاجتهم لاستنزافك، لا يأبهون لحاجياتك بل يودون لو التهموا أذنيك كوجبة تشبع نهمهم للثرثرة الفارغة، أو جعلوك سجادةً يمسحون بها همومهم ويدوسون فوقها محطمين إنسانيتك، أنت بالنسبة لهم سجادةٌ رديئةُ الصنع، هم لا يكفُّون عن استغلالك بكلماتٍ مُرهِقةٍ، أخشى أنني لا أستطيع أن أحافظ على نفسي كاملًا بعد مكالمةٍ واحدةٍ، تسرقني وتسلب طاقتي، حقًا أنا لا أستحق منهم هذا، لذلك لا أقف صامتًا حيال ما يفعلونه بي فأنا أغلق تليفوني دومًا، وأضع قطنًا من النوع الجيد في أذنيَّ واسترخي في سريري وأتثاءب،كم أود لو حطمت تليفوني واستغنيت عنه للأبد، تبتسمين ابتسامة يشوبها ألمٌ ثم تحاولين تغيير الموضوع فتردِّين:

- هيا لننزل ألم تعدني بزيارة متحف «إل برادو»، فيبتسم داوود ويقول متحمسًا:

- هيا بنا.

تقومين لتغيير ملابسك فترتدين قميصك الأبيض الذي يحمل صورة قطٍّ فرعونيٍّ أسود وبنطالك الـ «چينز»، يضع لك داوود مكياجك الخفيف فهو يعشق ملامحك دون إضافات ثم تقومين أنتِ بتصفيف شعره بيدكِ تضعين له كريم الشعر وترتبين خصلاته، وتلفِّين كوفيَّةً قطنيَّةً ناعمةً بيضاء تناسب ليالي الصيف فوق «تي شيرت» أزرق يرتديه، يلف ذراعه حول كتفك لتنزلا معًا فتعبرا ساحة الفندق الرئيسية في بهجةٍ لم تظفري بها من قبل، وكأنَّ بشرًا غيرك لم يمر أبدًا فوق تلك المساحة من المشاعر يومًا ما.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ١٠ -

متحف «إل برادو»

لم يكن من المتوقَع أن تهرعي إلى موتك بتلك الشهوة والشهية معًا، كيف للمتعة أن تمتزج بالألم في خليطٍ متجانسٍ؟ لم يكن لك أن تتوقعي أبدًا ما اقتضاه حبُّك لداوود مما تعرَّضت له من بقايا الإثم الذي توَّجه عمق ابتسامتك، لم يكن العشق مرادفًا سوى للقتل، وقتها اشترى لك عددًا كبيرًا من البالونات وأخذتما معًا كل تلك الصور، فلم يعد لتمرغكما في السعادة سوى معنى وحيدٍ هو أن ما يحدث بالفعل إلى زوالٍ، ليس فقط، بل إلى غروب لن يعقبه شروقٌ جديدٌ، غير أنكما لم تدركا للحظة هذا المعنى، لم تُعكِّرا صفو الأمانيِّ بما هو مرتقبٌ، ولم تسمحا لمنغِّصٍ أن يروض الحلم ويسحبه رأسًا إلى أقرب واقع ليرتطم بحائطه، كان ما يحدث لك عالميًا مقارنةً بما سيحدث شيءٌ خارج أطر الوصف فلا أستطيع أن أحكيه، أوحتى أستمد منه مفردات لأصنع حكاية.

استقللتِ سيارة الأجرة مع داوود في رحلتكما إلى متحف «إل برادو» ذلك المتحف الكائن بشارع يحمل نفس الاسم وهو شارع «باسيو دي إل برادو»، وكانت الشمس تقريبًا لا وجود لها في ذلك الوقت إلا قرصًا يتوارى خلف السحب الكثيفة، وكانت الساعة قد قاربت الرابعة عصرًا، والسيارة تحملكما عبر شوارع مدريد.

كنتما في حالةٍ من الصمت المبتهج المحلَّى بابتسامتين ناعمتين فوق ثغريكما، وقد كان اسم مدريد يرن في أذنيك ليزيد من بهجتك ونعومة ابتسامتك، وكلَّما شعرت بهذا الارتياح تمسَّكتِ بذراع داوود،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وكأنك تخشين انفلاته من روحك وسحبه بعيدًا عنك بواسطة النداهة، تلك التي تختبئ خلف كل قصة حب، تلهبها وتساعد في فورانها ثم تبدأ بسحب تلك الجرعات التي حقنتها في أوردة العاشقين بلطفٍ، ثم بعنفٍ، إلى أن يتحطم أحد الطرفين.

كنتِ تدركين تمامًا أنك أنتِ التي ستُترَك حُطامًا خلف علاقتكما وليس هو، لذلك كنت أشبه بالتشبث بروحه -كالمتشبث بالحياة- وأنت تتأبطين ذراعه، وكلَّما مرت أمامك بعض المعالم لتُقاطِع خيالك ترددين بداخلك «مدريد»، نحن الآن في «مدريد»، وتتذكرين كلمات داوود عبر رسائله عن هذا الاسم الذي يقال إنَّ له أصولًا عربية حيث كانت تُدعى «مجريط» ومعناه: مجرى النهر، لأنَّ العرب عند وصولهم لتلك المنطقة نزلوا عند نهر مدريد الذي أصبح اسمه «مانثاناريس» وهذه حكاية تعود لقرون خلت.

إنَّ تأملك للشوارع في تلك المدينة لم يكن بشكلٍ مجردٍ كأية سائحةٍ عربيةٍ في رحلة إلى بلدٍ أوروبيٍّ، بل كان نابعًا من حبٍّ ممتزجٍ بكثيرٍ من المشاعر المتداخلة والمسكوبة بتؤدةٍ في وريد روحك، فقد سكبها داوود عبر خطاباته التي نفخ لك فيها من نفسه وقيَمه ومشاعره وتصوراته ومعايشته كل تفصيلات الحياة من حوله، كانت مدريد بالتحديد المكان الذي استطاع أن يخبرك همسًا في أذنيك عن حقيقة تكوين الحبكة الدرامية الرائعة من التعاويذ المباركة المختلطة بدم الرجل الوحيد الذي أحببتِه، لأنه كان مصريًّا خالصًا، إسبانيًّا خالصًا، ذلك أنَّ خليط المواطنة والانتماء للبلدين كان متساويًا لديه بدرجةٍ مدهشةٍ.

وصلت السيارة إلى أحد مداخل المتحف، ويجدر بالذكر أن للمتحف ثلاث بوابات وقد دخلتما من تلك البوابة المخصصة للأفراد وليس للمجموعات ورحلات المدارس، كنتِ تسيرين ببطءٍ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في حالة انفصالٍ تام عن الزمان، تتأملين كل تفصيلةٍ صغيرةٍ، وتقفين عندها مشدوهةً من فرط التماهي مع عبق تاريخ الفن الأوروبي، ذلك الذي تجلى في رسوماتٍ ومنحوتاتٍ ومجوهراتٍ وقطعٍ نادرةٍ من البورسلين والكريستال، وأخيرًا مشغولاتٍ ذهبيةٍ، تقرأين تفاصيل كلِّ لوحةٍ ومنحوتةٍ وتتعرفين على تاريخ إنشاء المتحف الذي يرجع لملوك إسبانيا في العصور الوسطى، وعشقهم للوحات الزيتية والتي كانت تزين جدران قصورهم وحين دخل الفرنسيون إسبانيا قرر «نابليون بونابرت» إنشاء المتحف متأثرًا بـ«الإسكندر الأكبر»، وكان نواة المتحف ذلك التاج الإسباني القديم، ثم عيَّن «چوزيف بونابرت» بحكم وجوده في إسبانيا مسئولًا عنه.

قطع انغماسك في التأمل وأعادك للزمان صوت داوود يقول لكِ:

– هل تعرفين كم لوحة زيتية بالمتحف؟

تومئين برأسك أنك لا تعرفين، فيضع يده على كتفك والأخرى يلف كفَّك بها محركًا إياه لتستقر راحة يدك بين أنامله ليشير بكفيكما معًا على منحوتة رائعة مستطردًا:

– هذا المتحف حبيبتي به ما يزيد عن ثلاثة آلاف رسمٍ زيتيٍّ لأشهر عمالقة الرسم وما يربو على أربعمائة منحوتةٍ.

كنت تنظرين له في حالة خدرٍ بين أنامله، ولا يتحرك فيكِ سوى عينيك اللتين راحتا تتحركان جيئةً وذهابًا فوق شعره الأسود الكثيف، الذي صففتِه له بيديك اليوم، ثم ثبتيهما فوق لحيته وشاربه، مرورًا بشفتيه ذلك المرور المكترث الثابت، حتى إنك فقدت الزمن مرَّةً أخرى للحظاتٍ، كنتِ تتأملين فيها حركة شفتيه حين يتحدث فترتجفين كلك، ويلتفت لذلك داوود فيزيد من ضمِّ أنامله لكفِّكِ ويسألك:

– هل تشعرين بالبرودة لهذه الدرجة؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

وبزفرةٍ حارةٍ، وعيناك مازالتا مثبتتين عليه وتحديدًا في عينيه تجيبينه:

- ليس كلُّ رجفة سببُها البرودة.

ثم تبتسمين ابتسامةً أنثويةً شديدة الخصوصية، لم يردُّ عليها داوود سوى بضمٍّ أشد وأقوى لكفِّك الرقيقة واستطردتِ أنت:

- هيا حدثني عن أشهر اللوحات الموجودة هنا.

أطرق يفكر للحظة ثم أجابك وكأنَّه يتذكَّر شيئًا مهمًّا:

- «بيكاسو»، نعم «بابلو بيكاسو» له لوحات هنا بالمتحف، هل تعرفين أيضًا؟

تجيبين:

- ماذا؟

- إن «بابلو بيكاسو» عمل أمينًا للمتحف بعضًا من الوقت، ولكنه لم ينجح بتلك المهمة كعادة الفنانين.

يقول ذلك ضاحكًا، فتضحكين أنت أيضًا ثم يُكمل:

- أيضًا «فرانسيسكو دي جويا».

تقاطعينه:

-مَن؟... مَن؟

يضحك مسترسلًا:

- إنَّه فنانٌ عظيمٌ له قدرةٌ إبداعيةٌ عبقريةٌ، قدَّم العديد من اللوحات في كثيرٍ من الأفكار، إنَّه فنانٌ ثريٌّ بشكلٍ مذهلٍ، سأريك أشهر لوحاته، وستكتشفين كم كان عبقريًّا هذا الرجل، تعالي معي.

تنطلقا معًا يريك اللوحات، وأنتِ في انسجامٍ نفسيٍّ ووجدانيٍّ عميقٍ، تهمسين لنفسك:

- حقًا إنني أعيش لحظات تاريخية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يصرخ داوود في حماسٍ:

- ها هي.

يتوقف لحظةً ويستطرد بانبهارٍ:

- تلك اللوحة التي أذهلت العالم ثم يقترب منك مبتسمًا هامسًا:

- أنا واحد من هؤلاء المذهولين.

ويُكمل جملته:

- يا الله! ما هذه الروعة! إنَّها تجسِّد مشهد الإعدام حتى تشعري وكأنَّك تقفين معهم، تعيشين داخل اللوحة بكلِّ الألم والحزن الذي يملأ الوجوه، أين أنت يا «چويا» لأنحني احترامًا لك الآن؟ أين أنت لأرفع لك القبعة على تلك الروح العبقرية التي نفثتها في لوحاتك؟ انظري عاليا، تأملي ملامح الأمير «بايوس مونتان» وتعبيرات وجهه، انظري لتلك الملامح الدقيقة، اشعري جيدًا بانفعالات الأبطال، انظري للضوء الذي استُخدِم للتركيز على توضيح المشاعر حتى يجعلك تعيشين بكلِّ كيانك في اللوحة.

تبتعدين خطوةً عن داوود وتقرأين جزءًا من المكتوب بجوار اللوحة:

«لوحةٌ فنيةٌ تصوِّر إعدام وطنيين من مدريد على يد فرقة إعدام من جيش نابليون عقابًا على تمردهم ضد الاستعمار الفرنسي في الثاني من مايو عام ١٨٠٨».

تتأملين اللوحة وتستغرقين في ملامح بطلها، تتذكرين مشاهد الضرب التي حُكيَت لك والتي عاصرتِها، تتذكرين هؤلاء الفتية الذين وقفوا أمام الرصاص بصدورٍ مفتوحةٍ في كل ثورات العالم، لا تستطيعين أن تمنعي البكاء فاللوحة وصفت كل ما تشعرين به، من ألم وعجزٍ أمام شجاعة هؤلاء الذين ضحوا بأرواحهم، الذين هانت عليهم حياتهم في كل زمانٍ ومكانٍ، كم شخصًا في هذه الحياة كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شهيدًا لفكرة؟ كم شهيدًا في هذا العالم لمبادئ سيطرت عليه وجذبته من عنقه إلى حتفه؟ منذ بدء الخليقة، منذ الخلق الأول؟ منذ أول شهيد في البشرية هابيل الذي قُتل على يد أخيه قابيل «لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط إليك يدي لأقتلك»، أوزوريس الذي قتل على يد أخيه ست، أبو حنيفة النعمان الإمام الذي قتل في سجنه عمدًا.

لم ينبس داوود ببنت شفه بعد أن رأى دموعك تنهمر من عينيك، وصمت احترامًا لمشاعرك إلى أن قطعت أنتِ الصمت بعد أن جففتِ دموعك قائلةً:

- فلنتابع المشاهدة.

وأخذ داوود ينتقل بك من لوحةٍ إلى أخرى مكتفيًا بإشارةٍ بسيطةٍ إلى اسم الفنان صاحب اللوحة واسم اللوحة إلى أن لفت انتباهك لوحة «موناليزا» فأسرعت تسألين:

- ما هذا؟ إنَّها «موناليزا»؟ ولكن كيف؟ «ليوناردو داڤنشي»؟

ضحك داوود وأجابك:

- لا إنها فقط نسخة منها، ولكنها كانت متزامنة مع الأصلية، وكاد البعض ألاَّ يصدق إنها نسخة من فرط شبهها باللوحة الأصلية.

تستمران بالتجول في قاعات المتحف تتنقلان بين فئاتٍ متنوعةٍ من الأعمال الفنية إلى أن تتوقفي أنتِ عند لوحة لثلاث فتياتٍ عارياتٍ يتمايلن وكأنَّهن مزهواتٍ بجمالهن وسط الطبيعة، تحمل اللوحة اسم الفتيات الثلاثة، وهي للفنان «بيتر باول روبنز»، وبينما تتأملينها بتركيزٍ حادٍّ يقطع داوود خيط استرسالك في التأمل قائلًا:

- تحفةٌ، أليست كذلك؟ هذه اللوحة تحفةٌ فنيةٌ، ليس فقط بل إنها تروي أسطورة من قديم الأزل تقول قصيدة «هسيود» الشعرية إنَّه كان هناك ثلاث فتيات في قديم الأزل:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

«أجاليا» – وتعني التألق، و«يوفروسين» – وتعني السرور، و«تاليا» – وتعني الخصوبة.

تقاطعينه باسمةً:

– تاليا إنها ابنة زيوس التي سمَّاني أبي باسمها وحين رفضت أمي الاسم لأنه كان غريبًا جاء أبي بالاسم العربي الأقرب له وهو عاليا، وقد قال لي حين كبرت أنَّه فعل ذلك لتحلَّ بي روح إلهة الخصوبة تاليا ليملأ الحب قلبي ما حييت.

ابتسم داوود لحكايتك وطلبت أنت منه أن يكمل فأكمل كلامه:

– أثمرت إحدى علاقات زيوس الثلاث فتيات، وقد كنَّ عذراوات وعشن بين الآلهة يقمن بالخدمة بالولائم والاستمتاع بالحياة، وقد خدم ثلاثتهن «إفروديت» –إلهة الحب في الأساطير اليونانية– ولم يشعرن بالملل من خدمتها على الإطلاق، انظري حبيبتي كيف استطاع العبقري «روبنز»أن يصور الفتيات الثلاثة وهنَّ يقفن بجوار ينبوع ماءٍ أسفل إكليلٍ من الزهور في منظرٍ طبيعيٍّ خلاب، هل تعرفين أنَّ أشكال الفتيات الثلاثة مستوحاةٌ من أشكال التماثيل التقليدية؟ وهنا يبدو بوضوح جهد الرسَّام في إضفاء برودة الرخام على أجساد الفتيات، ويُعدُّ التناغم والانسيابية هي الصفات الأساسية لـ«روبنز»، هذا فضلاً عن الأشكال الخلابة والألوان التي تتسم بالدفء التي أضفاهاعلى رسوماته في أعوامه الأخيرة، والمفاجأة هنا أنَّ «روبنز» استوحى شكل الفتاة جهة اليسار من اللوحة بشكل مباشر من زوجته الثانية «هيلين فورمنت».

وتُعدُّ هذه اللوحة التي رسمها «روبنز» بعد زواجه بفترةٍ قصيرةٍ خير دليل على مدى السعادة التي كانت تغمر حياته في تلك الفترة، كما تسرَّب الطابع الحسِّي إلى رسوماته منذ ذلك الوقت، وقداحتفظ روبنز بهذه اللوحة حتى وفاته في عام ١٦٤٠، ثم اقتناها الملك فيليب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السادس من بعده وأخذها إلى إسبانيا.

سرد داوود تاريخ اللوحة وختم كلماته بطرح سؤالٍ عليك مبتسمًا:

- هل تعرفين لماذا أموت ندمًا على عدم وجودي في تلك الحقبة البائدة من الزمن الذي جمع الأساطير والآلهة وكان مرتعًا خصبًا للفن الحر؟

تهمسين مبتسمة:

- لا، لا أعرف.

يجيبك مستنكرًا:

- حقًا، لا تعرفين؛ كيف ذلك؟ اسمك حبيبتي ولا تعرفين سرًا كهذا عني.

ترتبكين مرددةً:

- امم.. ممم.. ممم.

يسارع داوود بوضع كفِّه على شفتيك مبتسمًا:

- امم.. امم... ماذا؟ أنا أيضًا لا أعرف.

ثم يضمُّك إليه في حين تتراجعين أنتِ خطوة وتهمسين في غضبٍ ممتزجٍ بغنج:

- لا، أنت رجلٌ سيءٌ وشريرٌ، ابتعد عني.

فيقترب هو تلك الخطوة التي ابتعدتِها ثم يلفُّ ذراعه فوق كتفك، ويتحرك بك فتكملان السير البطيء المتأمل وعلى شفاهكما نفس الابتسامة بنفس الزاوية، حيث تُمَطُّ كل من الشفتين إلى أحد جانبيها بميل زاويتين حادتين في حين تطبق كل واحدة منهما فوق الأخرى في تآلفٍ ناتجٍ عن راحةٍ، تتوقفين أمام لوحة تسمى «رجلٌ نبيلٌ واضعًا يده على صدره» فيعدل داوود وقوفه بحيث يعطي اللوحة ظهره ويقف قبالتك متخذًا وضعية الرجل في اللوحة مرددًا:

- الرجل النبيل واضعًا يده على صدره.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تضحكين وتقولين له وأنتِ ترفعين بيدك خصلة تدلت من شعرك على جبهتك:

- هيا أيها المرشد السياحيُّ النبيل، احك لي قصة هذا الرجل النبيل الذي يضع يده فوق صدره، ولماذا يضع يده هكذا فوق صدره؟ هل كان صدره يؤلمه هذا النبيل؟

يعتدل داوود ثم يجيبك:

- سيدتي هذه اللوحة تصويرٌ شخصيٌّ لشخصٍ غير معروفٍ يرتدي بذلةً سوداءَ كما ترين بنفسك ذات ياقةٍ وأكمام مشدودين وساعة جيب متدليةً وحاملاً سيفًا، مما يشير إلى أنَّه كانَ من النبلاء، وتُعدُّ هذه اللوحة واحدة من التحف الفنية الخاصة بعصر النهضة الإسبانيِّ، كما أنَّها من أشهر لوحات «إل جريكو».

علمًا بأن لوحة «رجلٌ نبيلٌ واضعًا يده على صدره» رسمها «إل جريكو» في أعوامه الأولى لمزاولة الرسم في «توليدو»، وهي تتميز بالنظرة المعبِّرة المباشرة من عينيِّ الشخص الجالس في اللوحة، كما تتميز بالإيماءة الطبيعية لليد، وهناك عدد من الافتراضات حول هوية الشخص الجالس في اللوحة وحول مغزى اللوحة نفسها؛ حيث يرى البعض أن إيماءاته تدل على الندم أو العزم على فعل شيءٍ معيَّنٍ، وهناك شكوكٌ منطقيةٌ تقول إنَّ هذا الشخص هو «خوان دي «سيلفا ريبيرا الثالث» - ماركيز مدينة «مونتيمايو» وعمدة حصن مدينة «توليدو»- وقد رُسمت هذه اللوحة في مسقط رأس دوق «أركو» في «إل برادو» «مدريد».

- هل لديك أسئلة أخرى سيدتي؟

تبتسمين دون أية إجابات وتهيمين في عينيِّ داوود حبًّا.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١١-

غواية

إنَّ عمرك عاليا يمتد لمئات السنين، عمرك هذا الذي قمت بتدوينه آلاف المرات بإعادة تشكيل تلك الثمانية وعشرين حرفًا، لابتكار حيواتٍ وأرواحٍ وكلماتٍ تعبر، وجملٍ تحكى، أنت تلك الحروف وتلك الكلماتُ وتلك الجُمل، تعيش روحك مستقرة خلف هذه الأبجدية لتضيف إلى كل عاليا جديدة، خبرات عاليا التي ما ماتت يومًا إلا لتولد مرَّةً أخرى.

ولذلك ورغم توقف كلِّ خلاياك إلَّا أنَّ عقلك لم يزل ينبض، وهو ما يحرِّكك الآن ويتحرك بك في خطوطٍ كثيرةٍ، هنا وهناك، قريبًا وبعيدًا، يتحرك بك إلى الحاضر والمستقبل، بل وإلى الماضي، يتحرك بك رغم ثباتك ورغم جمود كلِّ شيء بداخلك، وكلِّ شيءٍ محيطٍ بك.

أتذكر جيدًا ما أدمى بقلبك، ما جعلك تراهنين على خسارة كلِّ وأيِّ شخصٍ، أتمنى أن أتألم مثلك، أن أكون شريكتك في الألم كما كنتِ شريكتي أنتِ في ليالي ديسمبر البارد، وقد كان «ديسمبر» ذلك الذي تقضينه معي غير «ديسمبر» داوود فـ «ديسمبري» معكِ كان خاصًّا مختلفًا، وكان عامًّا عاديًّا كان دافئًا وباردًا كان بكل ما يحمله من أعوامٍ يحلُّ فينا، نعم فـ « ديسمبر ١٩٩٠» كان بكلِّ تأكيدٍ غير «ديسمبر ٢٠٠٩» ونهارات أي «ديسمبر» فيهم كانت بكلِّ تأكيدٍ غير لياليه، ولكن المشترك في كل هذه الـ «ديسمبرات» هو أنفاسنا؛ تلك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

التي تسربت إليه -إلى ديسمبر- أيُّما كان ووقتما جاء، حيث كانت تدفئنا الأحاديث الطويلة عن جدتك عائشة التي كانت تحب جدك بجنون، وعن جدك حنيف هذا الذي بنى منزلًا عاش فيه أربعة أجيالٍ كاملةٍ، لَكَم ضحكنا من هول فعلته فكيف احتملت العائلة هذا الترابط المتين؟ والذي حتمًا أدى إلى تفككها البشع فيما بعد.

كنتِ تشعلين سيجارتك بجانب الطاولة المستديرة في منتصف المطبخ، وتلفِّين شالك الأرجواني الذي غزلته لك جدتك على كتفيك حيث تجلسين على كرسيٍّ، وتمدِّين رجليك على الكرسي الآخر المجاور له، وأجلس أنا في مواجهتك لأسمعك، كنت تحكين بعضًا من الحكايات التي مررتِها إلى روايتك، تلك التي أرَّقتك طويلًا وقررت أن تذكري فيها كل ما له علاقة بحياتك الماضية؛ وربَّما الآتية، حتى إنك لم تبخلي على بطلتها فلم تغدقي عليها فقط من مشاعرك وحياتك التي عشتِها والتي سوف تعيشينها والتي بالفعل تعيشينها-وقت الكتابة- بل أعطيتِها كلَّ شيءٍ، حتى اسمك، عاليا.

أتذكر واحدة من ليالي «ديسمبرٍ»، حيث كنتِ تحكين عن خوفك من الدرج المظلم في المنزل وأنَّ لا أحد كان يفكر أن يغير تلك الإضاءة النيون التي كانت تنطفئ أكثر مما تضيء، وعن تلك الجارة التي نزحت إلى مدينتكم الصغيرة بعد الحرب التي قامت في بلادها، وكانت دائمًا ما تعطر المنزل من أول طابق إلى آخر طابق برائحة السمك المشويِّ الذي كانت تطهيه يوميًّا، وحين كنتِ تسألين أمك لماذا لا تأكل هذه السيدة شيئًا غير السمك؟ فتجيبك:

- إنَّ بلادها التي أتت منها تقع على البحر وهذه عادة أهل السواحل يحبون أكل السمك كثيرًا.

كنتِ تنفثين دخان سيجارتك فيما تروين حكاياتك التي أحببتها،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يتخللها بعض الصمت وكأنكِ كنتِ تغوصين في الماضي تسترجعين اللحظة التي تحكين عنها وكأنَّها تحدث الآن، كنتِ شريكتي أيضًا في صحبة البحر الذي كنَّا نجلس أمامه لنقدم اعترافتنا ونطلب منه العفو، ونلقي إليه بأمانينا.

وأتذكر أيضًا تلك الليلة التي باغتتك الحمى وسهرتُ أنا يومها ألطف سخونة ليلك بكمادات الماء البارد، وأحدِّثك عن نجاح روايتك الأخيرة، وكيف يتحدث عنها النقاد مدحًا ليس فقط بل كيف يتحدث عنها قراؤك بفخرٍ وإعزازٍ، وكنت تبسمين لي بثغرك الورديِّ المتشبع بحرارة جسدك، لا تدركين كم خفت وارتعبت عليك في تلك الليلة وسهرت جوارك إلى أن أشرقت الشمس وأصبحتِ أنتِ معها بصحةٍ وعافيةٍ، وقد زالت الحرارة.

لقد جلست معك ما تبقى من اليوم أصنع لك حساء الخضراوات، وأناولك الطعام بيديَّ وأحكي لك وأغني لك لكنك طلبت تلك الغنوة التي تحبينها لـ «سعاد ماسي»، ورفضت أنا أن أغنيها لإدراكي مدى الألم الذي تتركه في نفسك، ولكنني ضعفت أمام إصرارك وغنيت:

– «تلاقيت بيها مع العصر، أنا كنت داخلة للدار، وهي خارجة من عند المصور أربع سنين وأنا بلا أخبار معرفش وإيش الزمن فيها داير معها ولا عليها دار، ضحكت لي وابتدت تبكي، قالت لي: أنا عايشة في نار.

قالي المصور: اضحكي، قالت لي: الأغنية ديا لك تعجبني، تغني فيها عن الطير اللي عمره ما طار، عمره ما طار.

جاب لي ربي كي عليا تغني، وأنا الطير اللي عمره ما طار، عمره ما طار.

شدتني وابتدت تهدر دموع عينيها م الكحل تقطر، قالت لي: أخت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سعاد، هكدا ولا أكتر.

العام اللي أنتِ رحتي فيه بابا جات الموت باش تديه، واليوم راح تحت القبر. ويُما ما تعقليهاش على اتناش شهر، وهي طايحة فراش، ولليت نكره الدار.

قالت لي الاغنية ديا لك تعجبني، تغني فيها على الطير اللي عمره ما طار، اللي عمره ما طار.

جاب لي ربي كي عليا تغني، وأنا الطير اللي عمره ما طار، اللي عمره ما طار.

كنت أغني وأنت تبكين، تبكين وتغنين معي:

- أنا الطير اللي عمره ما طار.

سهرنا ليلتها معًا نبكي ونضحك، ونحكي ونغني، إلى أن سقطنا في هوة النوم العميقة.

استيقظتِ ظهرًا فكان لديك موعدًا لتسجيل إحدى الحلقات الإذاعية عن روايتك الأخيرة واتفقت معك أن نتقابل بعد أن تنتهي من التسجيل على أن نذهب للسينما سويًا، وبالفعل غادرتُ المنزل قبل موعدي معك بساعة، كان موعدنا أمام السينما، وانطلقت إليكِ تكاد قدماي لا تلمسان الأرض أطير إليك طيرًا، عبرت بعض المناوشات المرورية في زحام وسط البلدة كي أصل إليك ووصلت قبل موعدنا بعشر دقائق، لكنّي وجدتك هناك على الطرف الآخر من الشارع والفوضى والزحام، تنتظرينني بنظرتك الواثقة وابتسامتك الأكثر ثقة، على بعد خطوتين من السينما لمحت لمعان عينيك كمثل نورٍ بهيٍّ ينبعث من بين ظلمة تكدسهم وتدافعهم، نزلت إلى عرض الطريق مسرعةً غير آبهةٍ بسرعة السيارات حولي، وعبرت إليكِ، التقيتكِ عاليا وناولتِني التذكرة وطلبتِ مني أن أسرع لأن الفيلم سيبدأ على الفور

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

ورحت أسألك وأنت تجريني من ذراعي لاهثة:

- كيف كان حال لقائك الإذاعي؟

تجيبيني باقتضاب:

- تمامٌ، كان لقاءً ظريفًا.

لا أكتفي بإجابتك وأعاود سؤالك:

- ظريفًا كيف؟ هل سألك عن بدايتك مع كتابة الرواية؟

- نعم سألني. قال لي بلهجةٍ جادةٍ:

- إممم، أنت تكتبين الروايات إذن؟

- بالطبع.

- لم تكتبين؟

- أكتب كي أحمي التفاصيل، كي أمنعها أن تنسحق.

- ماذا تعني لك كلمة رواية؟

- أنت بالطبع قد لاحظت طريقة نطقي لحرف الراء.

- نعم؛ أنتِ بالفعل تنطقينه غينًا واضحةً.

- إذن حاول أن تتخيل كيف أنطق كلمة رواية، بل حاول فقط أن تقلدني في نطق الاسم، غواية.. فلتفعل ذلك، هيا، كما أنطقها تمامًا.

قلتِ ذلك بثباتٍ وبطءٍ متهجية الاسم، ورد المذيع بشغف مقلدًا إياك:

- غ.و.ا.ي.ة.

ثم أردف:

- ياله من وصفٍ دقيقٍ، إنّها فعلًا غواية.

وأجبتِ أنتِ:

- هي حرفيًا كذلك؛ تظل تجذبني من عنقي وتجرجر روحي متنقلة بها عبر مساحاتٍ شاسعةٍ، وتحملها إلى أماكن غريبة غيرعابئة بالمسافات الهائلة فلا تتركها إلا وقد عادت بها خائرة القوى منهكةً،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنَّها تغريني بمتعة الاكتشاف، ليس فقط بل أيضًا متعة الخلق، أستطيع التنقل بيسر في روايتي أجوب شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، أذهب إلى الماضي على مهلٍ أو أتشبث بالحاضر، أتسلل بخفةٍ إلى المستقبل، أعدِّل في الأحداث، أشطب ما لا يستهويني، وأفصِّل شخوصًا على مقاسي تمامًا، وهذا ما أجزم أنَّ أحدًا لا يستطيع أن يفعله بحياته.

- ألستِ أنتِ الكاتب في رواية حياتك؟

سألكِ المذيع.

- لا يوجد ذلك الإنسان الخارق الذي يستطيع أن يكون ربًّا في أحداث حياته، القدر كاتبٌ عظيمٌ.

- ذلك شيءٌ مؤلمٌ.

- بكل تأكيد؛ إنَّ الحياة روايةٌ جيدةٌ غير أنَّ الكاتب يخلع قلبه ويضعه في «فورمالدهيد» كلَّما أراد كتابة فصلٍ منها، ولكن هناك خبرٌ جيدٌ، فحين أيقنت تمامًا عجزي عن أن أكونَ الكاتب في روايتي الحقيقية -حياتي- قررت بكامل قواي العقلية أن أكون بطلة روايتي الوحيدة التي أستطيع كتابتها، تلك التي بين يديك.

هكذا استطردتِ بابتسامة واثقة، ولم أكف أنا عن الثرثرة.

- هل سألك المذيع عن تفاصيل الرواية؟ وما هو حقيقي فيها وما هو متخيَّل؟ هل عبَّر عن رأيه أم استضاف أحد النقاد ليقول رأيه فيها؟

تبتسمين وتحدجيني بعينيك ثم تقولين:

- أنتِ قلت بلسانك تفاصيل الرواية وهل تعرفين عنِّي الاستمتاع بشرح التفاصيل؟

بالطبع سألني وكعادتي قلت له:

- حريٌّ بك أن تقرأها وتناقشني فيما فهمت أمَّا أن أشرح ذاتي فأنا لا أفعل، روايتي ذاتي، فلن أفعل. لكنه لم يكف عن الأسئلة مثلك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تمامًا.

- عمَّ سألك أيضًا؟

-سألني عن النبوءة؛ هل هي قصةٌ حقيقيةٌ أم محض خيالٍ؟

- وبم أجبته؟

قلت له:

- ومن أكَّد لك أنَّ حياتنا ليست سوى «ميثولوچيا»؟ فقط؛ نحن لم ندرك ذلك بعد.

واستطردتِ شاردةً:

- سألني أيضًا عن..

وسكتِ هنيهة، ثم تنهدتِ وقلتِ:

- راجح؛ سألني عن راجح.

وهنا شهقتُ أنا، وسألتك على الفور:

- وماذا قلت له بشأن راجح؟

- هلا انتهيتِ وجعلتِنا نستمتع بالفيلم أنتِ تعلمين أنِّي لا أحب الأحاديث الجانبية في السينما وخاصة أنَّ هذا الفيلم رائع.

نهرتني ثم تبعتِ حديثك بصرخةٍ:

- يا الله ... كم أنا متشوقة إلى مشاهدته.

لم أملك بعد ردك إلا الابتسام والصمت.

وبالفعل دلفنا السينما ولم يكنِ بمدخلها الكثير من الروَّاد، بل كان العدد معقولًا وعلى ما بدا لي أنَّ المقاعد ستكون خالية بالداخل -هذا ما اعتقدت- لكنِّي أعشق زحام السينما وأعشق المناقشات الجانبية في موضوع الفيلم تلك التي تزعجك عاليا، ولكن ما هذا؟ يا لها من مفاجأة؛ فعلى عكس ما توقعت تمامًا فالسينما مزدحمة عن آخرها، يبدو أنَّنا فقط حضرنا متأخرتين، تتركين يدي، وتبدأين في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

البحث بعينيكِ عن مقاعدنا وأتفحص أنا وجوه الموجودين كعادتي تلك التي تكرهينها فأنتِ تتعاملين بوصفك نجمة، ولا تتفحصين أبدًا وجوه المارة في الشوارع ولا العابرين ولا حتَّى رواد المطاعم والمقاهي التي تدخلينها، بل تتركين لهم تلك المهمة، مهمة تفحُّصِك مع متابعتهم من بعيد، تلمحين فقط بطرف عينيك انبهارهم وتركيز أنظارهم إليك في أي مكان ترتادين.

تجلسين وأجلس إلى جوارك، تنظرين إلى شاشة العرض وأنظر إليكِ، أتأمل وجهك الشاحب من جرَّاء الحمى التي عصفت بك في الليلتين السابقتين، لكنَّك جميلةٌ في صحتك ومرضك، جميلةٌ في نضارتك وشحوبك، جميلةٌ، هكذا أراك ويراك الجميع دائمًا، شعرك الأسود المنسدل على كتفيك جميلٌ، وحمرة وجنتيك جميلةٌ وبريق عينيك الباسمتين حبًّا في الحياة، والحزينتين ممَّا مرَّ بكِ وممَّا احتملتِ من آلامٍ مبرحةٍ كلُّه جميلٌ، أشعر بكِ لأنني خير شاهدٍ على الأحداث التي مررت بها، قد كنت معك لحظة بلحظة فوق المسرح وخلف الكواليس، لم أفارقك أبدًا ولا أحد غيري يعرف كيف تخبِّئين الحزن خلف تلك الابتسامة، أو كيف تخبِّئين الضعف خلف تلك القوة، بل كيف تخبِّئين الهشاشة خلف تلك الصلابة، نعم لا أحد غيري يعرف.

مضت فترة من الوقت وأنتِ منهمكةٌ مع الفيلم في عالمٍ غير العالم وأنا بدوري منهمك مع ملامحك في عالمٍ غير العالم أيضًا إلى أن حضر موظف الأمن ليسألك:

- سيدتي هل هذا الكرسي يخصك؟

تجيبينه بنعم، فيعاود سؤالك:

- أقطعتِ تذكرتين لفرد واحد؟

- لا.. ل.ا. لا قطعًا لم أفعل.. إن صديقتي معي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تجيبين عليه باديًا عليكِ القليل من الارتباك.

ويعاود سؤالك:

- ولكن أين هي؟

- في الحمام؛ هل تريد ورقة رسمية تفيد ذلك، ياله من تحقيق.. أوف.

تجيبينه متأففة ومتضررة من أسئلته المتكررة والكثيرة، فيعتذر لك عن الإزعاج مخبرًا إياك أنها احتياطاتٌ أمنيةٌ يتعامل بها مع الجميع ويمشي، تراقبينه حتى ينصرف تمامًا ثم تهمسين لي:

- حقًا إنه شخصٌ غريبٌ كيف لا يراكِ وأنت تجلسين أمامه واضحةً وضوح الشمس؟ لقد عكَّر صفو جلستنا وجعلني أضطر إلى الكذب حتى أتخلص من فضوله وسماجته.

- لا تأبهين له عاليا، هيا استعيدي تركيزك ولا تشتتي انتباهك، الفيلم في أهم أحداثه وأنت تثرثرين عن كائنٍ غبيٍّ.

أتحدث إليكِ مهدئةً إياكِ، فتهمسين بنبرةٍ بها مسحةٌ من الألم:

- نعم؛ عندكِ حقٌّ.. دعينا نتابع الفيلم مرة أخرى.

لم تتابعي الفيلم كما قلت ولكن الأفكار هي التي تتابعت في رأسك الصغير وتلاحقت الأسئلة بلا إجابات:

لماذا لا يراني غيرك؟

ولماذا أعتني بكِ وحدك؟

ولماذا لاأتحدث في وجود أشخاص آخرين؟

ولماذا أنتِ دونهن جميعًا التي أهتم بك وأرعى شأنك؟ ولم أتخل يومًا عن صداقتك؟

لماذا لا يراني أحد غيرك؟ كان السؤال الأهم من بين أسئلتك جميعًا لكنَّه تصاعد مثل كل الأسئلة في الهواء مع زفيرك بلا إجابة.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

ما كل هذه الأضرحة التي نصبت فجأة في وسط الطائرة؟ وما كل هذه الشموع الصغيرة المضاءة؟ هل بلغ الجنون بالبشر إلى حد نصب الأضرحة في الطائرات؟ ترين معي العديد من الوجوه المألوفة تطل من خلف تلك الأضرحة بل من داخل دواليب رصت بجانب بعضها البعض رصًا متقنًا، ما الذي يحدث؟ وكيف نبتت تلك الشجرة هي الأخرى في الطائرة يا لها من طائرة مليئة بالمفاجآت إن حكاية عن سقوط طائرة مثل هذه في مثلث برمودا لهي أقرب من هذا العبث الذي يحدث لك هنا.

أتلك الرحلة تخصُّك حقًا؟ هل أنت بالفعل داخل الطائرة؟ أم أنها أخرى تشبهك؟ تشعرين أنك قابلت كل من حولك في مكان وزمان ما، لكنَّك بالكاد تتذكرينهم، تلك المضيفة الشقراء، والسيدة «صاد» والسيدان «دال» و«راء»، تشعرين كأنَّك تعرفينهم بل أكثر من ذلك، لكن هل تلك السيدة التي تجلس على متن الطائرة هي أنت؟ ربَّما؛ وربَّما هي أخرى تشبهك وتعرف أشخاصًا تكادين تعرفينهم أيضًا، ربَّما أردت أن تعيدي ترتيب أماكن الأشخاص وأزمنة ملاقاتك لهم في رحلة حياتك فسافرتِ بداخلك، ربَّما أيضًا أردتِ أن تكرِّري أخطاءك بطريقة أفضل فقررت أن تتعرفي على حياتك من جديد، إنك عرجت إلى سماء واحدة فما بال سبع سماوات؟ ربَّما لو عرجت خلالهم لوصلت لما تريدين؟ وما الذي تريدينه حقًا؟ أتريدين إجابة لأسئلتك؟ أم أنَّك تريدين أن تسألي ويكفيك شغف السؤال دون التطلع لأي إجابات؟

وعاليا؛ يالها من مسكينة لقد خطفتِ منها راجح، سرقتِه واحتفظت به لنفسك بمنتهى الأريحية حتَّى أنَّك لم تلتفتي للحظةِ لتعرفي ما حدث لها جرَّاء فعلتك، ولكن ألم يكن راجح لك من البداية؟ أنت صاحبة القصة كلها وأنت من أعطى عاليا كل ما لها حتى اسمها؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

عاليا؛ هو بالأصل لكِ، وكان لابد من وجود راجح؛ كي تحتجي على الثوابت، تخرقي بوجوده التقاليد وتثوري على عاداتٍ قميئةٍ أفرزها مجتمعٍ مريضٍ، أنتِ خلقتِ راجح وارتأيتِ أنك أحق به.

اربطوا حزام الأمان

ممنوع التدخين

ينبغي إغلاق التليفونات المحمولة

ممنوع جلوس الأطفال الأقل من خمسة عشر عاما في صف الخروج.

كانت تلك الجمل وبعض الأوامر والتحذيرات الأخرى تخترق أذنيك كل خمسة دقائق وكانت توقظك إذا ما استغرقت في نوم عميق بالإضافة للجمل المتكررة أيضًا من الركاب

برجاء رفع ضوء المصباح لأتمكن من القراءة

من فضلك أريد ضبط نظام الصوت

هل هناك وسيلة للاستلقاء غير هذه الوسادة فهي تزعجني وتؤلم عنقي؟

كانت كلها أصوات عادية وجمل مألوفة إلى أن كان صوت الكابتن الذي فوجئتم به يخبركم باستمرار سوء الأحوال الجوية إلى الحد الذي سيضطره إلى أن يعود بالطائرة أدراجها وذلك لأن الطائرة وبرغم اقترابها من الوصول إلا أنها لن تستطيع الهبوط بسبب كثافة السحب مما تسبب في تغيير مسار الطائرة تفاديا للكوارث وقد بدأ جملته قائلًا:

- لأسباب تتعلق بالسلامة وبسبب اقتراب عاصفة رعدية سنضطر آسفين لتغيير وجهتنا، برجاء التزام الهدوء والثقة التامة أن حياتكم في أيد أمينة.

- ساد القليل من الهرج وبعض الفوضى في مقصورة الركاب والذي كان ربما يتطور لأكثر من ذلك لولا أن القائد تحدث مرة أخرى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في وقت قصير لينسخ ما قاله عن تعديل مسار الرحلة والعودة إلى المسار الطبيعي ويبشر بتحسن الأحوال الجوية.

- ربما كان تحول مسار الطائرة هو التحول الذي حدث لك، التحول الذي أصاب مسار حياتك كلها، إن إقلاع الطائرة في بداية الرحلة وبرغم صعوبته وتأخيره إلا أنه حرَّركم أنت وجميع من على متن هذه الطائرة من الكثير، ذلك الكثير الذي تركتموه خلفكم هناك على الأرض وحلقتكم بعيدًا عنه أما تحول مسار الطائرة فما الذي كان يخفيه؟ ما الذي كان يخبئه لكم أو يدل عليه؟ استقبلت الأمر بفتور كمن يعرف ما سيحدث مسبقا بل كانت صورتك في استقبال خبر تحول مسار الطائرة كأن شخصا يحدثك وأنت تشيحين بوجهك عنه، أما الآن وبعد أن هدأت الأمور مرة أخرى تستطيعين معاودة النوم.

إن نومك في الطائرة غير عابئة بكل البشر والأحداث من حولك تعطيني الفرصة كاملة لأقترب منك، الآن تغطين في نوم عميق والآن أيضًا أستطيع أن أراكِ، ها أنتِ تذهبين للمكان الذي يجمعني بكِ حبيبتي كم أرهقني ابتعادك عني الفترة السابقة وكم أتشوق لرؤيتك، ها أنتِ تنظرين في توجس للجدران تتأملين المكان ثم تقومين في حركة هستيرية غاضبة وسريعة جدًا بإزالة اللوحات المعلقة فوقها ليس فقط بل تنزعين أيضًا ورق الحائط وتحاولين حتى نزع المسامير المثبتة بها مما يؤدي إلى جرحك في أماكن مختلفة من يديكِ ولكنك لا تعبأين بالجرح فقد ألفتِ الجروح أنتِ أيضًا متصالحة مع الدم، تتوقفين، ثم تنظرين للجدران العارية نظرة متفحصة عميقة يبدو عليكِ الانغماس في عالم آخر فالجدران خالية من كل شيء ربما تُشكِّل عالمًا في وجدانكِ عالمًا قديمًا ذهبت إليه من قبل، تنظرين إلى صدرك وكأنك تبحثين عن شيء ما، تغوصين في الذاكرة لتلتقطي هذا الشيء المعلق على صدرك ترينه وأراه معكِ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

أنا معكِ داخل ذاكرتك الآن عاليا وأرى هذا الشيء المعلق فوق صدرك، إنه رقم، نعم رقم ولكن ماذا يعني هذا الرقم؟ انتظري إنه ليس رقمًا واحدًا بل أرقامًا عديدة أراكِ تتفحصين المكان ويدك معلقة بهذا «الآي دي» ما لهذه الحوائط ذات الأسقف العالية؟ مالها مجردة من كل شيء حتى الطلاء؟ كل ما ترينه فوقها بعض من رسوم الـ «جراڤيتي» تلك التي رسمتِها بنفسك، تتذكرين كل شكلٍ رسمتِه وقصة رسمك له، إن هذا المكان أشبه بزنزانة، يؤكد ذلك هذا الرقم على صدرك ولكن يبدو أنك قد سُجنتِ عدة مرات لأنك ترتدين أرقامًا عديدة وتتذكرين أشكالًا كثيرة لزنزاناتٍ مختلفة حتى الكلمات المرافقة للـ «جراڤيتي» ترين أنكِ كتبتِها بلغات مختلفة ولكن الصورة لا تبدو كاملة فثمة جزء بعيد في ذهنك يتذكر قفصًا حديديًا وأنتِ تتشبثين بأعواد فما هذا؟ قفصٌ كامل الهيئة؟ إن من يسجن في قفصٍ هي الحيوانات، إذن ما معنى ذلك؟ أكانت روحك لأحد الحيواناتِ في عالم غير هذا العالم وحياة غير هذه الحياة؟ أنتِ لا تدرين حقًا ولا أنا أيضًا، أنتِ منهكة عاليا وربما وجب عليَّ أن أتركك للنوم دون إزعاج ولنؤجل مقابلتنا لمرة أخرى تكونين فيها متأهبة للقائي وللحكي معي بدلًا من كل علامات الاستفهام التي تعتصر طاقتينا معًا.

دعيني أذكرك حتى لا تنسي أبدًا؛ أنتِ محبَّة بدرجة قاتلة عاليا، لقد غادرتك التلقائية والبساطة منذ غادرك داوود وحلَّ محلهما الغموض الذي أصبح يكتنفك دائمًا، لكن هذا شيء طبيعي فمال القتل بالبساطة والرقة؟ إنه فعل يخص الفجور وقسوة القلب، بل تحجره، السجن يليق بك فلا تتعاملي معه بطريقة المظلومين تلك، وانزعي هذه البراءة من عينيك فهي لا تناسب قاتلة.

❊ ❊ ❊

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

مزامير داوود (٢)

كلما كانت التفاصيل مرتبة وتسير في سياق كلما كانت الحكاية أكثر حبكة، لكن من منا الذي يملك السياق والحبكة؟ من يملك التفاصيل المرتبة لحكايته؟ إن ما يميز الحياة تلك التفاصيل المبعثرة هنا وهناك، التفاصيل التي تخرج كثيرًا عن السياق وتبتعد عن الحبكة الأصلية للحكاية، كان راجح التفاصيل المبعثرة في حكايتك، والتي لا يمكن جمعها وترتيبها، كان السياق الغير منتظم للحكاية، والذي لا يمكن أن تنتظم الحكاية بدونه.

❊ ❊ ❊

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١-

أوزوريس

هل تتذكرين إنصات راجح لحكاياتك كم كان ودودًا، وكم كان يحبك، كان يكبرك بأربع سنواتٍ وكان صديقًا ربما لم تجدي مثيله في أصدقائك جميعًا، فقد كان يحمل قلبًا مميزًا وطابعًا أصيلًا في مساعدة الآخرين، على الرغم من أنه من ذوي الاحتياجات الخاصة إلا إنه كان شابًا جميلًا، لم يكن يستطيع النطق، أبكم، وربما كان بطيء الفهم فيما يخص الأمور الاجتماعية، لكنه كان يميز بقلبه ما تعسر على عقله استيعابه، وبخلاف تلك الأمور الإجتماعية كان راجح حاد الذكاء، كان يحدثك كثيرًا ويسمعك كثيرًا، كلّ ذلك بلغة الإشارة التي تعلمتِها من أجل التفاهم معه بسبب الفترة التي قضاها معكِ في مرضك، يخدمكِ ويقضي لك ما تحتاجين من الأسواق.

كان راجح يقول لكِ إنه غير عابئ بكونه أبكم، فهو لا يريد التعامل معهم، إنه مثلك عاليا عانى منهم ولا يريدهم في حياته، إنه سعيد بالابتعاد عنهم مثلك تمامًا، بل كان يقول أيضًا إنه أحب حكاياتك وأنك كاتبة عظيمة وأن الناس ستحب حكاياتك التي تكتبينها في الكتب مثلما أحب هو حكاياتك التي تقصينها عليه، لقد كان شخصية رائعة، ليس فقط، بل من أجمل وأرق الشخصيات التي قابلتِها في حياتك، ذلك الشاب الوسيم الذي يملك ملامح فتى السينما، كان يشبه إلى حدٍّ بعيدٍ ذلك النجم الذي أفسد عقلك؛ «چيمس دين» صاحب الوجه الباسم والملامح الانسيابية الناعمة، وذلك الشعر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المسترسل في غير تعقيدٍ، وتلك الشفاه المكتنزة المرسومة والعيون العذبة الحزينة مثل زهر البيلسان.

إن راجح كان يمارس الحدس كطريقة حياة، لذلك وجدتِه مختلفًا عنهم، وعليه فقد سمحتِ له أن يقترب في وقتٍ لم تكوني تسمحين لأحدٍ بالمساس بمنطقةٍ أوبأخرى من حياتك، وكان هذا لأنك وجدتِ روحه تشبهك ووعيه مستقى من روحٍ شفافةٍ مثلك، تلاقيتما في نقطةٍ هوائيةٍ على عتبة الحياة والفكر والذوق والفن والموسيقى، وربما لأكثر من هذا، بالطبع تدركين ما أقول؛ حيث كنتِ تقضين معه أغلب الوقت، فقد كان يأتي صباحًا حاملًا إليكِ الجرائد والطعام الذي تحتاجينه لإعداد الفطور، وبعض الرسائل الواردة في بريدك الذي مازلت محتفظة به رغم هجران الكلِّ له واتجاههم للبريد الإلكتروني الذي كنتِ تستخدمينه أيضًا، ولكن وقع الرسالة في صندوق بريدك العادي ذلك الصندوق الخشبي الصغير المثبت في مدخل منزلك يختلف في الإحساس والتأثير كليًا، كان يأتي راجح مع انبثاق النور في جوف منزلك، وكان هو النور الذي ينبثق في جوف روحك في تلك الفترة التي حجبتِ فيها عن نفسك كل احتمال للمواجهة مع نورٍ زائفٍ، وشمس تمد حريقها مع كل الخيوط والأشعة التي تصلها بكِ.

كان راجح أيضًا نقطة صفرك التي بدأت من عندها إعادة اكتشاف ذاتك، ووصلت بها لعددٍ لا نهائيٍّ من النهايات أغلبها كان من ذلك النوع المفتوح الذي تستطيعين معه إعادة تشكيل ذاتك إلى آلاف الذوات التي تناطح الأصل مع احتفاظها بالارتكان إليه، كان يعينك على ذلك ذاكرةٌ حملتِها معك أينما ذهبت واحتفظت فيها بكل ما يجدر الاحتفاظ به، وقد كانت تصحبك دائمًا حاملةً عنك تلك الذاكرة -حتى لا يثقلك حملها- روحك؛ ذلك الكائن الحي الذي صادقتِه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

وعاهدتِه أن تخلصي له ما حييتِ؛ تلك التي وعدتِها بأن تنتزعي نفسك منهم حتى تكوني صافية لها وحدها، وقد كان راجح يتفهم ذلك فلم يكن وجوده في حياتك متداخلًا أبدًا مع تلك الحالة الروحية التي عشتِها كاملة ، بل شمَّر عن ساعديه ليعينك هو الآخر على تشييد عالمك الخاص ولم يكن عائقًا للحظة أمام حدوث ما ابتغيتِ.

لم يكن من العسير على راجح أن يعي حقيقتك ولذلك كان من اليسير ممارسة الحدس لما تريدين، وعليه كان يلبِّي احتياجاتك دون أن تطلبي منه شيئًا، كان يدرك ماهية وجدانك وحقيقة تشكيل هذا الوجدان المصنوع من خيوطٍ من نورٍ لا متناهي يحلق بك في المدى البعيد، لذلك كان يعترف بوجودك ويساعدك على الإحساس بهذا الوجود والتعايش معه برغم انفصالك اللاواعي عنه، كان يذكِّرك بكل ما يصلك بعالمك المحسوس ويعين ذاكرتك الأساسية على الاستعانة بالذاكرة المؤقتة في عملها حتى أنَّه كان يصلك بالماضي، بحجرتك القديمة؛ تلك التي لم يتبق لك منها سوى رائحة الكتب المكدسة أتلالًا، بعضها اشتريتِه وبعضها أهداه لكِ والدك وبعض صديقاتك أثناء الدراسة، كانت تلاحقك أنفاس تلك الكتب العتيقة أينما ذهبتِ كأنها أرواح لم تستقر في قبورها، كانت تطاردك بشكلٍ عنيفٍ كتلك البومة التي تنعق في الظلام، وكالكوابيس التي تزور المختلين عقليًا بشكلٍ منتظم، المؤلم حقًا أن تلك الذكريات أصبحت تشكِّل جزءًا لا يستهان بهِ في حاضرك، وحاضرك لم يعد سوى صدى لأصواتٍ تأتيك من بعيد، منذ عالمٍ قديم ومنذ حزنٍ كبيرٍ ومنذ وحدةٍ قاسيةٍ، لم تستطيعي الإفلات من ذلك الصدى لتدركي وقع الصوت الأصلي لنفسك ووجودك وحقيقتك، ولهذا كان وجود راجح في حياتك.

كل ما كان يفعله راجح في تلك الفترة هو أن يربت على رغبتك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المثقلة بالوجع بصمتٍ مشتهي، ويلعق الصبر من فوق جسدك ويسكب فورته كزبد البحر فيذوب الملح في نعومة مشاعرك المرهقة، ويضيع الماء بين مسامات الحزن الواسعة في قلبك، كان يفعل ذلك وأكثر دون أن يلمس روحك المختبئة تحت الطبقة الأولى لبشرة جسدك، كان يحافظ عليها بكرًا ويؤيد وجودها بداخلك ولا يحاول مطلقًا الاندماج معها تحت أي مسمى، ودون إقصاء لمنحنيات الاحتمال الصاعدة والهابطة والتي كانت تلمع في خياله وكنتِ تلمحينها أنتِ في عينيه، كنت تلمحين ذلك في صمتٍ دون أدنى إشارة لرغبتك الخفية في متابعتها وسعادتك الغامرة بذلك التحول الضخم الذي يحدث في أقل من لحظةٍ في «ميكانيزم» وجدان شخصٍ غير عادي مثل راجح، فقد كان قربه اليومي المنتظم منك يذكِّرك بتلك الجلسة الأسبوعية للاعتراف في الكنيسة القديمة التي كنتِ تزورينها مع صديقتك صفية حين كنت في السابعة عشرة من عمرك دون علم أحدٍ، فقد كانت تصطحبك معها ذلك لأن أهلها لم يكونوا بالبلدة، وكانت تعيش وحيدةً مع جدَّتها والتي كانت تجبرها على الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد، فيما كانت هي ترى ذلك الأمر مملًّا إلى أبعد حد، بل وغير ذي جدوى، إلى أن اقترحت عليك طريقةً جديدةً للعب ولإضفاء جوٍّ من المرح على ذلك الوقت الذي كان لابد أن تقضيه أسبوعيًّا في الكنيسة.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٢-

أكتوبر ١٩٩٢

كانت صفية الفتاة المسيحية الواضحة الجمال والجرأة أيضًا، ذات العيون الواسعة والضحكة الرائقة التي لا تهجرها أبدًا حتى في أحلك الأيام، تلك الفتاة التي يخفي مظهرها الكثير من تعقيدها الداخلي الذي يجعل خوفها من الحياة في الأمور الحقيقية يضاهي جرأتها في أمور اللعب والمرح، كانت صفية صديقتك الوحيدة في هذا الوقت وكنتما تبتكران كلَّ طريقةٍ ممكنةٍ للعب بغير الطرق المعتادة، وكانت أحدث الطرق وأكثرها إثارةً وتشويقًا تلك اللعبة التي اقترحتها صفية عليك وهي؛ ذهابك معها للاعتراف يوم الأحد في الكنيسة القاطنة بالحي الذي تربيتِ فيه، وممَّا جعل حماسك مضاعفًا ذلك القس الشاب الذي كنتِ تعترفين أمامه، حيث كان يجذبك جذبًا صوته الناعم في غير ميوعة، والمتزن في غير حدة، كان صوته يأتيك همسًا عبر أعمدة من الخشب كشاكلة الشباك في العصور الأقدم فيما يسمى بـ«المشربية» المغطاة بالستائر الشبكية، ومن برجه المعبَّق برائحة الإيمان يطلُّ إطلالةً ضبابيةً ناعمةً ليسألك عن آخر ذنبٍ اقترفتِه في الأسبوع الفائت، وتكتمين ضحكةً طفوليةً تفضح إعجابك بظلال ملامحه التي تطل من خلف شبَّاكه المقدس وصوته الذي يخترق أذنيك ليصل إلى قلبك ومنه إلى مسام جلدك، تبغين لو اعترفتِ له بأنك على غير ديانته وأنك متسلِّلة إلى الكنيسة مع صديقتك، لكنَّك تكتمين ذلك وتخترعين ذنبًا تحكين له عنه، فقط لتستمري في لعبتك، كنتِ تخترعين دائمًا هذا الذنب الذي له علاقة بالحب أو بالجنس وكنت تتحدثين معه في غير خجل أو خوف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

حتى تشبعي رغبتك في وصف ما تتوقين إليه وما أبرع الخيال في وصف أشياء يفكر فيها ويتمناها ولا يدركها..

– سيدي هل أخبَرك الربُّ لماذا خلقنا بتلك الهيئة الجسدية؟ هل أخبرك لِمَ أودع بنا الرغبات الخفية؟ لا أدري أخَلَقَ الربُّ لي ذلك النهد النافر وهذا الجسد البض، تلك الأفخاذ الناعمة وسكب فوقهم تلك الشهوة المتدفقة كي يمنعني عنهم؟ كيف؟ كيف وكلُّ آيةٍ في الكتاب المقدس تقول أنَّ الربَّ رحيمٌ؟ مالرحمته شملت كلَّ شيءٍ ونسيت أجسادنا تلك التي نحتها بيديه؟

وتسترسلين:

– مازلت أحسُّ بيد الله فوق جسدي ترسمه وتظلِّل انحناءاته، رغم أنِّي ولدت منذ ستة عشر عامًا، بل خلقت قبلها بقرونٍ فأنا أشعر أني عشت أعمارًا كثيرة، وأني عجوز حُرمت من ممارسة حياتها وحُرم جسدها من ممارسة كينونته، نعم؛ فالفضاء الوسيع حولنا منحنى ومندمج مع الزمان، هذا الأخير الذي يحفُّ المكان ويحكم زمامه فلا يستطيع الإفلات منه، هذا ليس كلامي يا سيدي ولكنَّه كما يقول إينشتاين عن الـ«زمكان» بحسب ما علمونا في المدرسة، إذن فعمري ألف عمر فوق عمري وكما يقيد الزمان المكان تحكمني الرغبة العارمة وتقيد جسدي عاريًا بالحبال الشائكة، لكن يقتلني رفض الرب لجغرافيا جسدي، تلك التي خلقها بيديه، ورفضه لشهوتي المتأجِّجة، تلك التي فصَّلها بإبداعه، ورفضه لكوني أنثى، هل من الممكن أن تسأله؟ هل يخجل أنه خلقني؟ وهل تمنى لو أنَّه لم يخلقني أبدًا؟ إن كان الرد بلا فقل له:

– لِمَ يعذبنا بأجسادنا؟ وسأكون ممتنة لك جدًّا سيدي لو أتيتني منه بإجابة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت تسترسلين في وصف تفاصيلٍ حسَّاسةٍ مترقبة رد فعل ذلك القسِّ الشاب بتأثير كلماتك التي كانت تسري كالخدر بين أوصاله، والتي كنت تعلمين مسبقًا مدى تأثيرها وتأثير صوتك المتهدج المتناغم مع طبيعة المكان الذي يعجُّ بإضاءة الشموع الخافتة، بالإضافة لوجودكما معًا وحيدين فكنت تحصلين على ما تبغينه، تلاحظين ذلك في نبرة صوته التي كانت ترقُّ كثيرًا بعد اعترافك، والتي كانت تختلف بكل تأكيد عن بداية حديثه، فيتقطَّع صوته أثناء محاولاته لإخفاء تنهيدات حارة بين كلماته التي كانت بدورها تتخفى خلف ثوب الاتزان والوقار.

كان ماتفعلينه بالقس الشاب شبيهٌ جدًا بما كنت تفعلينه براجح، وكأنك كنت تستعيدين معه ذكريات شبابك الأول ومقتبل عمرك بكل ما في تلك المرحلة من مرح وشقاوة بالإضافة إلى بكورة مشاعرك الصافية، الجامحة، والمتناقضة أحيانًا، كفتاة تبدأ في اكتشاف جسدها ورفض كل من وما حولها لهذا الجسد، ولكن راجح خلافًا لهذا القس كان يستقبل كل ما يحدث في صمتٍ، وليس بمسئولية الراهب الداعي إلى الله، أعانه على هذا صمته الطبيعي بغياب صوته، وكم كان له ولك في ذلك راحة.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٣-

فبراير ٢٠٠٩

ثمة رابطٌ كان يجعل صوت القس الشاب الذي سمعتِه دون أن تري ملامحه ملائمًا تمامًا في مخيلتك لتفاصيل ملامح راجح الذي طالما تأملتِ وسامته ولم تسمعي صوته أبدًا، كان راجح كقضيب القطار الذي يتحمل ما يتحمل دون أدنى اعتراض، يظل في مسار لا ينحرف عنه إلى أي اتجاه مهما كان السبب، وكان أهم ما يميز شخصيته عنهم جميعًا، عن كل من قابلتِهم، اختفاء صوته، الصوت؛ الشيء الوحيد المميَّز الذي يتبقى لكِ من كل شخص تقابلينه، وقد توقعتِ يوم رأيتِ راجح لأول مرة أنه من المستحيل أن تتقربي لهذا الشخص بأي نوع من العلاقات رغم جاذبيته ووسامة ملامحه، يرجع هذا لطبيعة تعاملك مع من حولك وما حولك عن طريق الصوت، هذاالذي افتقدتِه معه.

فقد كان راجح يعاني حالة خاصة ونادرة من حالات البَكم تسمى بالبكم الانتقائي نتجت عن اضطرابه وخجله منذ طفولته، فقد كان لا يستطيع التعبير عن نفسه بأي شكل من أشكال الكلام ومهما حدث حوله من مثيرات عديدة لإزعاجه لا يصرخ أبدًا كعادة الأطفال، وإذا تكلم القليل من الكلام يخرج الكلام من بين شفتيه تائهًا غير مرتب، ويبدو متلعثمًا، مما كان يجعله أكثر عرضة للسخرية بين أقرانه، وقد تطورت الحالة لهذا السبب وغيره حتى أصبح راجح لا يستطيع النطق أبدًا دون أي سبب عضوي يُذكر، واستمرت هذه الحالة إلى أن أصبح

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شابًا في الخامسة عشرة من عمره، وقتها أصيب بمرض الغدة الدرقية وكان لابد من إجراء عملية جراحية لإنقاذه، مما أدى لإصابة العصب الدماغي العاشر وهو المسئول عن تغذية الأوتار الصوتية مما سبب خللًا في أعضاء إنتاج الكلام لديه وأصيب الوترين بشلل تام، وبقي جهاز السمع سليمًا بينما فقد جهاز النطق قدرته الكاملة على الكلام هذا ما أخبرك به في لحظة خاصة جدًا بينكما.

كان راجح يأتيكِ بالجرائد وطلباتك ويدلف شقتك في صمت تام لأنك في البداية كنتِ صامتة غير راغبة أبدًا في فتح نافذة ولو صغيرة للحوار معه، خاصة مع ملاحظتك لنظراته التي فهمتِ ما تعنيه من أول التقاء لعينيكِ بعينيه، إلى أن كان ذلك اليوم الذي اشتد بك المرض ولم أكن بجانبك لقد لفظتِني خارجك وعشت بدوني وحيدة فترة غير قصيرة من الزمن كنت يومها تبكين غصبًا عن كل ما كان يمنعك من البكاء معهم، بكاء حد الضحك، هيستيريا كاملة، غضب ممتزج بالألم، وألم ممتزج بالسخرية، تراچيديا مكتملة الأركان.

إنه ألم المعدة؛ ذلك المغص الذي تسرب من معدتك إلى كل ما حولك، تشعرين بالمغص في كل شيء يحيط بك، ذلك الإعياء الذي يصيب آخر قطعة في ذكرياتك وآخر حفنة من الأشخاص مرت بحياتك، كان كأنه الموت، هذا الذي نختاره لا الذي يختارنا، حين نموت تدريجيًا بانفصالنا عن كل شيء وكل شخص وكل حدث، حين يمر ما يمر بنا دون مبالاة منا، إنه الفقد البطيء لأنفسنا بفقدان القدرة على تذوق الأشياء والناس، وفقدان القدرة على تمييز الطعوم والروائح المختلفة ولكن تبقى الأصوات مشوشة كالموج الهادر تعلو وتهبط في انسيابية تارة وفي عنف تارة أخرى، كنتِ من فرط الألم كمن ينثر الماء في كل الاتجاهات ثم يصبه في جوفه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ليبتلعه، كالبحر الصامت حينًا والغاضب أحيانًا، كالزَّبَدِ الأبيض حين يتداخل مع الماء المتشح بسواد السماء ليتمايز بالتضاد، ولكن ما الإبداع في هذا التداخل؟ في هذا الخليط المتضارب من الألوان؟ ما المدهش في كون الأزرق يتراص بجانب الأخضر في اللوحة؟ أو في كونه حتى يمتزج معه؟ وما الجمال في هتك عذرية الورقة البيضاء بالألوان؟ أو حتى بالمفردات؟ وما العجيب في فض بكارة الكون بكل هذا المزج اللوني من البشر والخرائط والأوطان؟ هكذا كنت تتساءلين بغضب، تريدين التقاط الأبيض من الكون ومن وطنك وجسدك ومن أنفاس كل من أحببتِ ومن روحك ومشاعرك تلملمينه قبل أن يتحد بالسواد، تخشين رؤية الرمادي يملأ الصندوق ويتسرب منهم إليكِ فتصرخين وتصرخين ولن يسمعك أحدهم.

يشبه صراخك وقتها صراخك في ذلك اليوم الذي تحدثتِ فيه إلى راجح أول مرة، فقد كنتِ تصرخين ألمًا وكانت أول مرة تكتشفين أن راجح يسمع لأن بمجرد دخوله إلى شقتكِ وسماعه صراخك أسرع إليك، وقد كان يملك مفتاحًا ليضع طلباتك بالشقة حين تكونين نائمة ذلك أنكِ إن نمت فلم يكن من السهل إيقاظك في تلك المرحلة من حياتك لما كان من تأثير العقاقير التي كنت تتناولينها، وقد حدثك العم إبراهيم حارس العقار وهو رجل تثقين به عن أمانة راجح المتناهية وشجعك على ترك المفتاح له، سمع راجح صراخك فور دخوله وجرى إليك فوجدك تصارعين الألم وهذا المنبه فوق الـ«كومود» المجاور لسريرك لا يكف عن الرنين.

يبدو أن الألم هو ما جعلك تستيقظين، وكان ذلك بعد الموعد الذي هيأتِ نفسك للاستيقاظ فيه، يبدو أيضًا أن الألم أعجزك عن مد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يدك لإيقاف صراخ المنبه، فقام راجح بإغلاقه وأسرع إليك فأشرتِ له على مكان الدواء وبالفعل أحضره لكِ، كان ثمة مشهد يمر في رأسك وأنتِ تتناولين الدواء وكأنه مكرر، نعم؛ فأنتِ تتذكرين جيدًا هذا الألم الذي كان يعصف برأسكِ وبدا أن ذلك لم يكن بالشيء الجديد عليك.

ها هي تفاصيل منزل العائلة تطل من ذاكرتك، وها أنتِ واقفة الآن أمام خزانة بحمام منزلك القديم في حيرة كالتائهة يتجاذب الصداع أطراف رأسك إلى كل الاتجاهات، الممكنة منها والمستحيلة فيأخذك إلى أماكن بعيدة داخلك، ويقذفك إلى زاوية أسفل الذاكرة لم تكوني تعرفين عن وجودها شيئًا، ثم يتهاوى فوق الفكرة بمطارق من حديد تلك الفكرة التي تحاول التأهب لتطل من داخل مخك بشكل يعيد تأهيل كل مايربطك بالعالم من أشخاص وأماكن وأحداث، ثم تدعين الفرصة للوقت ليجعل الأفكار الكبيرة تأكل الأفكار الصغيرة، وتلتهم الأماكن الأحداث ويبتلع الأشخاص أنفسهم، فيتلخص الحاضر في الماضي ويتلخص المستقبل في الحاضر ويتوقف الزمن، فتنتهي الأحداث التي تستدعي أن تتوقفي عندها ويختفي التأمل ويموت الاندهاش ولا يفلت من وعاء الذاكرة شيء صغر أوكبر، ما فهمتِه وما بحثت سنوات عن تفسيرٍ له دون جدوى، الكل يصول ويجول ويلاحق بعضه بعضًا في رأسك، ويدور في تلك الدائرة بلا انقطاع، بإفراطٍ مدمنٍ تناول جرعاتٍ مكثفة من أنواع مختلفة من المخدر، تظلين هكذا حتى يصاب عقلك بسكتة دماغية بتأثير «أوفر دوز» من الأفكار.

كان الصداع متماهيًا معك إلى حد بعيد وكأنه فعل مكرر تمارسينه منذ أمد، حتى أنك كنتِ تحفظين أسماء المسكنات التي كنت تبتلعينها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لوقف تأثير التناول المفرِط للذكريات والناس والأفكار، والألم أيضًا، ليس فقط؛ بل إنك كنتِ تعرفين جيدًا أماكن أدويتك وكأن مرضك كان قديمًا، أزليًا، يشاركك جسدك منذ خُلقتِ.

تقومين بسرعة وتجرين على خزانة بالحمام وفي تحول سريع يخرج بالصورة من داخل عقلك إلى خارجه، ومن منزل عائلتك إلى شقتك الحالية، حيث ما يحدث الآن حقيقيًا وليس متخيلًا، يدور بشقتك وليس بذهنك فقط، يحاول راجح أن يستوقفك ليسألك عن سبب فزعك وجريك هكذا لكنك تواصلين الحركة مسرعة إلى أن تصلي إلى الخزانة وتفتحينها مهرولة، فتجدين علب الدواء بأشكالها ووضعيتها وأسمائها كما تخيلتِها تمامًا، تقومين بسحب إحدى العلب ثم تقرأين ما عليها وتبتسمين، فأنتِ تعرفينها جيدًا ثم تأخذين قرصًا وتبتلعينه على الفور، وبإشارة من يدك تلوحين لراجح أنك الآن أفضل فيشير لكِ أن تتحدثي ويشير إليك محاولًا جعلكِ تفهمين أنه يسمع، فتفهمينه وتبتسمين ابتسامة متعبة ثم تقولين له:

- فعلًا.. شيء عظيم أنك تسمع.. أنا مبتهجة لهذا.

يبتسم راجح ويشير إليك متسائلًا عن القرص الذي ابتلعتِه، فتجيبينه بأنه قرص منوم وأنك ستنامين مرة أخرى وعليه أن يتركك على أن يعود في التاسعة مساءً أي بعد مرور ثلاث ساعات ثم تشكرينه ويودعكِ منصرفًا.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٤-

٧٦٢م

لا أدري ما الذي يجعل للسجن حضورًا قويًا في صوت وعيك، ربما ذلك يرجع إلى خوف منه ولكن لم تخافين السجن هل تتوقعين أن تسجني يومًا وما تلك الجريمة التي ستسجنين فيها؟ هل قتل داوود؟

ربما يرجع ذلك إلى حكاية قديمة عن السجن بصوت جدتك لم تنسيها يومًا.

يرن صوت جدتك في أذنيك:

– عاليا، حبيبتي لقد جاءني جدك أمس في المنام وأخذني من يدي إلى مكان غريب وابتسم قائلًا:

– أتريدين أن تعرفي سر الآلة يا عائشة؟ ومن أين أتيت بها؟

– نعم يا حنيف لقد وعدتني بذلك ولم تفعل.

– اليوم سأفي بوعدي يا زوجتي الوفية، سأجعلك تشاهدين عالمًا غريبًا ولكن سأطلب منك طلبًا واحدًا ... وقاطعته أنا:

– لقد ارتبت ما الأمر يا حنيف؟

– لا تخافي ياعائشة ولكن عيشي قدسية اللحظة ولا تنبسي ببنت شفه فما ستشاهدينه لن تشاهدي أمرًا يشبهه ما حييتِ ولكنكِ غالية يا عائشة لذا سأجعلك ترين ما رأيته.

ثم أخذ حنيف يدي يا عاليا وكأننا عرجنا عبر عصور وسنوات مرقت في عمر الزمن كالبرق وهناك وفي عصور قديمة بل شديدة القدم وجدت أنني أمام زنزانة كبيرة معتمة وفي أحد زواياها الأربعة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يجلس القرفصاء شيخٌ على وجهه نور برغم الظلام الدامس الذي يعج به المكان وفجأة انفتح الباب الحديدي بقوة وصلف ودخل رجل في حوالي الخمسينيات من العمر أشعث الشعر ورث الثياب لكنها أفضل حالًا من تلك الخرقة التي يرتديها الشيخ القابع في زاوية الزنزانة ثم وضع طبقًا من الطعام بل رماه رميًا أمام الشيخ ثم قال له في لهجة يملؤها الكبر:

- صف لي ربك، وهنا يتحرك الشيخ لأول مرة رافعًا عينيه في عين الرجل ويقول بصوت متعب:

- صف لي أنت الروح التي بداخل جسدك، إن فعلت واستطعت أن تصف الروح وهي المخلوق سأصف لك الخالق.

ويضحك الرجل ضحكة يملؤها الكبر والشر ثم يعاود الأسئلة:

- إذن قل لي في أي اتجاه يتجه ربك؟

وبصوت هادئ مطمئن لكنه مرهق يجيب الشيخ:

- لو أحضرت مصباحًا في مكان مظلم إلى أي اتجاه يتجه النور؟

وهنا سكت الرجل باديًا عليه علامات الغيظ وكأنه ارتطم بثلج كثيف ولم يفق من صدمة البرودة بعد، ثم استرسل بعدها بقليل:

- مصباح.. لا لا إنه عشم إبليس في الجنة، يبدو أنك تحلم بالضوء، تلك الزنزانة المقدسة لن يدخلها ضوء بل لن يدخلها سوى أسراب الفئران، رفاقك وشركاءك في العتمة، فلتنتظر فئرانك وتحدثها عن ربِّك وعن هذا المصباح الذي تحلم به، ثم تبع ذلك بضحكة مدوية وخرج مغلقًا باب الزنزانة وراءه والذي أصدر بدوره صوتًا مدويًا أيضًا.

بدأ الشيخ يمد يده نحو الطبق الذي سرعان ما تجمعت حوله الفئران لتشاركه وجبته حتى إنه كان يناول الفئران التي تعثرت في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الوصول للطبق الطعام بيديه ولم يتناول إلا ما سد رمقه فقط ثم ترك باقي وجبته للفئران تتسلى عليها، بعدها رفع عينيه إلى سماء الزنزانة المظلمة هامسًا في خشوع:

- اللهم من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له.

ثم استسلم الشيخ لنوم أو صلاة طويلة أيًّا ما كان فقد ظل على وضعية واحدة وهي السجود وهنا نظرتْ لجدك محاولة الاستفهام عما يحدث فأشار لي بالسكوت بوضع كفه على فمي فسكتُّ.

بعد وقت لا أدري قصر أم طال فقد فقدت حرفيًّا إحساسي بالزمن أفقت على صوت فتح باب الزنزانة المزعج وذلك الحارس الأشعث يزج بمسجونٍ آخرٍ ويركله أمامه صارخًا بصوت أجش:

- ادعُ ربك يعيِّن لك دفاعًا قويًّا يخرجك من الظلام إلى النور، وأبشرك بأنك لن تخرج من ذلك السجن ما حييت فربك نائم لن يسمعك.

ثم يخرج مغلقًا باب الزنزانة بنفس طريقته الشعواء.

بيد أن المسجون الجديد كان متعبًا بشده فرغم عباءته الفاخرة ومظهره الأنيق إلا أن ما بدا عليه أنه قد لاقى يومًا صعبًا قبل أن يدلف السجن ولذلك فقد استسلم للنوم فور دخوله ومرة أخرى لم أدرِ بمرور الوقت حتى استيقظ المسجون الجديد على صوت همهمات لم يكن يدرك مصدرها وكانت تلك همهمات المسجون الأول الذي بدا أنه كان يصلي بالفعل فمازال آخذًا الوضع ساجدًا ويبدو أن المسجون الأخير لم ير بسبب العتمة فور دخوله الزنزانة فلم يلحظ وجوده إلا بعد أن استيقظ على همهاته تلك وكانت عيناه قد اعتادتا العتمة فبدأ يكتشف وجود شخص آخر معه في السجن، وحين وجده ساجدًا وميز همهماته وكانت تلاوة لبعض آيات من القرآن فعرف على

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الفور أنه مسلم يصلي وهنا أعطى له ظهره وجلس القرفصاء هو الآخر ولكن في زاوية أخرى مقابلة لزاوية الشيخ الذي يصلي ثم أخرج من جيب عباءته زجاجة صغيرة يبدو أنها نوع من الخمور وأخذ يرتشف منها قليلًا ليروي ظمأه وبعدها استسلم للنوم مرة أخرى لكنه استيقظ هذه المرة فزعًا فور فتح الحارس للباب ليضع الطعام للشيخين والذي كان نفس الطبق لم يتغير فلم يزد أوينقص ثم قال:

- أعذرني سيدي الشيخ الجليل فهذه المرة سيشاركك طعامك ليس الفئران فقط، بل هذا الضيف؛ الحبر، الجليل أيضًا، هيا حدثه عن ربك ودعه يحدثك عن ربه فأنا لم أشأ أن أفرق ما جمعه القدر وقد جمعكما فلتظلا معًا ولتتشاركا حتى طبق الطعام، ثم أردف يصيح لنفسه حبر وشيخ! يالها من بلدة مؤمنة وتبع ذلك بقهقهات متقطعة مدويَّة في حوائط السجن ثم خرج وخرج معه ضوء خافت كان يتسرب من الباب في كل مرة يفتحه فيها ثم يعود ليخرج معه عند إغلاقه للباب.

بدأ الشيخ الأول في أخذ القليل مما يقتات عليه بينما تجمعت الفئران كعادتها وهنا صرخ الحبر:

- ماذا تفعل يا رجل؟ أتأكل مع الفئران؟

- وهل هناك اختيار؟ تبسَّط يا رجل كلنا مخلوقات.

- ما هذا؟ ما الذي يحدث لي؟ إنني لن أتحمل الحياة هنا ولو لثانية واحدة.

- إذن فلتمت في هدوء.

أطرق الحبر يفكر قليلًا ثم مد يده بحذر إلى الطبق ليأخذ بعض الطعام قبل أن تنتهي الفئران من التهام كل ما فيه ثم عاد يسأل الشيخ:

- سمعت الحارس يقول إنك شيخ، كما أنني رأيتك تتلو القرآن،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وقد كنت أحسب أن الأحبار والقساوسة فقط الذين يحبسون في سجون الدولة الإسلامية.

ضحك الشيخ ثم ردَّ عليه قائلًا:

- الظالم لا يهمه أن تكون مسيحيًّا أومسلمًا أويهوديًّا لأنه لا يؤمن بأي منها، فالظلم وحده ملة الظالم.

- أسجنت ظلمًا؟

-بالطبع.

- ما تهمتك يا رجل؟

- التفكير.

- وهل التفكير تهمة؟

- بالتأكيد؛ إن صارت الأمور بكل التعقيد الذي يريدونه ويخدم مصالحهم فيسرهم أن تخلع عقلك وتسير بدونه وإن خالفت عاداتهم وجربت أن تفكر فتلك كبيرة من الكبائر التي تسجن بل تقتل من أجلها.

- اشرح لي؛ كيف كان التفكير تهمتك؟

- الأمر ببساطة أن كل شيوخ الإسلام يعتمدون على القرآن والسنة أما أنا فالكتاب والسنة وفقه الصحابة والقياس والاستحسان والعرف، لكن يبدو ذلك مخالفًا للسنة في نظر البعض ممن يتعارض تشريعي وحكمي للأمور مع مصالحهم، ثم أردف:

- ألست معي أنه كلما اتسعت تلك الدائرة التشريعية كانت الحياة أبسط وأقل تعقيدًا بل وأكثر تسامحًا؟ وماذا يريد الإله أكثر من ذلك؟ أليست الأديان رسالات للرحمة والتسامح والعدل وتنظيم حياة البشربما يكفل لهم حقوقهم وحرياتهم؟ ثم سكت لحظة ونظر للحبر اليهودي ثم قال:

- دعك مني، ما تهمتك أنت يا رجل؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

ضحك الحبر اليهودي ثم قال:

- التفكير

وساد الضحك للحظات بعدها رد عليه الشيخ مبتسمًا ابتسامة عريضة:

- وهل التفكير تهمة؟

- بالتأكيد؛ إن صارت الأمور بكل التعقيد الذي يريدونه ويخدم مصالحهم فيسرهم أن تخلع عقلك وتسير في حياتك بدونه... ثم أردف يشرح:

- لقد اخترعت مذهبًا يخالف كثيرًا من المذاهب اليهودية يقوم أيضًا على الاجتهاد وأسست فرقة تتبع هذا المذهب وتدعو إليه، وما التلمود؟ ما هو إلا مدونات لمناقشات وآراء حاخامات اليهود ما الضار إذن في مخالفته في بعض الأحيان وما يتناسب مع متطلبات العصر والبعد عن التحيز العنصري الذي يملأ جنباته؟ إنَّ الذهن البشري قادرٌعلى أن يفرِّق بين الحق والباطل ويعرف جيدًا ما الذي يمكن أن يكون مخالفًا لمضرته أوما هو مسموحًا به حتى ولو كان مخالفًا من قبل لقلة ضرره مثلًا مع اختلاف العصور أواختفاء الحجة التي حُرِّم من أجلها، بربك يا شيخ ما فائدة العقل إذن إن كنا لن نستخدمه؟ ولمن سنترك تلك المهمة العسيرة، التفكير؟ لمن سبقونا؟ ثم نسير على صراط أخطائهم ونزاعاتهم بل وقيئهم إن شاءوا لنا هذا..

وسكت هنيهة ثم استرسل:

- ألا يقول الربُّ في قرآنكم عن الذين يتبعون الباطل دون إعمال عقولهم أنهم «كالأنعام أوأضل سبيلا..» وسكت ثم أردف:

- إن إعمال العقل هو الشيء الوحيد القادر على منحي الشعور بإنسانيتي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبدأ الشيخ والحبر يناقشان كثيرًا من الأمور الفقهية المتعلقة بالديانتين ويختلفان ويتفقان ويتعارضان ويأتلفان إلى أن وصل الشيخ إلى فكرة راقت جدًا للحبر حيث قال الشيخ:

- أيها الحبر الجليل فقاطعه الرجل قائلًا:

- قل لي عنان، لقد صرنا صديقين يا رجل فقاطعه الشيخ:

- إذن لا تقل يا رجل، بل أبا حنيفة.

-إذن أنت أبو حنيفة النعمان؛ لقد سمعت عنك كثيرًا إنك مناضل يا رجل وعلى ما أظن أن هذه المرة الثانية التي تحبس فيها.

ابتسم أبوحنيفة ابتسامة خجلى متواضعة ثم أردف:

- مما سردته لي تخطر في بالي حيلة ستخرجك من هنا قريبًا.

أخرج عنان زجاجة الخمر الصغيرة من جيب عباءته وعرض على أبي حنيفة الذي اعتذر متأدبًا وقال:

- الخمر قليله غير المسكر ليس بحرام وإن كان ضروريًا شربه كأن يقيك الموت ظمأً، ولكن أخشى ما أخشاه أن يقال شرب الإمام الخمر فتصبح عادة، فاحترم عنان رغبة صديقه وترك له الماء القليل الذي كان يضعه الحارس واعتمد هو على زجاجة الخمر الصغيرة ليروي ظمأه، بعدها استند أبو حنيفة على جدار الزنزانة واستكمل كلامه:

- من خلال مناقشتنا تبين لي الكثير من الأمور المشتركة بين طريقتك وبين الفقه الإسلامي فإن ذهبت للمنصور وأوضحت له رؤيتك الفكرية التي تعتمد على الاجتهاد والتي تجعل مذهبك أقرب للإسلام سيعفو عنك، قل له إنك على دين آخر غير ما يدين به أخوك وباقي الفرق اليهودية فإن تأكد هو من ذلك التشابه الشديد بين مذهبك والمذاهب الإسلامية سيلاقي الأمر قبولًا بل ترحيبًا منه وسيفرج عنك فورًا.

هنا نظر إليَّ جدك نظرة حانية ثم قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أتعرفين ما الذي حدث بعد ذلك يا زوجتي الوفية؟

فهززت رأسي في علامة على أنني لا أعرف، فقال جدك:

- لقد ذهب الحبر اليهودي للخليفة المنصور وشرح له الأمر وبالفعل خرج من السجن بينما ظل أبو حنيفة حبيس الظلمة والرؤية مصادقًا الفئران حتى زاره الخليفة ذات مرة في زنزانته وعرض عليه قضاء البلاد فرفض الشيخ طلب الخليفة، وقتها قام الخليفة بوضع الطعام للإمام بيده كأن شيئًا لم يحدث ولكن ما حدث أن أبا حنيفة مات في الحال، واتهم في جريمة قتله حارس السجن الملحد الذي بكى كثيرًا حين اكتشف أمر جثة أبي حنيفة وقال له وهو يحتضن جثته باكيًا:

- قلت لك يا رجل ابحث عن رب يحميك فهذا الرب يتخلى عن عباده فلم تصدقني.

ويقال إنَّ ذلك الحارس قد أسلم بعد تلك الحادثة من شدة تأثره بالإمام، المفارقة هنا أن عنان لم ينس فضل صديقه أبي حنيفة في خروجه من السجن، فذهب إلى ابن الشيخ الأكبر وأعطاه هدية ثمينة واصفًا إياها بأنها أغلى ما يملك اعترافًا منه بفضل والده عليه، ظلت تلك الهدية مقدسة تتوارثها الأجيال جيلًا بعد جيل دون أن يمسها أحدهم أو يحاول فتحها كانت تلك وصية الابن الأكبر لأبي حنيفة الذي كان يأمل في خروج والده وفتح هديته بنفسه وتوارثت الأجيال الهدية دون أن يفتحوها ودون معرفة السبب الذي جعلهم لا يفتحونها حتى بعد موت أبي حنيفة بعدة قرون إلى أن صارت لجدي علي الذي فتحها وعرف أنها آلة على شكل نجمة داوود وقرأ طريقة عملها التي كانت مدونة بمخطوطة مرفقة معها ولكن لم يستخدم تلك الآلة أحد إلى أن ورثتها أنا عن أبي واستخدمتها معكِ يا عائشة.

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٥-

أنتِ الآن كبيرةٌ وناضجةٌ، ناضجةٌ بما يكفي لترك سخطكِ على القدر، ناضجةٌ لتصبِّي غضبك ورفضك على اختياراتك -كل اختياراتك بالمناسبة- أنتِ قادرة على ذلك بالفعل، أنت الآن ناضجة ولكن ليس لتؤكلي تلك المرَّة، بل لتطيحي بكل ما، ومن آذاكِ يومًا، فقط تنفسي بهدوء وبعمق ثم اعترفي لنفسك أن كل اختياراتك كانت لصالحهم وهم أبدًا لم يستحقوا، ولكنك كبرت ونضجت وأصبحت امرأة صالحة بما يكفي للعن كل الذين اقتربوا من دائرتك، لكل من سمحتِ له أن يتجول في كيانك بحمقك الملحوظ، نضجت بفقدان سنوات عمرك، لكن ماذا يعني ذلك؟ أيعني فقدان القدرة على إعادة تصوير المشاهد؟ أيعني أن الكاميرا قد تتحطم في أي وقت؟ هل انفرط عقد عمرك؟ أبكل هذه البساطة والوضوح؟ يالوضوح الحياة إنها تمنحنا بقدر ما تأخذ منا ولكنَّا أغبياء بل نحن نتفنن في اختراع أنواع متعددة من الغباء مما يجعلنا نعطيها فوق ما نأخذ ونحن قانعون تمامًا بما نفعل ساخطين عليها، هذه الحياة؛ وهي المسكينة لا ذنب لها فيما فعل بنا غباؤنا لاحيلة لها في إنقاذ ما تبقى منا.

وأنتِ عاليا.. مازلتِ في مراحل الطفولة الأولى، مهما كبرتِ وشاخ جسدك -لا تقلقي سيتكوَّن من جديد- ومهما عشت حياة بل حياتين بل الكثير من الحيوات، فلا زلتِ تحتفظين بطفولتك داخلك أَمَا كان أولى لكِ أن تتغيري منذ زمن بعيد؟ أن تنضجي من الداخل؟ ولكن الآن وقد تغير كل شيء، الآن وقد نضجتِ، فلتحتفظي بطفولتك في مكانها بركن بعيد، فلن تستخدميها للتعامل مع الحياة بعد الآن، أنت كبيرة بما يكفي لتقودي حياتك، أنتِ التي ستأخذين الحياة إلى الوجهة التي تريدين، ستسحبينها من يدها كطفل صغير وتبعثرينها أشلاءً في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كل الجهات، لن تتركي لها مهمة تفتيتك إلى قطع صغيرة وبعثرتك بين أرواحهم، انفضيهم عنك جميعًا واجمعي ما تبقى منكِ -وهو كثير- لتصنعي عاليا جديدة بكل هذا النضج الذي يكفي لتمزيقهم.

حضر راجح إلى شقتك بعد ثلاث ساعات تمامًا وقام بدق الجرس ولم يَلقَ ردًّا ثم كرر فعلته عدة مرات دون صدى لأي رد فعل، فقام بإخراج نسخة المفتاح التي يملكها وقرر أن يدخل بنفسه لإيقاظك كما طلبت منه، وبالفعل دلف المنزل وقام بالضغط على مفتاح الإضاءة وأشعل النور في صالة المنزل وكان السكون يخيم على كل شيء، وكاد أن يتعثر بتلك القطة الشيرازي البيج ذات الفراء الكثيف النائمة فوق السجادة ذات النقوش العثمانية، لكنه شعر بوجودها فتفاداها مارًّا إلى الطرقة المؤدية إلى حجرتك، دخل الحجرة وأضاء الـ«أباچورة» حتى لا يزعجك بإضاءة شديدة ثم بدأ يفكر في طريقة لإيقاظك.

كانت الحجرة في حالة فوضى متناغمة ومعبأة برائحة عطرك وسجائرك عن آخرها، هنا يوجد بعضٌ من قصاصات الأوراق المتناثرة التي تكتبين بها ما يخطر لك من أفكار، وهناك ترقد قطعًا من الملابس المبعثرة وبعض القطع الداخلية الملقاة، هذا فضلًا عن أعقاب السجائر المحيطة بالكتب فوق مكتبك، وبجانب ملابسك الدَّاخلية على أرضيَّة الحجرة، وبجانب وسادتك، وهاهي صورك مع داوود تملأ جدران الحجرة، صوركما في «مدريد» وصوركما على شاطئ «الإسكندرية» وعلى مقاهي «ستانلي» وشواطئ «دهب»، أما تلك اللوحة فوق سريرك فقد بدلتِها فور عودتك من إسبانيا بدلتِ الصورة التي كانت تحوي الوردات الثلاث، فبعد ذبولهن مباشرة وضعتِ تلك اللوحة التي عدت بها من إسبانيا وهي لوحة شبيهة بتلك التي أعجبتك في المتحف، لوحة الفتيات الثلاث وقد اشتريتِها من مزاد كان مقامًا في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أحد الشوارع الجانبية للمتحف أقامه أحد الفنانين الشبان الإسبان، وهي فاعلية تُقام على هامش المتحف؛ أن يقوم أحد هؤلاء برسم لوحة مطابقة لإحدى اللوحات الشهيرة بالمتحف وبيعها في مزادات ملحقة بمعارض يقيمونها لرسومهم بالشوارع التي تحيط بالمتحف.

تأمل راجح كل هذا إلى أن لاحظ أن الـ «لاب توب» مضاءٌ بإشارةٍ خضراءٍ ضعيفةٍ يتماوج ضوؤها متقطعًا في ذبذبات معلنًا أنه «أون» أي في حالة التشغيل، فقام بتحريك الـ «ماوس» حركةً خفيفةً لتضاء الشاشة إضاءةً كليةً فيجد نفسه أمام رسالة، ويحاول بالفعل ألَّا يقرأها حتى لا يكون متلصصًا أومتطفلًا على حياتك الخاصة ولكن دون جدوى فقد وجد نفسه متحدًا بقراءتها ومندمجًا مع مشاعرك التي انبثقت متوهجة من بين الحروف.

داوود

لا أعرف كيف أتوقف عن فعل الحب ولا كيف ألفظ روحك التي حلت بجسدي ولا أنا أتقن فن الهجر ولست امرأة ماهرة في نسيان الألم، لست امرأةً نشيطةً تستيقظ من نومها صباحًا وقد عزمت على أن تنسى رجلها الذي يؤلمها، فتنزل من بيتها لتبحث عن آخر يبهجها ويجعلها أسعد من تلك المرأة التي تكونها الآن، لا بل إني امرأة كسولة إلى أبعد حد، لقد أنهكني الكسل فلم يعد لدي ما أقوم به وأكسل عن تأدية ما لا أعرفه كأية امرأة حمقاء تبتسم للحياة ابتسامة بلهاء وتنتظر المزيد بعد كل ما فعلته بها تلك الأخيرة -الحياة- ربما الالتزام بالكسل يوميًّا هو ما أثار خوار قواي الجسدية، وربما الالتزام بعشقك هو ما أزال أغطية مساحات الحنين المختبئة فيَّ وقام بتعريتها، لذا أصيبت روحي ببرد لا تشفيه ممارساتك اللاواعية التي تمطرني بها في أحلامي فحضنك المتخيَّل لا يملأ من فراغ روحي سوى زجاجة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

صغيرة من الحلم العابر فلا هو يشفيني من كسلٍ ولا هو يغنيني من شبق، ولا تحدثني عن عظمة الخيال ولا أن الوهم هو سيد الحقائق بل حدثني عنك، عن همسك في أذني ليلًا فوق رمل الشاطئ في دهب فيصلني دبيب خطوات أنفاسك اللاهثة المتلاحقة لتستقر بالقرب من أذني فأتحد بالرمال لتملأني كلي دفعة واحدةفتصبح الحقيقة الأعظم آنذاك شعوري بالاتحاد بك في تلك اللحظة ، حقيقة نومك بين ذراعي ونومي بين ذراعيك فنطير معًا بلا جناحات ونسقط معًا بلا جاذبية لتحاوطني بذراعيك ملتقطًا روحي لتحميها من ارتطام مؤكد الحدوث فاستقر في باطني يديك كطفلة تهدهدها إلى أن يغلبها النعاس أو الموت أيهما أقرب، أحتاجك داوود؛ أحتاج أن أعيش آخر لحظاتي بقربك وأحتاج أن تحتضني لحظة موتي فلتكن آخر نهاياتي على عتبة أنفاسك ولتكن أنت آخر أسطورة أخطها فوق رحلة عمري البائس.

عاليا

ثم وجد راجح نفسه أثناء البحث أمام رسالة أخرى منكِ أيضًا وهذه الرسالة فيما يبدو أنها رسالتكِ الأولى لداوود هذا ما استشفه راجح منها وقد كتبتِ فيها:

أستجمع ما لدي من قوة لأكتب لك ولماذا لم أكتب من قبل؟ ولماذا لا أكتب بعد؟ يخبرني قلبي الآن أنه يجب أن أكتب، هذا فقط ما أعرفه ففعل الكتابة إليك يلح عليَّ وبقوة الآن حتى أنني لا أدري ماذا أريد أن أقول ولكن يجب أن أقول، يجب أن أبوح بما لا أعرف، بل وأستبيح كل مفردات اللغة في هذا البوح، ليس فقط المفردات بل وأستبيح كل طاقتي ومشاعري وقد أُضحي بتوازني من أجل صياغة هذه الرسالة.

دعنا نبدأ من هنا، من فكرة التوازن، فبالفعل تلح عليك تلك الفكرة كما تلح عليَّ وكما ألحت على غيرنا من جيلنا وممن سبقونا، تلك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

الفكرة التي لا تتحقق إلا بالوصول إلى حالة من الهدوء النسبي، الحقيقي واللامفتعل -كهدوئك الظاهري وهدوئي- اللذين يحملان وراءهما البراكين من الانفعالات، لا ليس هذا هو التوازن الذي أقصده، بل أعني ذلك الهدوء الذي لا تعكر صفوه البراكين والزلازل الخارجية، هدوء السريرة بالأصل، هدوء العقل من معاركه اليومية مع طواحين الهواء، وهدوء القلب من انفعالاته المستمرة، كيف لنا هذا؟ كيف ونحن ندور معًا في دائرة لا تنتهي إلا بالموت؟ الموت الذي ربما هو الآخر ليس إلا مجرد فاصلة تفصلنا عن دائرة جديدة لنعاود اللَّف مرَّة أخرى.

أعلم أن كل الحيل المجربة لم تفلح في تحقيق ذلك التوازن، وأكثرهم خيبة على الإطلاق هي حيلة الحب، تلك التي تُفتت الدائرة الكبيرة إلى ملايين الدوائر ونحن يا.. ماذا؟ ماذا أقول لك حين أخاطبك؟ بم أناديك؟ هل تفضل أن أقول لك يا صديقي؟ أم عزيزي؟ سيدي الفاضل؟ حبيبي؟ هل أناديك باسمك فقط؟ ولكن.. لماذا لم تقل لي صفة أناديك بها؟ ألم تكن تعرف أني سأكتب لك يومًا؟

على أية حال لا يهم، فلو قلت لك يا شريكي فلتكن تلك المفردة أوضح المفردات توسيمًا، فأنت شريكي في كل هذا السواد الذي نموته كل يوم، آسفة؛ فالفعل نعيشه لم يستطع لساني نطقه، فليس من المعقول أن تكون هذه حياة ولا جزء بسيط من معنى كلمة حياة، هذا هو الموت الأسوأ.

نعم؛ فالموت درجات يا شريكي ونحن نموت بأسوأ درجاته وأشدها إيلامًا، كيف لي أن أتحدث مرة أخرى عن التوازن بعد أن أخبرتك بتلك الحقيقة الصادمة؟ فلنحاول..

كنت أقول إن الحب لا يفلح في تفتيت الدائرة أوحتى مجرد تحويلها لقطعة مستقيمة لها نقطة بداية ونقطة نهاية حتى نتمكن من معرفة أننا حتمًا سنصل لشيء، ولكن هو يفتتها إلى ملايين الدوائر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الصغيرة التي وظيفتها فقط تقصير قطر الدائرة وبالتالي اختزال المسافة التي تقطعها من عمر اللفة الواحدة حتى يستطيع المرء استيعاب أنَّه على محيط دائرة ليس أكثر، وكل تجربة أو كل دائرة تعطيك من الوقت -واهمًا أنك تسير ولا تدور- بمقدار طول قطرها، وأنت يا شريكي تدور وتلف دون أن تدري ما تفعله بك الدوائر إلا في نهاية أمرك فكيف مع هذا يحقق لك الحب التوازن وهو حتى لا يستطيع أن يرسم لك نقطة صغيرة لتستريح عندها؟ أتركك الآن لتفكر فيما قلته وأعدك بأن أبحث معك عن حل لما نحن فيه سويًّا وإلى أن تأتيك رسالتي الثانية أتمنى أن تجد نقطة صغيرة ترتكن إليها ولو لوقت قليل حتى تستطيع أن تواصل اللَّف مجددًا.

عاليا

استنتج راجح من بعض التفاصيل الصغيرة في الرسالة أنها كانت الأولى منكِ لداوود وأنكِ لم تكوني بالفعل قد عرفت داوود سوى بعض المعرفة الطفيفة ومن الواضح أن معرفتكما جاءت بشكل غير مسبوق حتى إنكِ كنتِ تراسلينه دون أن تعرفي بعد شكل ومدى علاقتكما ومع هذا تتحدثين بشأن أمور لا يتحدث فيها الشخص إلا مع من هم على درجة من القرب تسمح بذلك البوح.

- يبدو أنني أمام علاقة حب من طراز مختلف.

هكذا تحدث راجح إلى نفسه فيما سمع تأوهات تأتي من خلفه فترك على الفور جهاز الـ«لاب توب» وأسرع يلتفت إليكِ، كنتِ تتأوهين متعبة، تستيقظين بتؤدة غير متلهفة للعودة إلى الحياة الباهتة التي قد يكون النوم مقارنة بها لمتكئًا تستندين إليه ليقيكِ ولو لبضع ساعات شر قيحها ومرارة طعم روحها الميتة، استيقظت على مهل وكأنك ترفضين التهافت على ما يرنو إليه الجميع فتتركينه لهم بكامل إرادتك وبكل وعيك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٦-

يوليو ٢٠٠٦

حين أطل داوود بوجهه المبتسم، المضيء كقمر، كادت ابتسامته أن تمحو أثر السنوات العجاف من فوق خطوط وجهك، أراكِ اليوم عاليا كما رأيتك مع داوود أول مرة.

كنت تجلسين في ذلك المقهى الذي شهد لقاءكما الأول، كانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة ظهرًا وكنت تجلسين في هذا المقهى يوميًّا من التاسعة صباحًا وإلى الواحدة ظهرًا، للقراءة، أوإنهاء بعض المشاهد الخاصة بروايتك، نعم؛ أقول المشاهد كما كنت تسمِّينها، فلم تقسِّمي أبدًا رواياتك إلى فصول، بل دائمًا ما كنت تغمضين عينيكِ وترين المشهد واضحًا جليًّا في خيالك ثم تكتبينه، هكذا كنت تجلسين منهمكة ومنشغلة بالقراءة في هذا اليوم وكان المقهى مزدحمًا عن آخره ولم يكن هناك أيُّ مقاعد شاغرة، ومالبث أن جاءك النادل يستأذنك في استضافة زائر على منضدتك فسمحت له.

وعلى استحياء جلس داوود في المقعد المقابل لكِ ولم يغير هذا من انشغالك بما تقرأين حتى أنكِ لم تنظري إليه ولو نظرة عابرة، وجلس هو ولم يرفع عينيه من فوق كتاب يقرأه، إلا ليرتشف جزءًا من قهوته أولينفث نفسًا من سيجارته، كان منشغلًا بالقراءة أيضًا وكنت أنتِ تريدين الانتهاء من موضوع مهم تعملين عليه في الكتاب الذي بين يديكِ، إلى أن دخلت صوفيا فجأة، وصرخت بصوت مسموع على الأقل بالنسبة للمنضدة التي تجلسين بها:

- عاليا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رددت أنتِ متفاجئة:

- صوفيا.

فأسرعت تكمل جملتها:

- لقد كنت أتجول لشراء بعض الأغراض، وكنت على يقين أنني سأجدك هنا.

كان صراخ صوفيا -صفية سابقًا- كمن عاد بك إلى المكان من حولك وكنت قد غبت عنه في صفحات الكتاب، ولهذا الاسم الجديد -صوفيا- حكاية فمنذ سافرت صفية إلى أهلها بإسبانيا بعد إنهاء عامها الأخير في الجامعة، تعرَّفت إلى يعقوب أوچاكوب كما كنا نناديه وقد كان يعمل موسيقيًا وكان يكبرها ببضع سنوات، أحبته صوفيا من أول وهلة ومنذ ناداها يعقوب بصوفيا وهي صوفيا فكانت تطلب منكِ ألا تنادينها سوى بالاسم الذي سمَّاها به يعقوب «صوفيا».

نعود لحكايتك وداوود؛ أقول أن صراخ صوفيا ذلك كان هباءً منثورًا، كأنه الهواء بالنسبة لداوود لأنه لم يرفع عينيه لوهلة كي ينظر إليكما، ولم يشغله ذلك عن الكتاب الذي في يده، هذا عنه؛ أما عنكِ فقد كان صراخ صوفيا وصوتها المرتفع سببًا في أن لاحظت أنت وجود داوود، أخذت تسترقين النظر إليه فيما تنظرين إلى صوفيا وتشيرين لها أن تخفضي من صوتها حتى لا يثير علوُّه استياء الجالسين في المقهى، وكأن خيطًا ما، خفيًا، قد وصل بينك وبين داوود في تلك اللحظة، على الأقل من ناحيتك، وهنا صرخت صوفيا متذمرة من اعتراضك على علو نبرة صوتها:

- ما بكِ عاليا؟ أنت تعلمين أن صوتي يتغير وفقًا لمزاجي فيعلو أو ينخفض.. ما شأني أنا بالناس؟ هل يهمك أحدهم لتلك الدرجة التي توفرين له الهدوء؟

وتبعت ذلك بضحكة مرتفعة مما جعلك تستشعرين الحرج أكثر ولاحظت هي ذلك فقالت وهي تضع يدها على فمها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- لا عليك، سأصمت.

لم تستطيعي أن تطلبي من صوفيا الجلوس لأنه لم يكن هناك ثمة مقعد شاغر وسرعان ما لاحظتِ هي ذلك فطلبت أن تغادر مسرعة متحججة أن سيارتها تركن صفًا ثانيًا وإنها لابد أن تخرج على الفور، وبالفعل خرجت مهرولة ولكن ذلك بعد أن همست لك بخبر مهم بل هو الأهم في حياتك كلها، وهي ترمق الشخص الجالس قبالتك ثم تودعك وتنصرف وبمجرد أن لمحت عيني داوود وأنت تنصتين لهمس صوفيا عنه خطرت لكِ خاطرة واحدة إن هذا الشخص سيكون صاحب حكاية معك.

لم تدركي لوهلة أن هذا الشخص الجالس قبالتك هو نفسه الشخص الذي انتظرتِه عمرك جميعه، فقط ليؤلمك بالنهاية، ذاك الألم الأكبر، هو نفسه الشخص الذي سيخذلك الخذلان العظيم، ولكي يكون الألم قويًا، ولكي يكون الخذلان عظيمًا عليك فقط أن تتركي نفسك لتحبي حبًا يتناسب طرديًا مع حجم الألم اللاحق به.

لم تستطيعي أن ترفعي عينيك بعيدًاعن ذلك الرجل والذي لفت نظرك إليه زيارة صوفيا المفاجئة وكأنها تدخل دائمًا في حياتك لتؤدي دورًا ثانويًا لكنه يمهد لأحداث جسام، وأخذت بالفعل تتجولين بعينيك بين نظارته وسجائره وقهوته والكتاب الذي بين يديه إلى أن وقعت عيناك على العنوان:

«الزن بين الفلسفة والدين» وكان هذا تقريبًا نفس الموضوع الذي تقرأين فيه هذه الأيام.

- إذا فهمت تظل الأشياء كما هي عليه.. إذا لم تفهم تظل الأشياء كما هي عليه.

هكذا همست لنفسك لعلك أردت أن تبدأي حوارًا من هنا، من أوّل مشترك جمعكما حتى ولو كان هذا المشترك جملة في كتاب، حتى ولو لم تكونا قد تعرفتما بعد، ولكن كيف تبدأين حوارًا مع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شخص لا يجمعكما سوى منضدة وقليل من الأفكار في كتاب يحمل نفس الموضوع.

سكتِّ هنيهة ثم عاودت الهمس لنفسك:

– وماذا يحتاج الناس ليقتربوا أكثر مما امتلكته أنتِ عاليا؟ لقد قبضت على عصفورين بحجر، فها أنت تشاركين داوود الحيِّز المكاني والفكري في آن.. ماذا تريدين أكثر؟ إنها عطيَّةٌ سخيَّةٌ جدًّا منحك القدر إياها.

ما زالت كلمات صوفيا ترنُّ في أذنيك:

– إنه الأستاذ داوود النادي الكاتب المعروف.

لقد قلت لها أنك قد سمعت بالاسم من قبل فما كان منها إلا أن شهقت شهقة استنكارٍ لما تقولين ثم ردَّت:

– ما بكِ عاليا؟ ألا تعرفين داوود النادي؟ إن أي طفل بالصف الثاني الابتدائي يعرف مَن داوود النادي.

هززت رأسك إنكارًا لمعرفتك به في لا مبالاة برغم أنك تعرفين جيدًا مَن داوود النادي، ومدى شأنه في عالم الكتابة، لقد قرأت معظم أعماله إن لم يكن جميعها، وتعرفين تمامًا قدره ككاتب.

والآن من أين تبدأين؟ كان السؤال الأكثر إلحاحًا على خلايا دماغك، وكان من الواضح أنك لن تبدأي مطلقًا فلم تتعودي أبدًا مداهمة أوكار الغرباء تلك التي صنعوها ليحتموا فيها من أعين الناس، نعم؛ هو كاتبٌ معروفٌ لكن يبدو أنه لا يظهر في الأوساط الأدبية كثيرًا فلو كان يعرفه أحد في هذا المقهى المزدحم لما تركوه ينعم بالقراءة بكل هذا الهدوء والسلام، إن معرفتك لشخصه لا تسمح لك بأي حال من الأحوال بالتطفل على خلوته أبدًا، فلست أنت تلك الشخصية.

إذن السؤال المهم الآن: ما العمل؟ بل السؤال الأكثر أهمية: لِمَ أنت مهتمة بالتعرف إليه بهذا القدر من الشغف والإصرار؟

كنت برغم تحفظك مجنونةً عاليا، نعم كنت تلك الفتاة المعبأة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بكل تفاصيل الجنون إلى أبعد مدى، وشيء ما كان قد جذبك إلى داوود، شيءٌ آخر غير كونه كاتبًا مرهفًا وذا ثقل في عالمك الخاص؛ عالم الكتابة، هذا الشيء أيضًا لم يكن يكمن بين ملامح وجهه الواضحة الوسامة، ولكنه كان يرقد مختبئًا بين قسمات روحه والتي ارتسمت جلية أمامك بمجرد النظر إليه، ولم ترتسم فقط، بل لقد اخترقت صمتك وهدوئك وجعلتك تجلسين ما تبقى من جلستك تفكرين لتجدي طريقة لتعبري بها الحدود التي تحيط بالكيان الآسر القابع أمامك في اتزانٍ ووقارٍ.

تركت الكتاب الذي بيدك جانبًا وافتعلت أنك تبحثين عن شيء بحقيبتك كما تفعلين دائمًا في لحظات قلقك، ولكن المفاجأة أن القدر قد أسعفك بهذا الشيء، فربما بحثت عنه جادة دون أن تدركي ذلك، وها هو؛ لقد وجدتِه، إنه طلاء الأظافر، وبحركة خفيفة بيدك أزحتِ فنجان القهوة الذي كان لداوود، والذي كان يتداخل مع مساحتك من المنضدة المشتركة لجلستكما، لكن شيئًا لم يلفت نظر داوود أو يجعله يحول نظره ولو لجزء من اللحظة عن الكتاب الذي بيده، ولم يثن ذلك من عزمك شيئًا أيضًا، فقد مددت يدك فوق المنضدة وبدأت بوضع طلاء الأظافر الأحمر على مهل، تضعين ظُفرًا ثم تفردين كفك مباعدة بين أصابعك لتنظري إلى شكل أظافرك مع الطلاء، وتكررين ذلك مرة بعد مرة حتى خمس مرات إلى أن انتهيت من وضع الطلاء في يدك اليسرى ثم وقفت مترددة فيما ستفعلين، لكنكِ ابتسمت ابتسامة ملأها الثقة ونظرت نظرة مباشرة ثابتة لعيني داوود اللتين لم تُرفعا من فوق صفحات كتابه حتى ظننت أنه تمثال من العاج على هيئة قارئ، ثم قلت بصوتٍ واضح مسموع لكنه لا يخلو من بعض الرقة برغم اختراقه زحام المقهى وضجيجه ليصل إلى أذن داوود:

– من فضلك.

نظر إليك داوود صامتًا، متعجبًا من شكل يديك التي تفردين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أصابع إحداها في انتظار أن يجف الطلاء وممسكة زجاجة الطلاء بالأخرى وعيناكِ ثابتتان لا يهتز لهما جفن وكأنهما رقدتا بداخل عينيه مستطردة بسؤال:

– هل تستطيع فعلها؟

– ماذا؟

يسألك وهو يومئ برأسه أنه لا يفهم ما تعنين.

– هل تستطيع أن تضع لي طلاء الأظافر في يدي اليمنى؟

قلت هذا بمزيد من الثقة التي لا تعلمين من أين أتيتِ بها في موقف كهذا، ولكن لا مفر من أمور جريئة في حياتنا تكسر قاعدة العادي وروتين التحفظ، وهنا ابتسم داوود وكانت ابتسامته ساحرة من فرط بساطتها وتلقائيتها ومطَمْئِنَة أيضًا لرد فعله الذي كنت تخشينه، فطالت نظرتك لابتسامته وطال صمتك حتى كادت زجاجة الطلاء تنفلت من بين يديك فاستطاع أن يلحقها ويصيبها، ثم اتسعت ابتسامته قائلًا:

– هاتِ يدك.

تنتبهين كأنك عائدة من حلم، ثم تناولينه يدك اليسرى والتي قد تم طلاؤها بالفعل فما كان منه إلا أن اتسعت ابتسامته أكثر قائلًا:

– ليست هذه.. بل هذه.

مشيرًا إلى يدك اليمنى.

ثم مد يده ليأخذ يدك ويضعها فوق باطن كفه ليبدأ بالفعل في أن يطلي لك أظافرك، وأنت متسمرة تتسع حدقتا عينيك من فرط الدهشة وعدم تصديق ما يحدث، وما إن لمست يده يدك تلك اللمسة الهادئة الحانية التي بالكاد تحفها مسًّا لا ملامسةً، حتى سرت في بدنك كله رعشة خفيفة تسربت إلى خلايا جسدك خلية خلية، تلك اللمسة الصافية المتدفقة في أوردتك وشرايينك كخيطٍ حادٍّ من الدفء، مخالطًا شبقًا حييًّا، لا يتعدى تأثيره رجفة يصاحبها ابتلاع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ريقك، فيقاطع داوود تركيزك في ملامحه الواضحة جدًّا بعد أن يشعر برجفة جسدك الخافتة المختبئة خلف نظرتك المتجمدة فوق ملامحه ليخبرك أنه قد انتهى من وضع الطلاء ويسألك:

– هل تشعرين ببرودة لهذه الدرجة.

فتجيبينه:

– ليس كل رجفة سببها البرودة.

فيستطرد مازحًا:

– هل أعجبتك الخدمة في صالون التجميل خاصتنا سيدتي؟

فتبتسمين على استحياء وتنظرين إلى الأرض ثم لا تلبثين أن ترفعي عينيك مرة أخرى إليه وتخلصين أناملك من كفه متأملة إياها وتقولين:

– ليست سيئة، ولكن المرة القادمة أرجو أن تكون قد تمرنت لتحسين أدائك.

يضحك داوود مكررًّا جملتك ساخرًا:

– تمرنت لتحسين أدائي.

مستطردًا:

– أنا بالفعل أحتاج للتمرين لتحسين أدائي وقد راقتني تلك اللعبة فهلا سمحت لي أن أتمرن لتحسين أدائي؟

ثم استطرد:

– هل تجلسين هنا يوميًّا لوضع طلاء الأظافر؟

باغتكِ سؤال داوود وكأنه طلب خفي ليأخذ منك موعدًا، ولم تستطيعي أن تتمالكي نفسك من الانتشاء فرددتِ بابتسامة عريضة، وكأن شفاهك قد وضعت في قالبٍ آخذًا وضع الابتسام وهي سائلة حتى جفت في هذا القالب وأصبح من الصعب، بل من المستحيل تغيير حالتها إلى أي وضع آخر، ولم تستطيعي الإفلات من تخيل الحوار الذي سيدور بينكما في غضون اللحظات الآتية.

سيبدأ أولًا بتعريفك بنفسه:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- داوود النادي.

وسيمد يده ليصافحك فتمدين يدك معرفة إياه بنفسك:

- عاليا يونس.

ثم تتبعين ذلك بابتسامة بها بعض الدهشة وسؤال خبيث:

- إذن أنت داوود النادي الكاتب العظيم.

فيبتسم ابتسامة خجلى ويجيبك:

- الكاتب فقط، فليس هناك كاتب عظيم وآخر لا.

- لا تبخس نفسك قدرها فأنت كاتبٌ عالميٌّ والكل يعرف أمر ترشيح روايتك الأخيرة للجائزة العالمية، ولك أن تسأل أي طفل في الصف الثاني الابتدائي ليؤكد لك مدى ذيوع صيتك ثم همستِ لنفسك:

- آه لو كانت صوفيا هنا وشاهدت هذا الحوار إنه لا يحدث إلا بالأفلام.

ابتسمتِ من تخيلك لنظرة صوفيا لك وأنت تكررين جملتها، وأردفت موجهة كلامك لداوود:

- ونفس هذا الطفل في الصف الثاني الابتدائي يعلم قيمتك ككاتب عظيم من قبل حتى ترشيحك لتلك الجائزة.

وهنا انتشلتِ نفسك بصعوبة من أحلام يقظتك تلك، ثم أردفتِ مجيبة على سؤال داوود، مبتسمة:

- نعم أنا أجلس يوميًّا هنا للقراءة والكتابة وسماع الموسيقى و..

قاطعك داوود:

- ووضع طلاء الأظافر، وطلب مساعدة الغرباء إذا لزم الأمر.

هنا خرجت شفاهك من وضع الابتسام إلى العبوس تدريجيًّا، فقد باغتكِ داوود بكلماته ولكنها ليست مباغتة مبهجةً، بل صادمة هذه المرة فلم تتخيلي مطلقًا أن يكون هذا رده.. ولكن لم لا؟ أنت بالفعل قد أخطأتِ، مَنْ داوود هذا لتطلبي منه ما طلبت؟ ومن هو لتتعاملي معه كصديق قديم؟ ألم تدركي بعد أن الحياة البخيلة لن تسمح بلحظة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جنون قصيرة العمر لإمرأة شرقية في مجتمعاتنا التي بُليت بالتخلف والجهل، مضاف إليهم الكره الساكن في قلوب البشر لتفاصيل الحياة المبهجة، كان من الأجدر أن تعرفي مسبقًا أن ما فعلتِه كان جريئًا جدًا في مجتمع يعشق التحفظ، وواضحًا جدًا في مجتمع يعشق التخفي ويمتعه التلصص، في مجتمعٍ رجاله يتباهون بكسر القلوب مهما ادعوا أنهم دعاة تحرر.

- كيف لي أن أغفر لنفسي ما فعلت؟

هذا كان سؤالك لذاتك الذي لم يستغرق بضع ثوان كنت قد حملتِ فيها حقيبتك وكتابك وتركت الحساب للنادل وانصرفت دون أن تنبسُ شفتاك بكلمة واحدة، وتوجهتِ بأقصى سرعة لسيارتك تمنعين دموعك أن تُذرف في شوارع المدينة القاسية،وبينما تفتحين باب سيارتك وجدت داوود يأتي من خلفك ويفتح كفك وعينيه مثبتتين لا قبالة عينيكِ بل مخترقتين إياهما لا يرمشان ثم يترك فيه ورقة صغيرة وينصرف فورًا تاركًا -ليس الوريقة فقط- بل دفء كفه فوق أناملك الصغيرة الباردة، ولا تستطيعين أن تتخذي أي رد فعل من فرط الذهول بل لم تتحركي لمدة ثانيتين تجمدت فيهما الدماء في عروقكِ، بل لم تدركي ما يحدث أصلًا إلى أن أفقت على دفقة ساخنة من عينيك تربت فوق خديك برفق لترفعي بعدها كفك الذي يحمل الورقة وتمسحين دمعتك بظهره، ثم تلتفتين للمكتوب فيها لتجدي كلمة واحدة ورقمًا طويلًا، أما الكلمة، فهي «سامحيني» وأما الرقم فعلى ما يبدو أنه رقم هاتفه الذي بللته برفق دموعك، استقللتِ سيارتك ولم تدري إلى أين ستتجهين؟ ولا ماذا ستفعلين في كل المشاعر المتناقضة التي ملأت نفسك؟

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٧-

إنَّ أوَّل ما تبادر إلى خاطرك في تلك اللحظة الهاربة من الزمن كان برج الحمام الكائن أعلى منزلك، انطلقتِ بسرعة شديدة، وعلى نقيض هذه السرعة، فحين وصلت المنزل، ارتقيتِ سلالم بيتك بخطوات ثقيلة كأنك تسافرين من بلد إلى بلد زحفًا فوق بطنك إلى أن وصلت لسطحه، وبنظرة متأنية حساسة ممتلئة بالدموع تأملتِ اتساع المدى بالفضاء اللانهائي الكائن قبالتك وامتلأ صدرك بالنسيم الرقيق وانعدمت الجاذبية في جسدك، وظللت ساعات لا تدرين عددها تطهرين روحك بالنظر لمجتمع بكر لم تلوثه المدنية، مجتمع لا يملك العقل -تلك النقمة التي ابتُلي بها الإنسان وحده دون سائر الكائنات الحية- مجتمعٌ يفكر بقلبه الذي به من الرقة ما بقلبك عاليا؛ قلب الطير، إنه الحمام كم تعشقينه وكم تمنيت لو لاقاك الحب ومارسك في ذلك البرج المعلق فوق كف الفضاء، كم مرَّ في مخيلتك وجودك مستلقية على الأرض وسماؤك أزواج الحمام وبجانبك بل بين ذراعيك حبيبك ذلك الكائن الوحيد الذي تأمنينه عليك وتتلاشين فيه حتى لا يتبق منك سوى دقات قلبك المتواترة فوق قلبه، تسبحين بين السحب يغطيك كل هذا الكم من الحمام الأبيض، تختبئين خلف غيمة وتخبئينها خلفك، تطعمين الحمام وتسقينه وتتأملين قبلة طويلة بين حمامتين على أعتاب البرج، تشاهدين اهتمام الذكر بأنثاه ولهفه عليها، تلاعبين الحمام-ليس فقط- بل تلاعبين السماء، وتلاعبك، كنجمة وحيدة مدللة في قلب فضائها العريض، تاركة خلفك فوق الأرض؛ ظهرك بكل ما يحمله من كفوف، تلك الكفوف التي أرهقك حملها لا لما تمثله هي بوزنها من عبء، بل لما تحمله من آلام وخذلان وترقد به فوق ظهرك، وصلت لدرجة من الانتشاء كنقطة ماء تتأرجح في باطن بحر شاسع، تتقاذفها الأمواج لا بشدة بل بحنو، كأنك طفل في المهد والمياه هي يد الله التي تدلِّلك، مرة أخرى فتحت تلك الوريقة التي أعطاك داوود إياها وتأملت خط

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يده «سامحيني»، ثم رقم هاتفه وتنهدتِ تنهيدة كادت تقتلع روحك من جسدك.

كنت متماهية تمامًا مع المجهول، ذلك المستقبل الذي ينتظرك ولا تعرفين عنه شيئًا، لم تفكري للحظة كيف سيكون شكله، قابلة للمبهم من الزمن، من الآتي أيًا كان، لن أجزم أن لمسة يد داوود بكفك كادت تنسيك ما قاله تمامًا، ولكن ماذا لو كانت تلك هي الحقيقة؟

نمت قريرة العين في تلك الليلة بعد أن وضعت الوريقة التي أعطاها لك داوود تحت وسادتك وبت ليلتك تقلبين بين يديكِ حبات الفراولة الناضجة، النضرة، عميقة الحمرة كالنبيذ المعتق، المتراصة معانقة حبات التوت البري في تآلف بديع، تأكلين ما طاب لك منها، وتملّين عينيك من النظر إلى تلك اللوحة الطبيعية ذات التكوين الفريد.

استيقظتِ في اليوم التالي وذهبت إلى المقهى في موعدك تمامًا، وكان عدد الزوّار أقل بكثير من العدد بالأمس، جلست في مقعدك تقرأين أو هذا ما افتعلت أنك تفعلينه، ولكن حقيقة الأمر أنكِ كنت تمسحين المكان بعينيك مسحًا بحثًا عن داوود، كان الوقت يمر بطيئًا كعادته أمام الانتظار، أما أنت فلم تمري من خلال الوقت، بل تسمرت عند تلك اللحظة التي دخلت فيها المقهى وبك من الشغف ما بك للقاء داوود مرة أخرى، انصرف بعض الجالسين، وحل غيرهم بالمكان وصارت التاسعة صباحًا، الواحدة ظهرًا، وجاء موعد انصرافك اليومي من المقهى، ولم تنصرفي بل جلست بعد ميعادك بساعتين كاملتين حتى لما صارت الثالثة قمت يائسة في أن يطرأ أي جديد وانصرفتِ.

مر يومك عاديًا خاليًا من كل مظاهر الحياة، نمتِ واستيقظتِ، هذا ما تتذكرين أنك فعلتِه، ثم أعددتِ نفسك للذهاب إلى المقهى في اليوم التالي وذهبتِ وانتظرتِ داوود ولم يأتِ ومر اليوم التالي ومر اليوم التالي لليوم التالي، وهكذا توالت الأيام تمررين الساعات فيها كأنها أيامٌ، وتمررين الأيام كأنها سنواتٌ، خمسة أيام كاملة على هذا النحو،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وكأن داوود كان طيفًا مرق بحياتك ليوم وحيدٍ ثم اختفى للأبد.

في اليوم السادس اتجهت لمحلّ الورد الذي اعتدت أن تمري عليه أسبوعيًا لتشتري باقة تهدينها إليكِ بما أن أحدهم لم يفعل ذلك معكِ ولو لمرة واحدة أثناء عمرك جميعه، ولكنك تلمحين الشخص الواقف أمام المحل، إن ملامح وجهه الجانبية شديدة الشبه بـ.. بمن؟ إنه هو بالفعل، داوود.

وقف سيل الكلمات في حلقك بعد أن كان متتابعًا فمن عادتكِ أنك تفكرين أثناء السير، وربما تهمسين ببضع كلمات لنفسك غير مبالية بالمارَّة حولك، وحين أدركتِ أنه هو سقطت كل الكلمات دفعة واحدة وتبقت كلمة وحيدة، داوود.

وقفت للحظة تفكرين ولا تدرين مايمكنك فعله، هل تكملين سيرك وتدخلين المحل؟ أم ترجئين ذلك وتغيرين وجهتك على أن تعودي وقتًا آخر؟ ولم يمهلك الوقت لاتخاذ قرارًا بشأن هذا ففيما كنت تديرين جسدك لتغيري اتجاهك ووجهتك سمعت اسمك بصوت رخيم اخترق جدار قلبك وأوقف دقاته للحظة كما أوقف حراكك فتسمرت ف مكانك:

- عاليا.

- أهلًا داوود.

قلت ذلك بنبرة مصطنعة كأنك تفاجأتِ بوجوده، بينما مددت يدك لمصافحته وعيناك ثابتتان في عينيه تحملان لهما نظرة معاتبة خفيفة تكاد تكون مستترة.

- كنت أعرف أني سأراكِ اليوم ولكن هناك في المقهى وليس هنا في محل الورد.

قال داوود ذلك بينما كنت تحاولين أن تخلصي كفك من كفه بصعوبة، وكأن الكلمات أربكتك وأنتِ حين ترتبكين تصدر منك أفعالٌ متناقضة تمامًا لما كنت تنوين فعله، فرددت بابتسامة فاترة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- كنت أود هذا بالطبع ولكنني لن أذهب للمقهى اليوم.. فلدي موعد مع صديقتي صوفيا لأن اليوم عيد ميلادها وجئت لأشتري الورد وأحمله إليها، لكني لا أنكر أنها صدفة جميلة وكنت أود لو طالت المدة لأجلس معك هناك ولكن كما ترى ما باليد حيلة.

باغتتِ داوود بردِّك وبدا عليه أنه لم يكن يتوقعه.

- ولكن ماذا يهم إن أغضب ردِّي داوود أم لا؟ أو هل كان يتوقع غير هذا الرد بعد ما قاله في المرة السابقة؟ وحتى لو كان يريد الاعتذار على ما صدر منه أين كان طوال خمسة أيام كاملة؟

هكذا همستِ لنفسك ثم استأذنت داوود في الانصراف وسرت بخطوة واثقة وأنتِ راضية تمامًا عما فعلتِه، لكن داوود استوقفك مرة أخرى وقال بصوت معتدل الإيقاع:

- تقولين إنك أتيت لشراء الورد ولم تشتري شيئًا؟

رددتِ متهتهة:

- ن. نع.. نعم بالطبع أردت شراء الورد ولكني سأعود مرة أخرى لأنني تذكرت الآن شيئًا مهمًا لا أستطيع تأجيله، عذرًا لابد أن أنصرف.

وهرولتِ مختفية تمامًا من أمام داوود وللمرة الثانية لا تدرين إلى أية وجهة ستتوجهين، سرت على غير هدى في عكس الاتجاه الذي أردتِه تمامًا لكنك كنت راضية عما فعلت، وأحسست للحظة بنشوة الانتصار، لكن أين ستذهبين في هذا النهار القائظ من أيام الصيف؟ هذا السؤال الذي ألح عليك طيلة مدة سيرك في شوارع خالية من البشر ذلك أن اليوم إجازة رسمية بفعل عيد من تلك الأعياد التي لا تتذكرين أيًا منها ولا تنوين ذلك.

- ولماذا أتذكر؟ فهؤلاء البشر يحتفلون بتواريخ لم تنقذهم أبدًا من تعاستهم، فلم إذن يهللون لها؟

هكذا همست لنفسك وفجأة قفز صوت صوفيا إلى أذنيك:

- أنا هنا إلى الرابع والعشرين من يوليو بعدها سأعود إلى إسبانيا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٨-

يوليو ٢٠١١

وجدت أنه لابد من الاتجاه لأحد محلات الورد لأنك يجب أن تذهبي لتوديع صوفيا وبالفعل اتجهت إلى أحدهم ولم تأخذي الكثير من الوقت في إعداد الباقة حيث من عادتك تحضير باقة الورد وعدم ترك تلك المهمة للبائع بل تولي أمرها بنفسك، أعددتِ باقة من زهور الأوركيد، وحملتِها ذاهبة لصوفيا، دخلت هذا الشارع الذي يتطلب الذهاب إليه ركن سيارتك قبلها بشارعين، لتعبري ممرًا معتمًا ضيقًا لا يكفي سوى لمرور شخصٍ واحدٍ بالكاد، وللأسف لا يوجد غيره للعبور إلى شارع صوفيا، هذا الممر الذي ما أن تعبريه إلا وشعرتِ بأنك بعد خروجك منه كأنك قد ولدت من جديد ففي لحظات مرورك فيه يضيق صدرك حتى تكادي تشعرين بصوت حشرجة نفسك كأنك تموتين وأن هذا الممر هو قبرك، لذلك تشعرين حين تخرجين منه بأنك تريدين استنشاق كل الهواء الموجود بالعالم، تقفين لحظة وتنظرين وراءك إلى هذا الممر ولا تستطيعين تخيل أنه لابد وأن تمري من خلاله مرة أخرى حين انتهاء زيارتك لصوفيا، تتنفسين وتكملين سيرك محاولة تجاهل الأمر برمته، تتابعين السير إلى منزل صوفيا في خطوات هادئة، فالمنزل رغم بساطته يعج بالحياة، تلمحينه من أول ولوجك الشارع الصغير المغلق من إحدى ناصيتيه فتجدين أنك أمام منزلٍ في الطابقِ الأرضيِّ ذي حديقة صغيرة تزرعها صوفيا ببعض الأشجار المثمرة ولكنها لا تقارن بتلك الحديقة الملحقة بمنزلها المطل على البحر ببرثلونة فتلك الأخيرة في برثلونة كبيرة وواسعة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مقارنة بالحديقة الكائنة أمامك الآن في مصر.

تفتح صوفيا الباب الخارجي وتستقبلك وتعانقك عناقًا دافئًا ثم تسحبك من يدك إلى الداخل هامسة:

- والله زمان يا عاليا، أتعرفين منذ متى لم تدخلي هذا البيت؟

تبتسمين ابتسامة تحمل من الحنين ما تحمل ثم تتبعينها هامسة:

- تعرفين أني لم آتِ كل هذا الوقت على حبِّه.

ترد صوفيا:

- أعرف يا حبيبتي، فطالما اشتقت لتلك الليالي الدافئة العطرة بحكاياتنا الطازجة، وتلك الأيام التي كنا نتناولها نيئة وتتناولنا هي بشهية أوسع من شهيتنا لها، تتناولنا ناضجتين بما يكفي ...

وقبل أن تكمل صوفيا جملتها نطقتِ معها في نفس اللحظة وأنت تضحكين لأن الجملة كانت مألوفة لديك:

- .. لأن تلتهمنا.

ثم اختتمت كلامها بضحكة مرتفعة شاركتِها إياها.

تسحبك صوفيا إلى صالة صغيرة بمنتصفها منضدة من خشب الزان البيج الفاتح وحولها ستة كراسي منجدين بالشامواه الحمراء وإضاءة خافتة مدلاة من السقف تسلط ضوءها في منتصف المنضدة، وهناك في الركن المقابل للمنضدة يوجد مطبخٌ على الطريقة الأوربية مفتوحًا على تلك الصالة يظهر منه ثلاجة بها فتحة خارجية لإنزال الماء، ومنضدة صغيرة بها فتحات دائرية كل منها تحمل زجاجة ومعلقًا بهذه الفتحات زجاجات البيرة والنبيذ والفودكا، يظهر أيضًا على الجانب الآخر من المطبخ بعض الدواليب والأرفف الصغيرة.

كل هذه الأركان لك معها ذكرى، كل قطعة صغيرة في هذا الأثاث تشكل قطعة صغيرة في وجدانك، تبتسمين وأنت غارقة في التهام

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الذكريات حتى تفاجئك صوفيا قائلة:

– لقد جهزت لك كأسًا من الڤودكا.

– لا.. لن أستطيع، أنت تعرفين أنني لا أشرب كثيرًا، إن كان لديك عصير جوافة ربما كان أفضل، ثم تعالي سريعًا لأني أود محادثتك قبل أن أغادر.

– لن تغادري، ستبيتين معي تلك الليلة، إن لدي العديد من التجهيزات ولن يسعفني غيرك.

– لن أرفض بالطبع صوفيا، ربما لأن لدي الكثير من البوح أيضًا.

– إذن هي ليلة ملائمة تمامًا لكأس الڤودكا وليس لعصير الجوافة، ولكن طالما المبدأ موجود فسأعد لك كوبًا من عصير الجوافة ولندع الڤودكا لبعد تناول الغداء.

وقفتِ وتبعت صوفيا إلى المطبخ قائلة:

– دعيني أساعدك في تجهيز العصير وتجهيز الغداء.

تدلفين المطبخ وتقفين في مقابلة صوفيا التي تبتسم لك ابتسامة ودودة وما تلبثين أن تتسمر كل جوارحك أمام كلمة يعقوب المكتوبة بالإنجليزية «Jacob» في تلك القلادة التي ترتديها صوفيا.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٩-

مارس ٢٠٠٩

أخذ راجح يقاوم رغبته في الاقتراب منك في تلك اللحظة الحساسة بغير جدوى، تفتحين عينيك لتجديه بجوار سريرك يترقب استيقاظك ويراقب انفراجة رموشك التي كانت مطبقة منذ ثانيتين فقط، كانت نظراته تؤكد غرامه بكِ من أول وهلة فحين تفتحين عينيك تجدين عينين غريبتين مثبتتين على عينيك ولا يلبث أن يتناول ورقة وقلمًا من فوق الـ«كومود» ليكتب لك بعد دقائق التأمل:

- أحمد الله على سلامتك.

- لماذا أنت هنا؟

تصيحين في ذهول.

ينفعل راجح فيتصبب العرق فوق جبينه فيحاول مسحه بإحدى يديه بينما يلتقط بالأخرى من الأرض ورقة من ورقك الملقى هناك، ذلك الورق الخاص بالكتابة فقد ارتبك ووقعت منه الورقة السابقة فور صياحك بوجهه ويكتب لكِ:

-أنا هنا من أجلك سيدتي.

بينما تنظرين إليه ويعتريك الاندهاش، فيحاول هو تهدئتك شارحًا لكِ عن طريق الإشارة كيف دخل ولماذا؟ وبما أنك لم تكوني وقتها قد فهمت لغة الإشارة بعد

صرخت بنبرة أقوى وأعلى من سابقتها:

- لماذا أنت هنا؟

فيجيبك مرتبكًا حييًا كتابةً:

- لقد طلبتِ مني أن أوقظك وقد طرقت الباب كثيرًا ولم تردي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فظننت أنه بما أنك أعطيتِني المفتاح فلا مانع من دخولي لإيقاظك بنفسي فأنا هنا من أجلكِ سيدتي.

تمتصين صدمتك في وجود شخص غريب بجوار سريرك فور صحوك وتبدأين في الاستفاقة ممسكة جبهتك وكأنك تفركين ما بقيَ من آثار الصداع ثم تقولين محاولة التماس الهدوء:

- لا بأس أريد من فضلك فنجانًا من القهوة.

يسرع راجح إلى مطبخك لتلبية طلبك ثم لا يلبث أن يعود مسرعًا ويشير إليك ليقول لكِ ما معناه أنه يسألك عن قهوتك ويبدو أنك فهمتِه سريعًا لا لأنك فهمتِ إشاراته بل لأنك استنتجت ما يقوله فقلت له:

- فنجان مضبوط من فضلك.

أسرع راجح مرة أخرى إلى المطبخ وتأخر لمدة ست دقائق ثم عاد وهو يحمل فنجان قهوتك بين يديه، التقطتِ منه القهوة ووضعتِها على «الكومود» بجانب سريرك وساد الصمت للحظات في الحجرة ثم همَّ راجح بالانصراف فاستوقفتِه قائلة:

- انتظر، قد أحتاج بعض الأشياء، فقط سأتناول قهوتي وأعد لك قائمة بما أريد.

غيَّر راجح من اتجاهه ووقف قبالة سريرك فأشرتِ له أن يجلس فجلس على الكرسي بجوار الـ«كومود»، كانت أول مرة تدققين في وجه راجح عن قرب وكانت أول مرة تكتشفين مقدار وسامته ومدى دقة ملامحه، أما هو فعلى العكس كان قد حفظ ملامحك منذ أول مرة رآك لقد كان يتابعك بعينيه فيما كنت لا تلحظين وجوده من الأساس بل كان قد وقع في حبك منذ أول نظرة.

تحاولين إخفاء ابتسامة ارتسمت على وجهك حين لاحظت شامة فوق حاجبه الأيسر وقد كان لداوود شبيهتها، مع اختلاف شكل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجه داوود وشعره عن راجح، ولكنك لم تستطيعي إخفاء ابتسامتك ولاحظ هذا راجح فابتسم تلقائيًا ابتسامة متسائلة كمن يريد توضيحًا لمعنى ابتسامتك، تقتربين منه وأنت تتحسسين تلك الشامة فوق حاجبه قائلة والابتسامة ما زالت فوق شفتيك:

- أحبها.

تتسع ابتسامة راجح مجيبًا:

- لديكِ واحدة.

وتعلو ملامحك علامات الدهشة فيباغتك بلمسة أسفل شفتيك ويقول:

- تلك.

مشيرًا إلى شامة أسفل شفتيك محتفظًا بابتسامته، فتخالط وجهك ابتسامة ساخرة ممزوجة بالألم، وتهمسين لنفسك:

- أين أنت داوود؟ يا من أخرجتني من رحابتي تلك التي صنعتها من سنوات الفراغ ونسجت حول روحي سياجًا وكتبت فوقه أن الحياة دون عناقي لا تُحتَمل، لقد كان في جعبتك الكثير عن فلسفة العناق أفرغتها كلها في صدري، وصنعت إطارًا يحيط بجسدي لم أتنصل منه أبدًا وإلى الآن أضع بداخله ما تبقى من عمري وما ترسب من ذكرياتي وحتى بعد رحيلك لايزال جسدي محاطًا ببصمات أصابعك عليه.

يقطع عليك راجح سيل ما تبقى من أفكار تنساب في كف ذاكرتك قائلًا بالإشارة مقترنة بحركة سريعة من يده لالتقاط فنجان قهوتك:

- انتبهي سيدتي ففنجان القهوة يكاد يسقط من يدك.

تنتبهين على حركته المفاجئة يعود بك إلى حجرتك وسريرك ووجوده جوارك، تردين عليه بابتسامة محبطة:

- آسفة لم ألحظ ذلك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يسترسل راجح مكملًا جملته بالإشارة أيضًا:

- هلا تناولت الورقة والقلم لتكتبي قائمة بما ستحتاجين لأسرع في إحضاره لك.

- نعم سأفعل.

تجيبينه شاردة مرة أخرى بعد أن استغرقت بضع لحظات لفهم إشاراته.

يقدم لك ورقة وقلمًا لتكتبي تلك القائمة، فتعدلين من جلستك فوق السرير ثم تنزلين من عليه وتعبرين الحجرة لتسيري في ممر طويل بمنزلك لكنه يبدو قديمًا عما عهدتِه.

في ذلك الممر تصطدمين بأحد الكرسيين الهزازين اللذين كانا وجودهما يميز الممر فتبتسمين ابتسامة تلقائية ثم تجلسين على أحدهما ويجلس داوود على الكرسي المجاور لك ويبتسم ابتسامته المعهودة تلك التي تنغلق فيها عيناه نصف انغلاقة.

- البيت يعج برائحة الجمبري.

همس لك داوود.

- أحب هذه الرائحة.

رددت عليه بنبرة واثقة.

- وتحبين رائحة البخور أيضًا .

رد عليك هامسًا في أذنيك بحنو، وهو يتحرك ليشعل عودًا من البخور ليغير رائحة المكان، ثم قام بتشغيل أسطوانة لموسيقى الـ«ملاچينيا» التي تحبانها وغيَّر الإضاءة الساطعة إلى أخرى هادئة مسلطة على حوض السمك المقابل لجلستكما، فكانت الأسماك تتوهج فوق الماء بألوانها المختلفة ذلك المشهد القريب الشبه بالجمبري المتلألأ بلونه الفسفوري فوق سطح البحر ليلًا في دهب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حيث كنتما تقضيان ديسمبر من كل عام، تقدَّم داوود نحوك خطوتين ثم أمسك يدك اليمنى وقبَّلها مساعدًا إياكِ في الوقوف ليكون جسدك في مواجهة جسده ووجهك ملامسًا على استحياء لوجهه ثم وضع يديه حول خصرك ووضعت يديك حول عنقه ثم همس مثبتًا عينيه في عينيك ومحيطًا خاصرتك بأنامله:

- ستقتليني.

رددت بابتسامة ساخرة مصحوبة بالنفي:

- لن أستطيع فأنت قد سبقتني لفعلها.

يهز رأسه تأكيدًا لشيء يدور به هامسًا:

- مؤكدٌ أني مقتولٌ على يديك اليوم.

تردين بنفس الابتسامة الساخرة:

- لا شيءُ مؤكد في الحياة، الحياة ليست سوى بعض الاحتمالات، حتى وجودك معي في تلك اللحظة ليس إلا مجرد احتمال.

- الشمس تشرق كل يوم هذا مؤكد.

قاطعك داوود بتلك الجملة.

همست بنفس هدوئك الظاهري وابتسامتك الساخرة:

- الشمس لم تشرق على حياتي يومًا واحدًا.

رد داوود بسرعة:

- يكفيك القمر، واستطرد:

- القمر يكتمل الليلة الرابعة عشرة من كل شهر، ثم كرر هامسًا:

- كل شهر.

- القمر! نعم سمعت عنه، لكنني لم أره أبدًا، يبدو أن جميع الشهور التي مرت بعمري كانت ناقصة تلك الليلة الرابعة عشرة التي يكتمل فيها القمر.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رددتِ أنتِ ساخرة ثم استطردتِ هامسة:

-آسفة فقد خيبت آمالك وظنونك بأمر سعادتي فأنت تراقص امرأة لم تعرف الليالي بطعم القمر ولكنها خبرتها بطعم الوجع، هل خبرت الليالي الممزوجة بالوجع من قبل؟

ثم استطردت وكأنك تحادثين شخصًا آخر لا وجود له إلا بداخلك:

- الوجع بطعم الزبد حين يذوب على نار هادئة هو ما أدركت لذته متأخرًا، ذلك حين انتهيتِ من طهو جرحكِ ومنذ هذا الوقت لم تتوقفي عن النزول إلى الأسواق لشراء كل أنواع الخضراوات والدجاج والسمك والجمبري، وكنت تتفننين في إضافة أفضل النكهات مع عدم إسرافك في المقادير ذلك لأنك كنت تدركين قيمة التذوق، فتذوقت كل ما قمت بإعداده في مطبخك الصغير الذي شهد كل أنواع الخلطات وما أبدعتِه بحرفية طباخة لها خبرة السنوات الطويلة في هذا الشأن ولم تنسي يومًا تلك المائدة العظيمة التي كنت تعدينها لداوود يوم ميلاده من كل عام، ولم تنسي أيضًا نظرة السعادة التي كانت تطل من عينيه فور دعوتك له من فرط اشتهائه لما تصنعين من وصفات ساحرة وحين جاء إليك هذا العام كنت قد قررت أن يكون هذا عامك الأخير معه فأعددت له طبقًا فاخرًا لكنه كان مختلفًا هذه المرة فقد امتلأ بالزبد عن آخره بجوار قطع الجمبري المشوي، وبجانبه حساء الـ«سي فود» المميز وحين سألك عن طبقك قلت:

- نعم إنه هنا.

في حين أمسكت طبقًا فارغًا ووضعتِه أمامك وابتسمتِ ابتسامة بطعم الزبد السام الذي قدمتِه له.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١٠-

نوفمبر ١٩٨٧

تفيقين على صوت جرس تليفون وتبحثين حولك عن هذا التليفون كثيرًا ولا تعثرين له على أثر، يسكت الجرس هنيهة ثم يعاود الرن مجددًا، تواصلين البحث إلى أن تتعثَّري به على طاولة مستديرة في منتصف حجرة فارغة من كل شيء إلا تلك الطاولة وفوقها هذا التليفون العتيق ذو القرص المستدير بلونه الأسود وبجواره ذلك التمثال الذي يمثل راقصين تانجو وتحت الطاولة سجادة عليها بعض النقوش العثمانية ولكن ما هذا؟ أليست هي نفس السجادة التي تفترش أرضية منزلك تَثْبُت نظرتك على السجادة تلقائيًا وتغوصين في بئر من علامات الاستفهام إلى أن ينتشلك من أسئلتك صوت جرس الهاتف الذي يعلو ويتزايد حتى إنك وضعت كفيك على أذنيك من فرط علوه ثم مددتِ يدكِ سريعًا والتقطت سماعة الهاتف.

– كم هي ثقيلة.

هكذا همست لنفسك حين حملت السماعة.

– ألو.

كانت تلك آخر كلمة تتذكرين أنك نطقتِها، بدأ بعد ذلك حصار الأصوات الكثيرة الذي لم ينفك عن أذنيك مدة طويلة من الزمن لا تدركين تحديدًا كم من الوقت مر وأنت في تلك الحجرة تستقبلين محادثات هاتفية، تجيبين بإيماءة من رأسك الصغير والغريب أن المتحدث يفهم ما تشيرين بقوله دون أن يراك، تجيبين على العديد من أسئلتهم تلك التي لا يطرحونها أبدًا وتتصاعد أسئلتك في الهواء مع زفرات بكائك ودخان سجائرك بلا إجابات، أما ذلك الصوت فأنت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تتذكرينه تحديدًا فقد سمعتِه من قبل في مراحل عمرك الأولى يبدو أن صاحب الصوت كان شخصا لم ينمحِ من ذاكرتك، تعصرين تلك الذاكرة لتأتيك من القاع ببيانات صاحب الصوت فلابد أنه يرقد هناك في إحدى غرفها المغلقة، المزيد من الجهد قد يفيد في تذكره هكذا تحدثك نفسك في حين تعلو نبرة الصوت بثقة، يكاد التفكير يحطم رأسك ويكاد يطيح بطبلة أذنك ارتفاع الصوت.

-هل كنت أهدر الوقت في الرد على المحادثات الهاتفية تلك من قبل؟

همست لنفسك في أسى.

قررتِ تحطيم الهاتف هذا الذي كاد يدمر ما تبقى من حنينك للماضي بضجيجه المستمر وبالفعل حملتِه وبكل ما أوتيت من عنف ألقيتِ به على الأرض ثم جلست بجواره تتأملين الأشلاء المحطمة، ووسط تأملك لأشلائه الملقاة فوق السجادة ذات النقوش العثمانية في تلك الحجرة الخالية ارتسمت صورة لشباك مغطى بالمشربية وأطل القس الشاب من خلفه إطلالة ناعمة من بين الأشلاء بابتسامته الهادئة، وملامحه شديدة الجاذبية، ها أنتِ أخيرًا قد تذكرت لمن كان ذلك الصوت.

أخذت تضحكين ضحكة من تفاجأ بأمر ما، تلك الضحكة التي تعلو تدريجيًا ولكن باضطراب ملحوظٍ وتنتهي ببكاء:

- ها ... هـ ...ا.. هاا .. ها ها هاها .. آه.

ثم تختتمين الضحك بصوت نحيب يصدر منك.

هناك عند أسفل نقطة في ذلك الجحيم المسمى بالذاكرة كنت تستطيعين التخلص من الأوهام أولًا بأول فكنت تحرقين كل ما يعطل سير الحاضر ويعوق مجيء المستقبل ويشوه الماضي كانت لديك ممحاة ذاتية تحتفظين بها هناك عند أبعد زاوية متصلة بأبعاد قلبك، تلك الخطوط من المشاعر المتشابكة والمتوازية في آن، وكان يعضد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من استسلامك للمحو الذاتي والتلقائي عمق مشاعرك تلك التي كانت تحتفظ ببقايا الذكريات برغم كل هذا المحو الذي كنت تتعرضين له.

كان يحدث ذلك مرتبًا وفي تسلسلٍ طبيعيٍّ بغير افتعال وبدون ضجة، فقد كانت تمحو الأفعال الأفعال ويمحو الأشخاص الأشخاص وتمحو الأيام الأيام وتتجدد خلايا ذاكرتك يوميًّا ليس فقط بل تتجدد أنسجة جسدك فتصيرين شخصًا جديدًا بوعيٍ جديدٍ كل يوم، ويصير ما فات كأن لم يكن، فيما عدا الذي اختبأ هناكَ في الصندوق المغلق في تلك الزاوية البعيدة على مشارف الروح فقد كان ينساب من وقت لآخر على شكل رسالة مزينة بشريط أحمر من الدم الصافي يشبه الستان في لمعانه لكنه كان أكثر انسيابية بما يليق بسائل، كان فيَّاضًا كالنزف ولكنه لا يلبث أن يتوقف بعد قليل من الوقت وكأن الرسالة قد فُتحت لقراءتها بعد نزع تغليفها المنمق بكرات الدم الحمراء.

كنت تستقبلين ما يأتيكِ - مما تخفينه عن أداة المحو تلك - بمشاعر خفية تشبه الابتسامة أورائحة ندى الصباح، فتخرجين من نطاق الزمان والمكان وتتعلقين بأطراف الكرة الأرضية التي تسبح لامعة في الفضاء وتسبحين معها غير آبهة بكل القبح الذي ملأ الأعوام والأماكن والأرواح، فتنفضين في تلك اللا لحظة كل ما علق بجسدك من أرضهم المريضة وتحبسين أنفاسك حيث لا أكسجين تحتاجين فالحياة أبسط من ذلك بكثير وهنا يتوقف كل شيء هنيهة فتصيرين قطعة فنية منحوتة داخل لوحة أصيلة معلقة في الفضاء.

ولكن يبدو أن هذ الوضع لا يستمر وقتًا طويلًا فيحدث دائمًا أن تفيقي على تلك التفاصيل التي تملأ آنَك وحاضرك، تفتحين ذلك الباب الآخر المغلق في منزلك فتتفاجئين بمجموعة من ملابسك الملقاة على أرض الحجرة بتشكيل سهم يتوجه بك للأمام ولا إراديًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ودون أن تنتبهي أو تفكري تسيرين في اتجاه السهم إلى نهايته وعندها تجدين تلك الأسطوانات التي تطل منها ابتسامات فيروز وسعاد ماسي تلك الابتسامات التي لا تعبر بصدق عما يصدر فعليًا من تلك الأسطوانات من تمرد الألحان وغضب المفردات وشجن الصوتين العذبين بطعم الحزن، تجدينها وقد تشكلت بهيئة سهم آخر لكنه ينحني بك يسارًا تلك المرة وتكملين السير إلى أن ينتهي عند كومة من الورق هكذا اعتقدت في بادئ الأمر إلى أن لاحظت أنها أكوام وليست كومة واحدة، وتتخذ أيضًا تلك الأكوام من الورق -الذي فيما يبدو أنه ورق مسودات روايتك الأخيرة- وضعية السهم الذي يأخذ اتجاهًا يوافق يمناك هذه المرة.

تقفين للحظة وتتساءلين:

- من ذا الذي يعتقد أني سلمت من متاهة الأشخاص والأماكن وخلت حياتي من متاهة الأزمنة حتى يحيرني بتلك المتاهة الجديدة؟ لا أجد تسمية مناسبة لما أتبعه ولكني أعلم تمامًا أنه يشبه منطقة في روحي كتلك التي كنت أذهب إليها وقت تذكري لصوت صديقة طفولتي وزميلة دراستي وهي تنطق اسمها:

غادة صدقي طه عزام.

صوت قديم لطفلة يرن بأذنيك.

- كان الاسم هكذا وهكذا كانت تقوله في كل مرة يسألها المدرس عن اسمها -رباعيًا- وربما هو الاسم الوحيد في حياتي بأكملها الذي أتذكره رباعيًا، وقد كانت غادة صدقي طه عزام الوحيدة غيري في الفصل التي ترتدي تاج الزهرات وحين يسألها المدرس عن اسمها تترك يدي التي كانت دائمًا تنام في حضن يدها، وتقف ببطء وهي تعدل من وضعية تاج الزهرات فوق رأسها ثم تقول اسمها فتنطقه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

رباعيًا بدلع طفولي ساذج مازلت أذكره بل ويأخذني تذكري لتلك التفصيلة تحديدًا إلى منطقة من الصعب أيضًا توسيمها مهما حاولت، هكذا أشعر الآن وأنا أتبع اللاشيء الذي أتبعه هذا وعلى يقين بأنه -هذا اللاشيء- تكمن به أقصى درجات المتعة الشعورية التي لن أستطيع وصفها من مدى امتزاج إحساسي بها.

همستِ لنفسك بما سبق، ثم أخذت تجذبين حوارًا قديمًا من منطقة بعيدة:

- غادة أئتمنك على سر؟

هكذا همست لها في حصة «الرسم» وهكذا كنا نطلق عليها قبل أن يعدِّلوا الاسم إلى «تربية فنية».

- حاولي هذا.

ردَّت بحماس:

- ما معنى أن أحاول؟ ألست أمينة على سري؟ ألست صديقتك الوحيدة كما قلت لي في «الفسحة»؟

قلت لها بحزن.

- حبيبتي أنت طفلة حقًا، أما آن الأوان أن تكبري وتفهمي أن هذا مزاح؟

- مزاح.

رددت عليها باطمئنان مع مط في ألف المد المتوسطة للكلمة.

-إذن تأهبي لما سأقول لكِ... مستعدة؟

- عاليا... مستعدة لماذا؟ هل ستقولين لي سر شويبس؟

ترد غادة مع ضحكة طفولية بريئة ثم تستطرد.

- محمود إيه ده يا محمود.

بنفس طريقة أداء الـ«موديل» في إعلان قديم.

- إذن ... أنا أحب.

أعترف مرتبكة، مع لحظة صمت بين الكلمة الأولى وباقي الجملة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– فعلًا؟

تقولها متسائلة مبتسمة متفاجئة من جرأتي.

– فعلا.

أرد بالإيجاب.

– مَن؟

تسأل غادة:

محمد حسين الذي نُقِل إلينا من فصل سادسة ثاني.

– إذن إليك هذه المعلومة، وأنا أيضًا أحب.

تقول غادة مقررة الاعتراف:

– حقًّا؟

أتساءل متعجبة:

– حقًّا.

تجيب بالإثبات.

– مَنْ؟ أتساءل؛ فتجيبني غادة إنه وليد كاظم.

نستمر بالضحك على اعترافتنا وخيالاتنا الصغيرة لهذا الحب، يالها من طفولة بريئة، ما أشد براءتنا وقتها، وما أحوجنا لهذه البراءة اليوم، وما أقرب هذا الشعور لتلك المتاهة التي أسير فيها هذه على غير هدى أو أدنى معرفة بما تخبئه لي.

اتجهتِ يمينًا لتسيري في اتجاه أكوام الورق الذي ينتهي بكِ أمام الدولاب في حجرة نومك حيث يجلس داوود مستقرًّا يلف سيجارة، تنتشر علامات الدهشة بين ثنايا ملامحك وتحدثين نفسك:

– ما الذي يجعل داوود يجلس داخل الدولاب ليدخن سيجارة؟ لكن.. لكني رأيت في هذا الدولاب أشخاصًا كثيرين من قبل فقد رأيت خالتي نبيلة، جدي وأيضًا صديقتي التي بلغنا خبرموتها ونحن بالصف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

السادس الابتدائي ورفيق الثورة الذي قُتل غدرًا برصاص المحتل الوطني، ولكن ما الذي أتى بداوود مع كل هؤلاء الموتى.. هل مات داوود؟ وما تلك البالونة الكبيرة بجواره التي تخرج منها فقاعات زرقاء تشبه الحياة؟ وما هذا؟ ما كل تلك المياه التي تتراكم بالحجرة؟ يبدو أنني أحتاج لممسحة فورًا.

ثم تستطردين:

- لكن كيف كنت أعبر لأهلي؟ وكيف كانوا يعبرون إليَّ؟ كيف والمنزل دائمًا كان غارقًا في هذا الكم الهائل من الماء؟ بت الآن لا أتعجب من غربتي بينهم كل هذه السنوات.

تخرجين من الحجرة مهرولة بحثًا عن الممسحة ولكنك تتعثرين بتلك القطة الشيرازي البيج النائمة فوق السجادة ذات النقوش العثمانية، العجيب في الأمر أن السجادة جافة بالرغم من أنها تقع تمامًا في وسط الحجرة، والمياه تحيط بها.. ليس فقط، بل وتخرج من تحتها، إن تلك السجادة عجيبة فهي تجعلك تتسمرين أمامها كلما شاهدتِها في مكان، ما الذي تذكرك به؟ وما الذي تستعيدنه من داخل ذاكرتك؟ ولماذا دائمًا تتوقفين عندها فيطول صمتك وتتلخص تفاصيل الحجرة كلها فيها؟ لقد انقطع تركيزك من كل شيء عدا تلك الزخارف والنقوش العثمانية في تلك السجادة، وهاهي جدتك تجلس فوق الأريكة الصغيرة تغزل شالًا أرجوانيًا وكرات الصوف ملقاة على الأرض بجوار القطة البيج ذات الفراء الكثيف المستلقية في سُبات وأمان، وأنت هناك تستمعين لعزف منفرد بصوت جدتك، هذا الصوت الذي يجذبك من عنقك إلى مفردات شديدة الشبه بهويتك مثل البيت والعناق ودفء ليالي الشتاء وكيف لم يكن ثمة تناقض في برد ليالي الشتاء ودفء تلك الليالي ببيت جدتك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١١-

يناير ١٩٩٨

إن جدتك كانت تحكي لك عن شبابها وطفولتها فتعيشين حياتها وتتقمصين تلك الحقبة الزمنية بكل ما فيها هذا وأنتِ طفلة وحتى بعدما كبرت وصرت فتاة جامعية كنت تستضيفين صديقاتك لبيت جدتك لتستمعن معًا لحكاياتها المكررة، والتي كنت لا تملين سماعها أبدًا وفي هذا اليوم الغائم تحديدًا ذهبت مصطحبة معك صفية؛ صديقتك التي تبدو جريئة ظاهريًا، كانت تسبقك صفية بشهرين وخمسة سنتيمترات والعديد من الخبرات العاطفية، ولكنها كانت تسبقك أيضًا بالكثير من الخوف، الذي جعلها دائمًا وأبدًا تخشى المجهول كانت مصابة بـ«فوبيا ممارسة الحياة» فلم تخرج من كل تجاربها بعلاقة واحدة حقيقية، صعدتما الدرج المعتم إلى الدور الثاني مهرولتين، وما إن قمتِ بوضع المفتاح في باب المنزل حتى سمعت صوت جدتك:

- جئت يا عاليا.

- نعم يا جدتي ... معي صفية.

-أهلًا يا حبيبتي ومرحبًا بصفية ... هيًا غيرا ملابسكما حتى نجهز الغداء لقد طهوت لكما طاجن البازلاء باللحم المفروم الذي تحبانه.

يجتمع ثلاثتكن حول المائدة المستديرة لتتناولن الغداء وتبدأ جدتك في الحكي فتبتسمين ابتسامة لها مغزى عند صفية فتردها لكِ مع غمزة وتسترسل جدتك في الحكي:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– كان الله في عونكم لقد كان زماننا مليء بالخير، أما زمانكم هذا فضنين لا يمن على أحد بشيء، لقد هزمنا الاستعمار وحررنا وطننا، فلو كنا نعلم أن هذا ما سيؤول إليه الحال لما كنا حاربنا الاستعمار كل هذا الوقت حتى أخرجناه من بلادنا.

– ما الذي آل إليه الحال يا جدتي؟

– الحال المائل يا عاليا.

تضحكين ضحكة ساخرة محاولة إخفائها حتى لا تتوقف جدتك عن الحكي ثم تتساءلين:

– ما الذي جعله يميل يا جدتي؟

– الناس يا ابنتي؛ لم يعد الخير في الناس مثلما كان في أهالي زماننا، لقد هجر الخير النفوس وتركها للحقد والكره والحسد فلم يعد ما يستأهل أن نضحي من أجله.

– احكِ لنا عن زمانكم هذا إنني اشتقت إليه وأتمنى لو كنت ابنة هذا الزمان الجميل الذي تحكين عنه.

– بل سأحكي ما هو أبعد من ذلك الزمان سأحكي لكِ عن البطلة الشجاعة رتيبة عبد الجابر، جدتي أنا، تلك التي ارتقت روحها إلى بارئها في سلام ذات برد وبرق ورعد وفي تضحية منها من أجل أن يعيش غيرها تحت سماء الحرية والكرامة، فقد كانت رتيبة مثلها كمثل سائر المصريين تكره فشل العثمانيين ومن بعدهم المماليك في حماية بلدنا الحبيب وهزيمتهم الدائمة أمام الحملة الفرنسية وهذا الفشل الذريع الذي جعل التحدي بالنسبة للشعب المصري في طرد الفرنسيين مسألة حياة أوموت ،ولذا كانت المدن التي لا يحكمها نظام هي تلك المدن التي بدا منها التصدي للاحتلال القائم، فبعد أن نشر بونابرت قواته في أنحاء الدلتا أخذ يجمع الجياد الناقصة في جيشه من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قرى الدلتا لكن وقف الفلاحون المصريون وقفة رجلٍ واحدٍ وامتنعوا عن إمداد القوات بالخيول التي تحتاجها، كل هذا كان عاديًا أما ما لم يخطر ببال نابليون هو أن يخرج المصريون في مقاومة مسلحة، فبعد أن فعل جيش بونابرت جريمته الشنعاء بحرق جثث الفلاحين والفلاحات الذين قتلوهم وكان بينهم نساء من قريتي غمرين وتتا ثار أهالي القريتين واستنفر الظلم القبيح مشاعرهم المكبوتة لسنوات، وعندها ثارت مدينة طنطا أثناء الاحتفال بمولد السيد البدوي، وكانت رتيبة من أوائل المتظاهرات اللواتي خرجن في مواجهة الاستعمار ومن أولئك اللواتي فتكن بقوات الاستعمار وأخذن بثأر الفلاحات اللاتي حرق جنود الحملة الخسيسة جثثهم فقد كانت فخر النساء ولكن كان قدرها أن يشاهدها أحد الجنود الفرنسيين ويكشف عنها غطاء وجهها ويعرفها ويميز ملامحها وهي تنهال بالضرب مع زميلاتها على أحد جنود الحملة فيتركها ليراقبها عدة شهور بعدها ثم يتتبعها وقت حانت له الفرصة ليقتص منها وبالفعل أرْدَاها جثة هامدة وترك أبناءها دون أم ولكن بوسام على صدورهم وهو أنهم أبناء البطلة الشهيدة رتيبة عبد الجابر وكنت أنا بنت لإحدى بناتها عشت على شرف بطولة جدتي ونلت من تاريخها المشرف ما راقني طيلة حياتي والذي لم يسعني إلا أن أكمله، في حين ذهبت هي إلى عالم آخر ذات غفلة من أمرها.

تسكت جدتك وتتمددين أنتِ على كرسيك فاردة رجليك على الأرض وفاتحة صدرك للهواء وللكلمات التي تخطف من مشاعرك ما ترنو إليه نفسك ولأنك عرفتِ معنى أن تقفي في مظاهرة وأن تصرخي بكل مشاعرك المكبوتة لتهتفي ضد الظلم ولأنك عرفت معنى أن يسقط شخصٌ كان بكل هذا القرب منك ميتًا، شخصٌ كان منذ لحظة واحدة واقفًا يهتف بجوارك، صار الآن أشلاء، لكل هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

الأسباب جعلتك كلمات جدتك تبكين، أنت تبكين الآن عاليا لا وقت سماعك لحكاية جدتك، لا، بل تبكين الآن وأنت واقفة على عتبة تلك الحجرة والمياه تخرج أكثر فأكثر من تحت تلك السجادة وتزداد الحجرة غرقًا ولكن ألم تعرفي بعد أن سبب وجود كل تلك المياه كان دموعك.

تسترسل جدتك في الحديث، وتستكمل صفية تناول البازلاء وهي منصتة باهتمام لحكيها:

- وكأن لابد لهذا البلد من مستعمر ينهبه وكأن لابد لنا من الحُفر، لا نحاول الخروج من واحدة إلا وقعنا في غيرها على الفور وعلى بعد سنتيمترات قليلة من سابقتها، إن كانت شوارعنا مليئة بالحُفر فكيف لنا أن ننجو من شرك الوقوع؟

أما حرب أكتوبر يا ابنتاي فكانت ذات مذاق خاص فقد وقفت النساء وقفة مائة رجل لقد تدنت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية وكان من الطبيعي أيضًا أن تتدنى الأوضاع الثقافية وكان لنا نحن النساء دور بارز في المقاومة الشعبية فقد كنا نجمع التبرعات لشراء الملابس والبطاطين وكافة احتياجات الأسر التي فقدت عائلها، وكانت خالتك نبيلة حنيف -رحمها الله- من المتطوعات بالتمريض تجمع أكياس الدم بمعامل التبرعات وأمك راقية حنيف كانت بالجمعيات الأهلية النسائية حيث تنظم مقارًها بالدلتا وقد اشتركت الأختان في لجنة صديقات القلم لترجمة ما يكتب عن القضية المصرية وإرساله لمختلف الاتحادات والمنظمات النسائية في العالم وطالما ذهبت نبيلة مع صديقتها صباح المنزلاوي رحمهما الله لبورسعيد لرفع الروح المعنوية للجنود ولكي تسقي جندي على وشك الاستشهاد من زجاجة مياه باردة، ولمساعدة الناس هناك بالمقاومة الشعبية برغم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القصف الشديد فكن بطلات في مواقعهن اللاتي اخترنها لانتزاع حق وطنهن في حريته من فم الظالم إلى أن كان نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، فكانت الفرحة التي ظللت البيوت إلى أن انتهى بها المطاف ليد الجهل والإهمال وتضييع حق النضال الذي استحققنا من أجله حياة كريمة لم تأتِ إلى اليوم فلا بلادنا أمٌّ ولا نحن أبناء، إنها بلاد أورثتنا القهر بعد النصر والعبودية بعد الحرية، كم أشعر بغصَّة في قلبي كلما شاهدت ما آل إليه الحال في بلادنا أشعر أنه لا فائدة كما قالها سعد باشا زغلول -رحمة الله عليه- ثم سكتت الجدة هنيهة واستكملتِ أنتِ وصوفيا تناول البازلاء ولكن ببطء شديد شاردتي الأذهان.

كانت الجدة تحكي بحماس، وكادت تبكي حين تذكرت حرب أكتوبر فيما يبدو ذلك لأنها تذكرت ابنتها التي فقدتها، نبيلة، خالتك عاليا التي فاضت روحها إلى السماء في عجلة من أمرها ودون أن ترتب لمن يحبونها أمر غيابها، غابت وأخذت معها كل الأشياء الجميلة التي رفرفت على بيت العائلة سنوات عديدة ثم استرسلت جدتك:

-أمسى الحزن دبقًا ملتصقا بنا فلا نستطيع خلعه من فوق أكتافنا التي تحمله، كذب من قال أن بلدتنا صبية، بلدتنا عجوزٌ عاقرٌ يا ابنتاي فكلما جاءها الفرح طردته وأوصدت خلفه مائة باب وباب، نحن لسنا أبناء هذا الوطن بل نحن أبناء الكآبة، نحن من شدة الوطأة ومن فرط تكرار الأزمنة الممسوخة اعتدنا حمل الهمِّ فوق ظهورنا فصرنا متكئين على بعضنا البعض فإذا سقط أحدنا حتمًا سيسقط الكل كقطع «دومينو» متراصة، لم نعد نفكر سوى بهموم الأوطان تلك الهموم التي لم تعد تفارقنا، فلا تصابا يا ابنتيَّ بداء الوطن، ذاك داء لا شفاء منه بل أسقطاه من حساباتكما فالحياة قصيرة بما لا يكفي لنموت مرتين، لا تصابا بمحاربة طواحين الهواء، فحبُّ الأوطان يسقم الجسد ويظلل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الروح بالسواد، مزقا كل الدفاتر التي تحوي اسم الوطن، وسيحا في بلاد الله الواسعة إن ضاقت عليكما أوطانكما.

أنهت الجدة كلامها ودخلت في نوبة بكاء اهتز لها قلبك وتوقفت صفية عن تناول الطعام، وترقرقت عيناها بالدموع، قمت من مكانك وأخذت تجففين دموع جدتك ثم أدخلتِ كل جسمها النحيف بين ذراعيك وتركتِها تبكي في صدرك حتى انتهت، وما إن بدأت هي في تخليص جسدها من بين ذراعيك حتى بدأتِ تربتين على كتفها في حنو هو الأصل في كيمياء مشاعرك وهنا أردفت جدتك:

- كم عشنا عقودًا خيَّم عليها الظلام والكبت ولكن العزيمة والإصرار بداخلنا كانت بمثابة النور الذي يشرق من الداخل ويملأ الكون، لكنَّا بافتراض ما حلمنا به ونحن نخلص أوطاننا من عصور الظلام أننا سنخرج بها للنور، لم نكن ندري أنَّا نضحي بأرواحنا هباء، كنا حمقى يا بناتي العزيزات وعرفنا مدى تفاهة اعتقادنا بأنَّا نخلصها لنا، بل كنا مجرد قرابين يُضحَّى بنا ليُقدَّم الوطن على طبق من دم لحكام أكثر استبدادًا ولكن مع الفارق أنهم من بلادنا وليسوا أجانب، كنا فقراء وتعلقنا بكل قشات النجاة الممكنة دون جدوى.

أنهت الجدة حديثها بابتسامة بها طعم المرارة. وهمست صفية بصوت متقطع يبدو عليه آثار البكاء:

- جدتي الحبيبة احكِ لنا عن تلك الشجرة التي منعتِ أفراد البلدية من قطعها.

تبتسم الجدة وترد بعد عودة الحماس لنبرة صوتها:

- آه يا ابنتيَّ؛ إنها تلك الحقبة التي كان فيها كل ما حولنا فقيرًا حتى الثمار فوق الشجر، إن تلك الشجرة توجد أمام بيتنا ما يربو فوق الخمسة عشر عامًا، شهدت فقرنا وفرحنا وألمنا ونضالنا، كانت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الشاهد ربما الوحيد على أزمنة خلت ولن تعود ولكن كانت رائحة أوراقها معبأة بأنفاسنا ودفء تلك الأيام، وقتها وذات نهار صيفي قائظ جاء موظف من البلدية يخطرنا بأن هناك بعض الإجراءات التي ستُتخذ لتوسيع الشارع مما ينتج عن ذلك إعادة رصفه، وكان ذلك يتطلب إزالة الشجرة وقطعها حتمًا، كان الكل حزينًا في شارعنا وفي الشوارع المجاورة لذا قام أبي بجمع توقيعات سكان المنطقة برفضهم لقرار الإزالة ولكن لم يأبه لنا المسئولون ولا لرغبتنا في بقاء الشجرة وفوجئنا ببلدوزر البلدية ذات صباح يعج بشارعنا والناس تلتف حوله في محاولة لإثناء السائق عن فعلته وهو يرد ببرود شديد إنها الأوامر وأنه ليس له يد فيما يحدث، قمت مهرولة من نومي إثر هذه الضجة ولم يسعفني الوقت لتغيير ملابسي ولا تسوية شعري بل خرجت في أقصى سرعة لي وقد حلت بي روح امرأة مجنونة متهورة على استعداد أن تموت في سبيل ألا تقطع ورقة واحدة من أوراق الشجرة، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أمام هذا البلدوزر أقف ثابتة لا يغمض لي جفن ولم أفكر للحظة في تبعات ما أفعل وكان من المدهش حقًا أن ما اعتبرته عملًا جنونيًا لحظتها وأنني لن أجدي من ورائه أي نفع، بل أنه لن يقابَل فعلي إلا برد فعل عنيف من كلام الناس عن جنوني وتهوري، هذا بالإضافة للسخرية التي سأنالها على يد أبي وإخوتي، لم يكن بالفعل عملًا جنونيًا بل كان على عكس ما توقعت تمامًا فقد اجتمع حولي كل أهالي الحي ووقفوا أمام البلدوزر لشل حركته وصنعنا كوردونًا بشريًا منع البلدوزر عن الشجرة وبالفعل منعناهم من الاقتراب منها، ليس فقط بل قد أصدرت البلدية قرارًا بمنع إزالة تلك الشجرة جاء به أبي من مجلس الحي مباشرة واحتفلنا بهذا القرار بتعليق الأسلاك المضيئة حول الشجرة أسبوعًا كاملًا امتلأ فيه شارعنا والشوارع المجاورة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بالبهجة حيث كنا نتسامر ونسهر كل ليلة حتى الصباح.

– آه يا جدتي كان الحال بغيضًا بالنسبة لك ولم يكن شيء يعجبك في عصور هي بالنسبة لما نعيشه اليوم عصور ازدهار، ماذا لو أنك حية اليوم لتري كل السواد الذي يرتع فينا؟ وماذا لو أنك شاهدت البلاد اليوم وهي تسبح في كآبة أضعاف الكآبة التي كنت تتحدثين عنها إنها كآبة بلون الدم، في وطن يقتل أبناءه.

هكذا كنت تهمسين لنفسك وأنت تنزحين المياه من تحت السجادة، وداوود كما هو معلقًا في مكانه داخل الدولاب ما إن ينتهي من سيجارة حتى يشرع في لف واحدة أخرى ناظرًا إليك بابتسامة يعلوها البرود وبينما استرسلتِ في التفكير فإذا بالماء الذي يحاوطك مخضبًا باللون الأحمر، ما هذا؟ إن ما يخرج من تحت السجادة دم، ما كل هذا الدم؟ لقد تلون كل شيء بالدم وعم الأحمر كل ما حولك.

– يا إلهي لقد كرهت الشوارع، كرهت أن أسير فوق هذا الرصيف الذي أعلم مسبقًا أنه بالأمس كان الطوب فوقه يحيط دم أحد أصدقائي، ودم شخص لا أعرفه، ودم شخص لم أسمع عنه، ودم شخص تحدثت معه مرة واحدة، أي وطن الذي يفعل هذا بأبنائه؟ يالها من شوارع ملطخة بدماء أبنائها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١٢-

ديسمبر ٢٠٠٨

أنت تشعرين بكل شيء حولك وهذا دليل قوي على أنَّك مازلت قيد الحياة، لكن ما تتعجبين بشأنه هذه السيارة التي تقودينها يوميًا في ذلك الطريق الطويل المليء بالأشجار الكثيفة وهؤلاء الأصدقاء الذين تعرفينهم جيدًا يحتلون إحدى المكتبات يقرءون حينًا ويثرثرون أحيانًا، إنك تعرفين جيدًا تفاصيل تلك المكتبة وكأنك زرتِها مرات عديدة، في كل مرة كنت تركنين سيارتك في ساحة ركن السيارات تلك التي تجد لها نصيبًا أيضًا بداخل ذاكرتك، لكنك لا تأبهين لذلك فساحات ركن السيارات في كل الأماكن متشابهة حتى تكادي تظنين أن كلهم مكان واحد، ولكن لم لا يهتم الأصدقاء بوجودك؟ لم لا يعبأون أنك حللت المكان وتقفين وحيدة؟ وكأنك طيف لا يُرى ولا يُسمع ولكن في إصرار منك أن تتعرفي إلى ماهية ما بك، ماهيتك أنت، حقيقة وجودك بينهم وحقيقة وجودهم حولك، تنادين صديقتك صوفيا، التي تقف أمام رف الكتب وتقفين أنت خلفه في مواجهة عينيها مباشرة إنها تنظر إليك الآن، عيناها مسلطتان عليك، حتمًا سمعتك وسترد عليك، لكن يبدو أن هذا ما اعتقدتِه متوهمة، فهي تنظر إليك بالفعل ولكن كأن وجودك هلامي غير واضح بالمرة وكأن كل تحديقها هذا مجرد تحديق بالفراغ، تمسكين بتليفونك المحمول وتجربين رقمها فيرن تليفونها وتغمرك الفرحة وتظهر علاماتها في لمعان عينيك وتأهبك لسماع الرد كلمة «ألو» بصوت صوفيا تحادثين نفسك في تأهب:

- هيا يا صوفيا ردِّي على صديقتك، اضغطي على هذا الزر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

الصغير لأكون معك وبجانبك كما كنا دائمًا.

الآن تنظر صوفيا إلى التليفون وتضغط زر «كانسل» وتعاود النظر إلى رفِّ الكتب أمامها. تعاودين الاتصال بها وهنا تقوم صديقتك بالرد ولكن يبدو أنها تتحدث إلى شخص آخر غيرك، ولكن كيف هذا؟ فأنت التي قمت بالاتصال بها، إذن؛ ماذا يعني ذلك؟ هل يعني هذا أنك ميتة الآن؟ لا لابد وأن هناك خطأ ما، تخرجين مهرولة من المكان، تركبين سيارتك وتنطلقين من حيث أتيتِ والدموع تنهمر لا إراديًا من عينيك لكن يبقى السؤال من أين أتيت؟ وإلى أين تتجهين بسيارتك؟

وجدت نفسك تتحركين نحو منزل داوود، أنت تتذكرين عنوانه وتلك الشوارع التي كنت تسيرين فيها لتصلي إليه، إن داوود هو الأقدر من بينهم على إخبارك بحقيقة حياتك أو موتك، حين وصلتِ صعدت الدرج المظلم كالعادة وطرقت الباب طرقًا خفيفًا فتح باب شقته الذي كان مواربًا حيث كان في انتظارك وكأنه يعلم بقدومك، تهرعين إلى شقته، بل إلى ضمِّه، فهو لا يدعك تمرين إلا وقد أخذك إلى صدره بحركة رقيقة من يده، تفتحين صدرك للنفس الخارج من روحه تستنشقينه مع الرائحة التي تملأ المكان فالبيت معبأ برائحة حرق خشب الصندل، تفتحين روحك قبل ذراعيك لضمة قوية إلى صدره.

– داوود ذلك الطيف المارق بحياتي أحببته وسأظل أفعل.

تهمسين لنفسك وأنتِ نائمة على صدر داوود كطفلة يهدهدها بين ذراعيه، ولكن أين داوود؟ إنك لا ترين أحدًا، الآن؛ أنت وحدك تتذكرين فقط وقت كنت تتأبطين ذراع داوود عند خروجكما معًا من متحف «إل برادو» والشمس التي زارت مدريد على استحياء قد غادرت ساحتها تمامًا وحلَّ محلها ليلٌ مليءٌ بموسيقى الـ«ملاچينيا فلامنكو» وذلك العازف العجوز ممسكٌ بجيتاره والناس لا تلتفت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إليه، لكن هذا لا يثني عزمه عن العزف أبدًا، يسير من يسير ويركض من يركض، ويقف أحدهم بالكاد كل خمس دقائق ليرمي بقطعة معدنية في علبة الـ«جيتار» السوداء النائمة إلى جواره على الأرض مفتوحة وتظهر منها بطانتها القطيفة الحمراء، تهمسين لداوود وكلك طاقة إيجابية وتحتل الابتسامة مساحة عريضة من وجنتيك:

– أريد أن أقف لأستمع للموسيقى قليلا.

– ولماذا قليلًا دعينا نستمع، بل نستمتع ما شئنا من الوقت ولكن...

أردف داوود مترددًا في استكمال جملته.

وقاطعته أنت بسؤالك:

– لكن ماذا؟

– هل ستسمعين الـ«ملاچينيا فلامنكو» دون أن ترقصي؟

يجيبك داوود.

– داوود نحن في الشارع.

تردين خجلى.

– ولم لا؟ أنت في إسبانيا حبيبتي.

ولم يكمل داوود جملته حتى احتضن يديك بين يديه مبتسمًا ومنحنيًا نصف انحناءة وكأنما يدعوك للرقص دون أن تتحرك شفتاه ودون أن ينطق بأي كلام، لكن فقط بعينين لامعتين مبتسمتين.

– قطعًا لا شيء يدعو للتفكير، بالطبع موافقة.

هكذا همست لنفسك في حين قمت على الفور بتلبية طلبه فلطالما حلمت بتلك اللحظة التي تجمعك بالرقص مع داوود في شوارع إسبانيا، وتلك الرقصة تحديدًا على خلفية تلك المقطوعة الموسيقية التي تشاركتما الرقص عليها في لياليكما الصاخبة رغم عدم وجود غيركما إلا أنها امتلأت بصخب التفاصيل التي اخترعتماها لتمدا بها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجودكما معًا كما تشاركتما مساحة الدفء الصغيرة في بيت داوود في ليالي ديسمبر الباردة، لا تدرين كم مرَّ من الوقت وأنتِ ترقصين، ربما ساعة وربما عشر ساعات غير أنك لم تنتبهي إلا حين فتحتِ عينيك فوجدتِ جمعًا كبيرًا من الناس منهم من وقف ليصفق لكما أثناء الرقص فصنع التصفيق إيقاعًا رائعًا استمد موسيقاه من طاقة هؤلاء، والبعض الآخر انضم فعليًا للرقص معكما، وغيرهما وقف مشدوهًا يشاهد الكرنفال الذي صنعه عاشقان في وسط الشارع في قلب مدينة «مدريد»، لا تعلو وجوه الجميع سوى ابتسامة تليق باحتفال، وقفت ترقصين وسط جموع الغرباء وأنت متحدة مع الموسيقى فعليًا في حين لا أحد يدري أنك كنت تشبعين موهبتك القديمة في سماع مقطوعتين في نفس اللحظة، ففي الوقت الذي كنت تسمعين الـ«ملاچينيا فلامنكو» مع الجميع بأذنك اليسرى وتندمجين معها حد الرقص بكل كيانك وجسدك، كنت تصغين وحدك دون الكل بأذنك اليمنى إلى معزوفة موسيقية هادئة لـ«أندريا ريو» وتتذكرين لقطات من الماضي الذي جمع بينك وبين داوود في أرق أحوال حبكما فطالما دربت أذنيك وحواسك على مثل هذا الفعل وقد واتتك الفرصة الآن لتدمجي كل كيانك بالموسيقى وتلفي بها روحك وجسدك معًا كورقة السيلوفان التي تلف الهدايا الثمينة.

خفتت الأضواء تدريجيًا وانفض جمع الناس ولم يتبق لك من تلك الليلة الرائعة إلا ابتسامة بحجم روعة شعورك، وتكادي تجزمين أن تلك الليلة واحدة من أروع الليالي التي مرت على هذا العازف العجوز بل وأن معزوفته من أروع المعزوفات التي عزفها في عمره كله ليس لما امتلأت به حقيبة جيتاره من قطع معدنية وورقية صغيرة وكبيرة، بل لما امتلأت به حقيبة روحه من طاقة مختلطة بالحياة صنعها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الدفء الكامن في الـ«جيتار» رغم برودة الجو ممتزجًا بأنفاس الغرباء الذين جمعتهم الموسيقى وحرَّك الرقص كل ساكن في أرواحهم فشحنها بتلك الطاقة التي انتقلت من فرد لآخر حتى امتلأ بها المكان بكل من فيه.

حين بدأت خيوط النور تتلألأ في السماء معلنة أن لكل شيء نهاية وأن كل نهاية هي بداية جديدة أخذك داوود واضعًا معطفه فوق كتفيك وسرتما تدندنان بلحن الـ«ملاچينيا» إلى أن وصلتما الفندق ثم صعدتما إلى غرفتكما وأغلق داوود الباب وفتح عينيه عليك متأملا ما تفعلين صامتًا وأنت تخلعين ملابسك قطعة تلو الأخرى ولم يزل اللحن عالقًا بأذنك ولسانك ولم تزل آثار اهتزاز الرقص عالقة بجسدك فتنحنين وتتمايلين يمينًا ويسارًا وداوود ينظر إليك نظرة ملأها الدفء، نظرة تلمس جسدك فتسري به رعشة خفيفة دون أن يقترب منك لمجرد إحساسك بقرب أنفاسه من مسام جلدك فيبتسم ويسألك:

– هل بردت؟

فتبتسمين ابتسامة واثقة وتجيبينه متحدية نظرة عينيه.

– ليس كل رجفة سببها البرد.

ودون أن ينبس ببنت شفة وكأن الكلمات ألقت بنفسها منتحرة وراء آخر قطعة خلعتِها من ملابسك، اقترب داوود ونام بشفتيه فوق شفتيك ونامت شفتيك مستسلمة لإيقاع نبضات شفتيه واستمر هذا إلى الصباح.

تفتحين عينيك على صورة كبيرة لـ«بينك فلويد» معلقة على الجدار المقابل لك، يبدو أنك نمت تلك الليلة في ذلك المكان ويبدو أن هذا المكان ليس بغرفة الفندق هذا ما أدركتِه لأول وهلة وأنت تحاولين اكتشاف المكان ولكن أين داوود؟ تهبِّين واقفة تبحثين عنه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

وتكتشفين المكان أكثر كلما تحركت مسافة أطول، إن هذا المكان منزل بالفعل وليس فندقًا ولكن داوود! أين داوود؟ تستمرين بالبحث إلى أن تعثري على شخص نائم في الحجرة المجاورة ولكن من هذا؟ ليس هذا داوود إنه رجل آخر، فمن هو؟ من الشخص النائم؟ وما هذا المكان؟ ولمن هذا المنزل؟ وما الذي أتى بك هنا؟ تجرِّبين الانتظار حتى يفيق النائم، لكن يأبى فضولك أن ينتظر فتدخلين الحجرة سيرًا على أطراف أصابعك وتقتربين أكثر من النائم، لكنك تتعثرين بورق كثير ملقى بجانبه فتحاولين إزاحته حتى تستطيعي رؤية ملامحه لتتعرفي إليه، ولكن تلك الجملة المكتوبة والتي وقعت قبالة عينيك وأنت تزيحين الورق جعلتك تتسمرين مكانك، كانت الجملة تقول:

«مرت الروح الخاوية فوق تجاعيد الجسد لتستقي ونسًا من رماد الأيام» هذا معنى الكلام الذي كان مكتوبًا باللغة الإنجليزية، هنا وقعت عيناك على ورقة أخرى بها جدول ومواعيد زيارات وأسماء لبعض الناس ولكن ما هذا؟ إن اسمك بين الأسماء ولكن لِمَ اسمك؟ وما هذا الجدول وهذه المواعيد؟ وأين أنتِ ومَن هذا الشخص النائم على مسافة بضعة سنتيمترات منك؟ وبين لحظة تسمرك أمام الورق ولحظة اندهاشك من وجود اسمك تقلَّب النائم وأصبح وجهه مقابلا لك فبات من السهولة تمييز ملامحه ولم يك رد فعلك سوى صرخة اندهاشٍ أيقظت النائم الذي صرخت باسمه بعلو صوتك:

- يعقوب.

ثم وقفت لحظة واستطردتِ:

- چاكوب.

نطقتِها هكذا تمامًا «چاكوب» وكأنك تنادين شخصًا غير عربي الجنسية.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

نجمة داوود

«راجح؛ نصف القمر الذي لم يكتمل أبدا، الجمال المبتور، تعلمين أن القمر هو رمز المشاعر وتعلمين كم كان راجح يخبئ القمر بداخله فكل أحاسيسه الشديدة الصدق، الشديدة الرهافة، كانت تختبئ خلف وجه صخري جامد، في غير قسوة، هذا الجمود الذي يُربك من يتعامل معه عن قرب ولا ينفي جمود ملامحه عفويته الواضحة ولكن تعوُّد الكتمان خلال سنوات طويلة كان قد ترك لمحة الجمود تلك على هذا الوجه الملائكي، كان راجح بكل غموضه الواضح نموذجًا غير عادي أخذ مكانه الصحيح في الوقت الصحيح تمامًا في حياتك، هذا النموذج من البساطة الذي يحمل في داخله كل احتمالات التعقيد الممكنة.»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ١ -

مارس ٢٠٠٩

«چاكوب» كانت آخر كلماتك التي نطقتِها قبل أن تستيقظي من سبات دام ساعات وقد أخبرك راجح أنه جلس إلى جوارك ما يقرب من الساعة محاولًا إيقاظك إلا أنك أبيت وتمتمتِ بكلمات كثيرة مثل:

(الحب -جدتي -خالتي نبيلة - صوفيا -داوود - مشهد الإعدام - ملاچينيا - الزمن ثم صرخت أخيرًا: چاكوب) بعدها أفقتِ كمن عاد من غيبوبة.

كانت استفاقتك غريبة تختلف عن استفاقة شخص من المفترض أنه كان نائمًا، مما أثار ذعر راجح وقلقه بشأنك وبدأتِ سيل الأسئلة:

- ما الذي حدث؟ وماذا تفعل هنا راجح؟ ولماذا أنا نائمة حتى هذا الوقت؟ ولكن هل نمت حقًا أم.. أم ماذا؟ إلى متى سأظل متعبة؟

اقترب منك راجح واضعًا رأسك الصغير بين كفيه، وأخذ يربت عليه بحنو ودفء حتى هدأتِ فتناول ورقةً وقلمًا، وأخذ يكتب أنك حين طلبت منه ورقةً وقلمًا لتكتبي طلباتك ليقوم بشرائها قمت قبل أن تتناولي الورقة والقلم وخرجت من حجرتك وسرت في طرقات الشقة وطلبت منه أن يعود إليك في الصباح، وحين سألك عن الطلبات فلم تنطقي سوى جملة واحدة:

- في وقت آخر راجح، فقط عُد صباحًا.

وبالفعل خرج راجح وعاد إليك صباحًا ليجدك ملقاة على سجادة في ممر بمدخل الشقة والقطة البيچ إلى جوارك، والسجادة عائمة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في بركة من المياه، فحاول إيقاظك ولكن باءت محاولاته بالفشل، فما كان منه إلا أن انتشلك من فوق السجادة ووضعك فوق الأريكة تلك التي توجد بإحدى الحجرات ولا يوجد في تلك الحجرة سواها وفوقها صورة معلقة على الحائط لشاب أربعيني، يبدو أنه داوود، ظل راجح يحاول إفاقتك في حين تمتمتِ بكل الكلمات التي قلتيها -لنقل- أثناء نومك، ثم استيقظت، هذا ما حدث بالضبط.

اعتدلت في جلستك وخَلُصتِ برأسك من فوق ذراع راجح وابتعدت قليلًا عن أنفاسه التي كانت في مواجهة أنفك فاستنشقت منها ما طاب لك أثناء كتابته ما حدث، ثم قمت وبدأت في تحسس ملابسك المبللة لعلك تفهمين سرَّ نومك على أرضية المنزل، وما يعنيه الماء المنسكب فوق السجادة، ثم ذهبتِ إلى حجرتك وقمتِ بتبديل ملابسك، بينما خرج راجح إلى تلك السجادة محاولًا انتشال المياه.

كان الجو صيفيًّا وكانت الساعة قد قاربت على التاسعة صباحًا والشمس في كف السماء الأيمن، حمل راجح السجادة إلى الشرفة علَّها تجف، وخرجت أنتِ من حجرتك بعد تبديل ملابسك

وكنت قد ارتديت فستانًا قصيرًا أبيض به ورود حمراء وفككت ربطة شعرك وأسدلتيه على كتفيك، ثم وضعت تلك القلادة الفضية التي صُمِّمت على هيئة «نجمة داوود» والتي تتذكرين أن راجح أهداها لك في يوم يشبه هذا اليوم تمامًا ولكن كيف حدث ذلك؟ هذا ما أخذت تتذكرينه.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٢ -

تأبى حكايتك أن تنتهي، أو ربما أنك أنتِ التي لا تريدين إنهاءها من فرط استمتاعك، فقد كنت حرفيًا تعيشين حكايتك لا تكتبينها.

حين كان راجح عائدًا من الشرفة بعد وضعه السجادة لتجف وبعد أن هذّب وسقى النبات الذي كان يئن من عدم الاهتمام، اصطدم بك، مما جعلك ترتبكين مرة أخرى فحينها وصلتك أنفاسه الدافئة واخترقت رئتيك دفعة واحدة، ولكن ليس هذا السبب الوحيد وراء ارتباكك فيبدو أن نظرته الطويلة المحدقة في كل جزء من جسدك كانت سببًا آخر يضاف إلى أسباب ارتباكك، لكنك سرعان ما تجاوزت هذا الارتباك وذلك بأن تراجعت خطوتين وسألتيه:

- ما هذا؟ لقد سقيت النبات، تصور؛ لقد نسيت أن شرفتي بها نباتات أصلًا، ربما من بعد رحيله-أقصد داوود- لم أعد أقوى على النظر للون الأخضر فقد كنت أنا المسئولة عن إروائه وكنت دائمة الشكوى من داوود لأنه ينسى الزرع ولا يهتم به مطلقًا.

خلصك الكلام بالفعل من بعض ارتباكك، ولكن نظرة راجح ظلت تمامًا كما هي نظرة تفحص وإعجاب فربما شخصية في بساطة راجح لا تستطيع أن تفعل الكثير لتخفي مشاعرها تجاه الأشخاص والأشياء فتظل كما هي بفطرتها تجاه كل شيء بعيدًا عن الزيف والتصنع، وبالفعل كان رد راجح على جملتك الطويلة مشيرًا لك وقد أصبحت تفهمين إشاراته بيسر عن ذي قبل:

- أنت جميلة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شرحها بإشارة عفوية صادقة ثم استمر بالنظر إليك، في حين قاطعتِ نظرته بابتسامة خجلى قائلة:

- تعال يا راجح نجلس سويًا، كم اشتقت للجلوس في الشرفة والطقس اليوم رائعٌ، أكاد أشعر بالربيع في قلبي، تعرف، أريد أن أفرغ زجاجاتٍ كبيرة من المياه في جوف الأرض وأسقي كل النباتات الموجودة في الكون وأنتظرها حتى تنمو فيكسو الأخضر قلب الكون، ويسقي الأخضر قلبي المرهق الذي جفت ينابيعه واصفرت أوراقه من سنوات بعيدة.

- الوحشة والانعزال والغربة بينهم كان اختيارك.

كان رد راجح هذه المرة كتابةً، فحين جلس معك في الشرفة تناول الورقة والقلم وكتب ما سبق معقبًا على كلامك.

وأجبت أنت:

- لا.

ثم أردفتِ:

- ونعم.

ثم أردفتِ مرة أخرى مبتسمة ابتسامة عريضة:

- لم يصدق حدسك هذه المرة راجح، لكنه أيضًا صدق، إن إجابتي حرفيًا هي، نعم ولا.

وأكملتِ كلامك:

- أنا لم أجبرهم على الابتعاد عن حياتي ولم أجبر نفسي يومًا على الانعزال، ولكن ما فعلوه معي وما يفعلونه معك ومع بعضهم البعض طول الوقت هو ما جعلني مضطرة لتركهم والابتعاد عنهم، حتى ولو كان البديل عن ذلك الوحشة والوحدة.

- عاليا أنت امرأة تتمتع بأنوثة غيراعتيادية، تنضح بفتنة أخّاذة،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ومن النادر وجود امرأة تشبهك، ولذلك فضياع سنوات عمرك هكذا يعد جرمًا في حق نفسك لا يغتفر.

كتب راجح تلك الكلمات وتخيلتِ لأول مرة صوته وهو يقولها حتى كدت تسمعين جملته في أذنك بصوت رخيم يتماشى مع ملامحه الآسرة.

- لا أعرف إن كان لن يسوءك ما ستسمعه مني الآن لأنك ستبذل الجهد حتى لاتسيء فهمي أم أنه سيسوؤك لأن من الأيسر أن تسيء فهمي... أنت لا تعرفني.

قلتِ الجملة على صعوبتها مبتسمة ابتسامة من تخلص من الكلمات وترك عناء الفهم لمن يسمع.

- إن لِقلبك لَجسارة تجعله يتخطى الكوابيس المزعجة ويقفز فوقها، أنا أعرفك.

أجابك راجح كتابةً، ثم أردف بالإشارة تملؤه الثقة:

- أنت قوية عاليا.

ابتسمتِ ثم أجبتِه:

- أعلم أني قوية ولو لم أكن بهذه القوة لما زلت بينهم إلى اليوم، إن تخلصي من هلوسات حمقهم المؤذي كان أكبر دليلًا على قوتي، وخاصة حين خدعت في أقرب الناس ، داوود.

صمتٌ برهة وكأنك تنتزعين الكلام من مناطق بعيدة ومؤلمة في ذاكرتك، ثم استكملت حديثك:

- نعم لم يصدق حدسي مع داوود أبدًا، بل صدق شيطان عجوز نبأني بخيانته مرات ومرات، وطالما كذبته إلى أن تأكدت من ذلك بنفسي.

سكتٌ واستعدت حوارًا قديمًا مع داوود:

- لو أنكِ تركت كل رجل لأنه يخونك فلتعرفي مسبقًا أن علاقتك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بأي رجل ستنتهي بأن تتركيه .

صاح داوود مخاطبًا إياكِ.

تراجعتِ خطوتين لتبتعدي بهما عن صياحه ثم نظرتِ في وجهه وقلت بهدوء:

- وأنا لن أحتمل الخيانة مهما وصلت درجة حبي لك.

نظرتِ إلى راجح نظرةً طويلةً ثم قلت مبتسمة ابتسامة باردة:

- وقد صدقت النبوءة، وصرت وجهًا لوجه أمام خيانة الرجل الوحيد الذي أحببته، الرجل الوحيد الذي كنت أحاول سحب كفي من كفه بصعوبة بعد سلام لا أدري مدته، إلا أن ماأستطيع الجزم به هو أن تلك المدة كانت تطول في كل مرة أقابله فيهاعن سابقتها، لم تفتر مشاعرنا إلى آخر لحظة، لم يطفئ الزمن حنيني إليه ولم يطفئ شوقه إليَّ، إلّا أن كل هذا لم يمنعه من خيانتي.

لم يرد راجح ولم يحاول كتابة كلمة واحدة بل ازداد عمق نظرته الواثقة الثابتة التي أحاطت عينيك، والتي فقط ازدادت دفئًا يضاف إلى عمقها واسترسلت أنتِ:

- لقد كانت صدمتي الأقوى في أنه كيف تعطلت حواسي إلى الدرجة التي صدقت فيها الكذب، فقد علمتني أمي من قبل أن أعرف داوود أن الرجالَ خائنون ولكن جاءت صدمتي من كوني صدقت داوود وصدقت حدسي الذي لم يكذب أبدًا، إلا معه ، لقد تعودت أن أتبع العلامات فحياتي ليست إلا مجموعة من الخيوط، أتبع خيطًا من الضوء، خيطًا من الإيمان، خيطًا من الثقة، خيطًا من الحنين، إلا أن خيانة داوود قد جعلت كل الخيوط تتشابك وتصنع بداخلي عقدة كبيرة لم أقوَ على فكها يومًا.

- العلامات يالها من خدعة.

قلتِ ذلك ثم أسندتِ رأسك بين كفيكِ وساد الصمت.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- سأعد لك فنجانًا من القهوة.

أشار راجح إشارةً مألوفة لديك قاطعًا الصمت الذي ساد للحظات، وأجبته بإيماءة من رأسك بالموافقة.

تركك ذاهبًا للمطبخ وأخذتِ أنتِ تتأملين الشارع الذي لم تريه ربَّما لعام كامل تلك الشمس وهي في طريقها لتتوسط السماء، وهؤلاء المارَّة وكل منهم يتجه نحو غايته التي يعرفها وربما التي لا يعرفها، الكلُّ يهرول فثمة شيء ينبغي اللحاق به.

أفتر ثغرك عن ابتسامة بلهاء مع تذكرك لتلك التفاصيل، تذكرك كيف كنت وثابة الروح تنتقلين بين الأماكن بخفة ويسر، وكان لكل مكان صوتٌ هامسٌ يخبرك في أذنك لأول مرة تدخلينه عن حكايتك القادمة مع هذا المكان.

تلمحين بعينيك بائع الجرائد على ناصية الشارع، حين كنت تذهبين بنفسك للاطلاع على معظمها قبل أن تشتريَها وكيف كان يأتي لك بنوع السجائر المفضل لديك، إن تلك الجرائد المتراصة أمامك فوق الأرفف الآن تخبرك عن أشياء كثيرة من الماضي، حتى شكل مطفأة السجائر التي كانت تلازمك، تلك التي ناولتِها لداوود في أول لقاء بينكما وبينما تندفع الذكريات اندفاعًا داخل رأسك عاد راجح.

دخل راجح الشرفة بفناجين القهوة فقطع خيط الفكر الواصل بينك وبين ماضٍ لم يزل حاضرًا بعدُ، ثم ناولك فنجانك وجلس بثقة وابتسامة متزنة وأخذ يشرب قهوته بتأنٍ وهوادةٍ ثم عابثكِ بغمزة اخترقت دخان سجائرك لتخطف منك ابتسامة سريعة، وعرض عليكِ أن تخرجي معه ولما رفضتِ ألح عليك متعللًا بأن لديه مفاجأة ستعجبكِ، وبعد إصراره قبلتِ تلبية دعوته.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٣ -

القواديس

بالفعل خرجت معه من الشقة بعد أن انتهيتما من قهوتكما، وبدلًا من أن تنزلي، أمسك راجح يدك وصعد بك مهرولًا سلالم الدرج المظلم، إلى أن وجدت نفسك أمام مساحة شاسعة زرقاء وأسراب الحمام تغطي معظم المبنى الذي وجدت نفسك فوق سطحه، حيث برج الحمام؛ تلك «الغية» التي أخبرك راجح أنه بناها بنفسه، هذا البناء الأسطواني الذي تتخلله بعض الثقوب، وبجانب كل منها أعواد خشبية قصيرة تبدو كمساند للحمام؛ لأنه يقف فوقها بمختلف أشكاله وحوله النباتات الملونة المحيطة بتلك الثقوب والأعواد.

– ما هذا؟

تقولين مبتسمة.

– إنه ملاذي.

يشير لك راجح بمعنى الكلام.

– لكني أعرفه، أشعر إنني جئت إلى هذا المكان من قبل، ربما منذ جرح، وأشعر أيضًا إنني بكيت هنا، لكني لا أتذكر تحديدًا كيف حدث هذا؟ ومتى؟ أشعر إنني بكيت في هذا المكان وكان السبب داوود، لكن ما كل هذه الثقوب؟

تسألين.

إنَّها القواديس.

يجيبك راجح كتابةً، بعد أن تحير قليلًا في وصف الاسم بالإشارات، فتردين مندهشة مكررة الاسم:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- قواديس؟

- نعم؛ إنها الأعشاش التي يبيض فيها الحمام، تعالي لأريك إياها من داخل البرج.

يجيبك راجح بالإشارة.

تبتسمين وتدلفين معه البرج وهو عبارة عن غرفة مبنية بالطوب الأحمر على عكس ما رأيتِه بالخارج فلقد كان البرج من الخارج عبارة عن طوب لَبِن حتى أنك توجستِ خيفة أن تدخليه خشية ألا يتحمل وزنك، ولكنك طردتِ الفكرة ودخلت مع راجح، لتجدي أن البرج يقع أعلى تلك الغرفة التي دلفتِها، إن ارتفاع الجدران لا يزيد عن مترين في تلك الغرفة ويستقر البرج فوق سقفها بشكله الرائع كأنَّه منحوتةٌ نادرةٌ في قلب السماء.

- لماذا الطوب اللبن؟

سألتِ راجح.

- لأنه يمتص حرارة الجو فيترك البرج نظيفًا، بخلاف الأسمنت فإنه يزيد من انتشار الآفات التي تؤثر على صحة الحمام.

كتب راجح؛ في حين طارت فوق رأسك حمامة سوداء جميلة من يمين البرج، واستقرت هناك في أقصى اليسار بجانب أخرى بيد أنهما أليفان.

نظر إليها راجح مبتسمًا، وكانت ابتسامته صافية طيبة، وفيم كنت تتأملين ابتسامته كتب هو بعض الكلمات، وأشار لك أن تقرأيها فقرأتِها في صمت:

- تلك الحمامة التي طارت فوق رأسك هي من الحمام «الأسود العنبري» هذا اسمه، أما الذي يحلق هناك حول النباتات فهو «العبسي المصري».

ثم أشار إشارة واضحة إلى شيء بالأعلى وكتب مسرعًا:

- انظري هناك إلى تلك الحمامة الرائعة الجمال التي تقف وحيدة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في أعلى البرج، انظري عاليا، إنها تفوق جميع الأنواع في جمالها إنها «الغزار»، إنها تشبهك في جمالها.

قرأتِ كلمات راجح مبتسمة، بينما لمحت عيناكِ كلمات أخرى مكتوبة بخطه على الحائط، فأخذت تقرأين:

محبة صدقٍ لم تكن بنت ساعة ولا وريت حين ارتياد زنادها

لكن على مَهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها

- أنت من نقش تلك الأبيات على الجدار راجح؟

سألتِه، وأجابك بإيماءة:

- نعم.

أردفتِ:

- هل تحب قراءة الشعر؟

كتب راجح إجابته:

- وكتابته أحيانًا.

ضحكت ضحكة مسموعة متعجبة:

- لا أستطيع تصديق ما يحدث، قطعًا أنا في حلم.

- لماذا؟ هل كنت تظنين أنني لا أستطيع فك الخط؟

كتب راجح مبتسمًا.

-قطعًا لا ولكن .. ابن حزم الأندلسي؟ طوق الحمامة؟

- لا أستطيع أن أميز الغريب في الأمر بالنسبة لك، فأنا حاصل على ماچستير في الأدب المقارن.

كتب راجح.

وهنا كتمتِ أنفاسك لوهلة ثم التفتِّ لراجح بعد أن كنت تحدثينه وأنتِ تنظرين للكلمات فوق الحائط وهو يقف بجانبك بالكاد تلمحين إشاراته، ثم كررت كلماته التي كتبها منذ وهلة بتأنٍّ وتعجب في صيغة سؤال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ماچستير في الأدب المقارن؟
- نعم.
- وما الذي ...
قاطعك راجح بالإشارة:
- ما الذي جعلني أقبل عملاً كهذا؟
- أنا آسفة إن كنت قد تدخلت بشأن ليس من حقي التحدث فيه، ولكن أعذر دهشتي.
- على الإطلاق. اسألي ما شئت، وإن شئتِ دعيني أروي لك، فهي قصة طويلة.
- بالتأكيد أحب أن أستمع إلى تلك القصة.
بدأ راجح يكتب:
- أعرف أنني لا أشبهكم، لست ذكيًا بما فيه الكفاية لأصل لهذه المرحلة التعليمية، ولكن هذا تحديدًا هو عين ما جعلني أستكمل دراستي ما بعد الجامعية، فبعد أن توفي والدي وكنت قد أنهيت الدراسة الثانوية في إحدى مدارس التربية الخاصة، خرجت للعمل والتعامل لأول مرة في حياتي مع أشخاص لا يشبهونني، حيث كان عمي إبراهيم حارس العقار صديقًا لوالدي، فقد كان يعمل والده حارسًا عموميًا ومسئولاً عن تعيين حراسة للمحلات الكثيرة التي كان يملكها جدي والإشراف عليها ولذلك تربى عمي إبراهيم قريبًا من والدي، وهو الذي طلب من أمي أن أعمل معه بعد تدهور الأحوال من وقت وفاة أبي، وبالفعل جئت، وعملت معه، وكما ترين ما زلت إلى الآن أساعده في حراسة العقار وجلب الطلبات لسكانه.
وأردف:
- لكني لم أتخيل يومًا أنه سينتهي بي الحال إلى هذا العمل بعد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

سنوات الدراسة، وما لا تعرفينه أن عائلتنا ليست عائلة فقيرة، بل إنها كانت من أثرى العائلات في مصر، ولكن لظروف لا أستطيع شرحها الآن انتهى بنا الحال لما ترينه اليوم، من شاب تيتم واضطر للعمل حتى لا تتشرد أسرته من بعد وفاة والده.

ثم استكمل شرح كلماته بالإشارة وكتابة ما تعثر عليه شرحه، أو ما تعثر عليك فهمه:

- أما رغبتي القوية في الالتحاق بالجامعة فلم تخفت يومًا، فقد كنت أصعد هنا يوميًا حيث ملاذي؛ تلك الغية التي بنيتها لأهرب من هؤلاء الناس الذين لم أستطع التكيف معهم أبدًا،

فهم يختلفون كليًا عن أمثالي، إن هؤلاء الذين كنت أعرفهم قبل أن أخرج إلى عالمكم كانوا يكتفون بالقليل، كان للحب والتضحية والوفاء مكان بينهم على قصر ذات اليد، فكل منهم لم يكن بيده الكثير ليعطيه لمن هم مثله وربما أقل لكنهم دائمًا كانوا في محاولة حثيثة لمساعدة بعضهم البعض، ربما من تذوق طعم الألم هو الأقدر على مساعدة غيره ألا يتذوقه.

وسكت هنيهة، ثم أردف:

- أما دنياكم فليست هكذا، لا أدري ما الذي يتكالب عليه هؤلاء البشر؟ لا أدري حقًا ماالذي سيفوتهم؟ ولا ما الذي يتصارعون من أجله؟

ورددتِ عليه بابتسامة صافية وقلت:

- معك كل الحق راجح، كم أنا ممتنة للقدر الذي جعلني أقابل شخصًا مثلك.

- هنا قابلت الدكتور شهاب إدريس، عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وجارنا بالطابق الخامس، الذي صعد ذات مرة إلى السطح وتناول معي الشاي في برج الحمام وأبدى إعجابه بالمبنى ودقة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تصميمه، وما أثار دهشته إنني قمت بتصميم وتنفيذ المبنى كله وحدي دون أية مساعدة من أحد، وسألني ساعتها عن مجموعي بالثانوية، وأخبرته أنني حاصل على درجة أقل بعشر في المائة فقط من مجموع الدرجات الكلي، وهنا انبهر الرجل ولم يصدق كما فعلت أنتِ تمامًا عندما ذكرتُ لكِ أنني حاصل على درجة الماچستير، ثم سألني إن كنت أرغب في استكمال تعليمي، فأبديت له أن تلك أمنية من أمانيَّ، وبالفعل لم يتأخر الرجل، فكلم أصدقاءه في كلية الآداب عن حالتي ذلك أنني أبديت له رغبتي في دراسة الأدب العربي، وظل مساندًا لي حتى اللحظة التي ناقشت فيها رسالة الماچستير في الأدب المقارن بين العربية والعبرية، على صعوبة ذلك الأمر بالنسبة لشخص مثلي، لكن الدكتور شهاب رحل عن العقار وسافر إلى إحدى الدول هو وأسرته وانقطعت أخباره تمامًا، ومن وقتها لم أجد لي داعمًا بعد الدكتور شهاب، والذي لولا اختفاؤه لأكملت الدكتوراه ولم أكن لأكتفي بالماچستير، أما عن العمل بالماچستير فلم أعمل به لظروف أيضًا ربما لن أستطيع توضيحها، ظروف تجعلني مضطرًّا أن أبقى سائرًا بجانب الحائط كما تقولون إلى آخر يوم في عمري، حتى إن الدكتور شهاب كان قد سعى لي في منحة ولكن خروجي من مصر طبقا لهذه الظروف يعني أن عودتي لها قد تعدُّ احتمالًا ولست على استعداد بالتضحية بهويتي المصرية مهما كان المقابل مغريًا ولكن يكفيني حصولي على تلك الدرجة العلمية برغم الصعوبات أو بمعنى آخر؛ انتزاعها من بين ضروس الحياة كحلم شرس عنيد ظل يلاحقني سنوات.

– لن تصدق مدى ذهولي مما تروي، ولكن ما حكاية الظروف التي لن تستطيع شرحها؟

وهنا ابتسم راجح وساد صمت طويل.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٤ -

ديڤيد رافائيل موصيري

نظر راجح لعينيك نظرة طويلة وبدأت أنتِ تهمسين:

محبة صدق لم تكن بنت ساعة ولا وريت حين ارتياد زنادها

اقترب منك راجح وهو يلف ذراعه حول خاصرتك ويقف خلفك، ثم أشار لك لتقرأي بقية الأبيات فهمستِ تقرأينها:

لكن على مهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها

وهنا أشار إلى كلمة مكتوبة بخطٍ صغيرٍ أسفل الأبيات لا يكاد يراها إلا من دقق النظر، وقرأت الكلمة ببطء متهجية:

- ع ا ل ي ا ...

عاليا.. إنه اسمك؛ لكنك لستِ مندهشة فمنذ الوهلة الأولى وأنت تعرفين مشاعر راجح تجاهك، وبعد أن أتممت قراءة الأبيات وأغمضتِ عينيك مستسلمة لإحساس كان لابد له من التدفق بهذا الشكل منذ مدة من الزمن، فتحتِ عينيك فأدار راجح جسدك لتكوني قبالته، ثم قرَّبكِ أكثر إليه، وهنا تقلصت المسافة بين جسديكما بالشكل الذي يتناسب مع تقلص المسافة بين روحيكما، وبينما عيناك تتجولان بين ملامحه نزلت بنظرك إلى أسفل قليلًا لتلمحي قلادة في صدره فمددت يدك وأخرجتِها من تحت القميص الذي كانت تتوارى خلفه:

- ما هذا؟ انتظر، أنا أعرف هذه النجمة.. إنها نجمة داوود.

- نعم

- تعرف؛ إنها تشبه آلة قديمة كانت لجدتي، لكنها آلة سحرية فهي تتنبأ بمستقبل الأشخاص، اممم .. لكن..

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وهنا قاطعك راجح:

- لكن ماذا؟ أرى علامات الاستفهام تطل من عينيكِ.

- نعم؛ أنا بالفعل مندهشة من وجود تلك القلادة في رقبتك.

- أعرف ولكن ربما لو راجعت كلامي معك عن الظروف التي تمنعني من العمل بشهادتي الأصلية لفهمتِ شيئًا.

- حقًا لا أفهم، ما صلة النجمة بتلك الظروف؟ ما أعرفه أن تلك النجمة هي شارة لليهود والآن رمز صهيوني..

قاطعك راجح مشيرًا بحدة:

- قطعًا لا.

ثم بدأ يكتب:

- نجمة داوود رمزٌ دينيٌّ، وليس قاصرٌ على الصهاينة، هل تعرفين أنه كان يُرسم على المساجد القديمة، فالرمز له دلالات معنوية كثيرة هو أيضًا يمثل أول حرف من اسمي.

- كيف؟ اسمك راجح؛ بمعنى أن أول حرف من اسمك راء، أما النجمة فعلى حد معلوماتي تبدأ بحرف دال.

- هي قصة طويلة كما ذكرت لك من قبل.

- وأنا أريد أن أعرف تلك القصة.

- إذن فلنبدأ بتعريفك بنفسي أولًا ... «ديفيد رافائيل موصيري».

- ماذا؟

- كما قرأتِ؛ هذا اسمي.

- كيف؟ ومَنْ راجح هذا؟

- «راجح نجيب» هو الاسم الذي اختاره لي والدي حين قام بتغيير أسماء عائلته جميعًا، نعم غيَّر أسماء أولاده واسم زوجته - أمي- وغيَّر اسمه أيضًا، هذا في عام «١٩٧٥» وقت شعر بالخطر علينا فبعد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حرب أكتوبر «١٩٧٣» تم القبض على عمي «مراد موصيري» بتهمة الجاسوسية كما حدث لبعض اليهود المصريين وقتها.

- اليهود!

- نعم اليهود.

- إذن أنت...

- يهودي.

هنا ابتلعت ريقك مصدومة، ثم ابتعدتِ عن راجح كل الخطوات التي اقتربتِها منذ قليل.

- إذا أردتِ أن أتوقف عن الحكي وأصحبكِ لشقتكِ الآن، سأفعل فورًا.

أشار لك راجح.

- لا؛ بالعكس أريد أن تكمل... أكمل من فضلك ما بدأت تحكيه.

هكذا رددتِ عاليا وأنتِ في حالة ذهول كاملة، واسترسل راجح في الحكي:

- ولأن الحكومة المصرية كانت قد بدأت تشك في ولاء اليهود المصريين منذ إعلان قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨، ونزوح العديد منهم إليها إلى حد انتماء البعض لها وتنكرهم لمصريتهم تمامًا، حتى إن كثيرًا من اليهود النازحين قطعوا كل صلة لهم بمصر، وحدث أيضًا أن حالة من التهجير الجماعي اليهودي قامت في كل دول المنطقة العربية ردًا على استفزاز الأمم المتحدة وقتها لمشاعرهم بقرار التقسيم ، فمنذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٠ ترك عشرون ألف يهوديا بلاد النيل ولاقى الحي اليهودي بمصر اضطهادًا جعل اليهود يشعرون بعدم الانتماء لتلك الدول التي هجَّرتهم وطردتهم، ولكن أقول بعض اليهود لأن البعض الآخر، وخاصة هؤلاء الذين كانوا من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أصول مصرية وليسوا مهجرين هؤلاء رفضوا ترك بلادهم التي نشأوا وتربوا فيها ، وأبى بعضهم إلّا أن يموت على أرضها، بعد ذلك وأثناء الحرب التي دارت بين مصر وإسرائيل استطاع الصهاينة تجنيد بعض اليهود الذين ظلوا بمصر في الموساد الإسرائيلي اعتمادًا على تلك الفجوة التي حدثت بين اليهود والشعب المصري بعد التقسيم، ولكن من اليهود مَن أبى أن يخون مصريته وانتماءه لمصر وطنه الأول بل والوحيد ويعلم الله أن عمي مراد كان واحدًا من هؤلاء.

وأردف:

- لقد كان من اليسير أن يبيع أملاكه في مصر ويغادرها في سلام إلى إسرائيل غير أنه أبى إلّا أن يموت فيها، ولكن في تلك الفترة كانت الحكومة المصرية بل والشعب أيضًا قد بدأوا في كراهية اليهود ومعاملتهم بذنب ما اقترفته إسرائيل من عدوان على مصر ١٩٥٦ ومن بعدها ١٩٦٧ وتلك الأخيرة؛ كانت طامَّة اليهود الكبرى في مصر، فقد قتلت إسرائيل في ذلك العام ألفًا من الأسرى المصريين، ولك أن تتخيلي لو كنت تعيشين وقتها، وقامت إسرائيل بقتل أخيك مثلًا وفي نفس الوقت لك جارٌ يهوديٌّ، فماذا سيكون شعورك إزاءه؟

هنا أخذ راجح نفسًا عميقًا وتابع الكتابة:

- ازدهر في تلك الفترة عمل اللجان التي كانت تعمل لصالح الحكومة والتي تقوم بالإبلاغ عن أي يهودي يشكون في انتمائه، وقد كان من اليسير تلفيق التهم ضد أي يهودي، لأن عدد اليهود المتبقي في مصر وقتها كان قد قلّ كثيرًا، وكان من السهل جدًّا حصرهم وضبط وإحضار أي منهم بسهولة، مع تواتر كراهية الشعب المصري لليهود حينذاك جراء ما فعلته إسرائيل، فقد كان من السهل تصديق أي شيء عليهم ممَّا سهَّل تلك المهمة، وقد كان عمي مراد أحد هؤلاء الذين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

غُدر بهم واتهم ظلمًا وصودرت أملاكه بل وأملاك عائلتنا جميعها، وحكم علينا بالمغادرة السريعة للأراضي المصرية وحكم على عمي بالإعدام، وكاد أبي أن يموت من صدمته فيما حدث لأخيه وانهار تمامًا بعد أن تم تنفيذ حكم الإعدام فيه، وكانت صدمته أيضًا في قرار الحكومة المصرية بمغادرته وعائلته للبلاد، وكان أبي يعشق تراب مصر ويقول إن مصر هي وطنه وأن ليس له موطنٌ غيره ولن يغادرها إلا في كفن أبيض.

قاطعته:

– حتى بعد ظلم عمك فيها كما تقول؟ وإن كنت أشك في مسألة إعدامه ظلمًا هذه، هل تعرف كيف يصدر حكمٌ بالإعدام لشخص ما؟ معنى هذا أنهم تأكدوا من حقيقة تجنيده وخيانته فعلًا، الأمور لا تدار بالسذاجة التي يصدر فيها حكم كهذا بالخطأ.

– لن أراجعك في رأيك؛ لأنك لم تعرفي عمي مراد ولا مقدار حبه لمصر، ولكن الفكرة كلها تتلخص في أن موظفًا في أحد محلات عمي كان قد تم تجنيده وزوجته بالفعل لدى الموساد الإسرائيلي ولم يعلم عمي شيئًا بالطبع عن الأمر ولسوء حظ عمي أن هذا الرجل كان من أكفأ الموظفين لديه لذا فقد كان من المقربين لعمي مراد الأمر الذي جعله يقضي معه وقتًا طويلًا حيث كانا يسهران معًا كما كانا يقضيان معظم وقت النهار معًا بالطبع بحكم العمل وكان عمي محبًا للسياحة والتجوال لذا فقد كان كثير السفر مما زوَّد الشكوك حوله ولكن يعلم الرب براءة عمي من تلك التهمة وهذا ما أقره ذلك الموظف حين قبض عليه وقبل الحكم بإعدامه مباشرة ولكن كان قد فات الوقت حيث أعدم عمي مراد قبل القبض على هذا الرجل بشهرين، وبالرغم من اعتراف هذا الرجل ببراءة عمي أصرت الحكومة المصرية وقتها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أيضًا على تهجيرنا، أما بالنسبة لسؤالك فإجابتي هي نعم؛ حتى مع اقتناع أبي ببراءة أخيه مراد وقناعته التامة بأنه أُعدم ظلمًا، وحتى بعد مصادرة أملاكه -وكانت كثيرة- رفض أبي مغادرة مصر.

واسترسل:

- إن أبي كان يعشق مصر كالكثير من اليهود المصريين الذين تربوا ونشأوا على أرضها، وقتها كان لأبي صديق يعمل موظفًا بالشهر العقاري، اقترح عليه تغيير اسمه وأسماء أبنائه وزوجته وتغيير محل إقامته، ولم يكتف بهذا بل ساعد أبي فعلًا في تنفيذ تلك المهمة وساعده في استخراج الأوراق اللازمة التي تثبت أنه «نجيب أمين» المصري المسلم، وانتقلنا من الإسكندرية للعيش في القاهرة وغيَّر أبي مهنته وكل شيء يصله من قريب أو بعيد بـ«رافائيل موصيري» شخصه الأصلي.

هنا فغر فاهك ولم تستطيعي النطق، فقط أخذت ترددين على نفسك:

- راجح يهودي ... يهودي! لا ليس راجح! بل ديفيد.. ولكن ديفيد! يا الله إنه هو؛ ديفيد.. داوود مرة أخرى.

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٥-

المزراحي

أطلتِ النظر إلى راجح -فيما أطرق هو مطأطئ الرأس- وليس في بالك سوى صوت جدتك الذي كان يرن في أذنيك بتلك النبوءة القديمة في حين استرسل راجح يكتب منفعلا:

- هل تعرفين معنى أن تعيشي غريبة في موطنك؟ هل تعرفين معنى ألا تستطيعي حتى أن تنادي مَنْ تحبين بأسمائهم الحقيقية؟ أن تتخلي عن اسمك؟ ألا تمارسي شعائرك الدينية إلا في الخفاء؟

وسكت قليلًا، ثم تابع الكتابة:

- إنني أحبُّ جدًا ارتداء قبعتي الدينية وأملك واحدة كانت لأبي، ولكن هل أستطيع أن أضعها فوق رأسي؟ قطعًا لا؛ فليس لدي الحق في فعل أمر بسيط كهذا، وتلك النجمة التي أخبئها عن عيونهم دائمًا، فلا أعرف حقًا ماذا سيفعلون معي لو اكتشفوا أمرها؟

- لا أستطيع أن أتكلم فقد تجمدت أوصالي من حكايتك يا راجح ولكن كل ما أستطيع قوله إن التاريخ وحده هو من يكتب مصائرنا.

- التاريخ وجهة نظر عاليا، أَمِنَ العدل أن تتحكم وجهة نظر في مصائر البشر؟

- لقد سمعت جدتي تقول: التاريخ يكتبه فقط؛ المنتصر.

- ماذا لو كان المنتصر ظالمًا؟

بدأت تطيلين النظر مرة أخرى إلى راجح وهو يشير لك:

- هنا فقط ملاذي؛ حيث أعلو فوق كل شيء، فوق تفاهاتهم، فوق أعراقهم وأيديولوچياتهم وجنسياتهم وأديانهم وخرائطهم، أترك لهم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رقعة الأرض التي يتصارعون عليها، وأسمو فوقها عارجًا إلى سمائي حيث مدى لانهائي، لا حدود ولا تقسيمات ولا واجبات تودي بنا لقتل بعضنا البعض.

كان راجح يمنع دموعًا أن تطفر من عينيه، لكنها خرجت خارج حدود جفنيه ولامست خديه رغمًا عنه، أما الكلمات فكانت تتدفق في الورقة بانسيابية، كدموعه تمامًا، حتى ابتلت الورقة التي كان يكتب فيها دون أن يلاحظ هو ذلك لشدة انهماكه فيما يكتب.

الواجب؛ يالها من مفردة غبية يَقتل باسمها الأفراد والحكومات والمنظمات، تُقتل باسمها الإنسانية بدم بارد، في سبيل ماذا؟ في سبيل دين، مؤسسة، مذهب، وطن، أو أيديولوجية، كم شخصًا في حياتنا قَتل أوقُتل باسم الواجب؟

إن هتلر أباد ملايين البشر باسم الواجب، كل الحروب التي خاضتها البشرية كانت باسم الواجب، كل البغض والغل وعدم التسامح الذي يملأ العالم باسم الواجب، تبًّا لكل واجب لا يعرف الإنسانية، تبًّا لقوانين لا تحفظ للإنسان سلامه الشخصي، قوانين لا تُعلي من قيم التسامح والرحمة من أجل ماذا؟ رقعة من الأرض؟ لون أو جنس أو فكر؟ أو معتقد؟ ما الفرق بين الإسلام والمسيحية واليهودية؟ أو حتى البوذية والهندوسية؟ أو اللادين أو حتى الإلحاد؟ ما الفرق الشاسع الذي يجعل من ديانتك وقناعاتك سببًا كافيًا ألا تنعم بالعيش آمنًا؟ سببًا كافيًا لتَقتل؟ أو تُقتل؟ سببًا ألَّا تمارس حقك الأدنى كإنسان، فقط إنسان، إنسان وكفى.

شعر راجح بدفقة دافئة فوق خديه، فبدأ يجفف دموعه دون أن ينظر إليك، وهو يتابع الكتابة:

- أعرف أنك تكرهينني الآن ولكني أحبك، أحبك عاليا، أعرف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أيضًا أنك مثلهم تكرهين اليهود، ولكن الديانة اليهودية رسالة سماوية واليهود كغيرهم من البشر مجرد «بني آدم»، والديانة اليهودية ضحية الممارسات الصهيونية، ضحية كل ما هو غير أخلاقي لا يمت للدين بصلة، إن الفكر العنصري ليس جزءًا من أي دين، كل الممارسات الإرهابية هي من صنع البشر، هي نتاج تلوثهم وليست نتاج أي معتقدات دينية، أنا نفسي كيهودي ضحية لعدم تسامح الصهاينة وتشويههم لتعاليم اليهودية السمحة لتصبح مرتبطة بالدم، بالعنف، بالإرهاب، وبغياب الأخلاق كما تشوه الدول الإسلامية أيضًا صورة الإسلام.

– لا أرجوك لا تضع الدول الإسلامية في درجة واحدة مع ما تفعله إسرائيل.

– إذن أنتِ تتحدثين مثلهم، أنا لا أضع شيئًا في درجات، ولا في سبيلي لتصنيف الديانات واحدة ضد أخرى، أولتصنيف هذه أكثر عنفًا وتلك أكثر رحمة، ولا أنا هنا أتحدث معك وحدك من دون العالم لأحاول أن أقلل من شأن معتقداتك الدينية، وجعلها ديانة مدانة من العالم، ولكن إن نظرت بموضوعية ستجدين أن الإسلام مدان في دول أمريكا وأوروبا ويوصف بالإرهاب أيضًا كالممارسات الصهيونية، كما أن اليهودية مدانة وغير مرحب بها بين مجتمعات الدول العربية والإسلامية وتوصم بكل ما تفعله إسرائيل، إن كل طرف ينظر للآخر نظرة دونية بالرغم من أن الأشخاص أو حتى الكيانات التي تسيء لديانة ما لا تعني أفعالهم بالضرورة أن من ينتمي لتلك الديانة يجب أن يكون سيئًا، ولكني أتحدث هنا عن معنى آخر بعيد، أتحدث عن أنه متى يختفي «الآخر» من عالمنا؟ ومتى تختفي صراعات الأيديولوچيات والأعراق والأديان؟ وأبدًا لم أعقد مقارنة ولا أردت هذا من قريب أوبعيد، يبدو أنني أخطأت بالتصريح لك بمكنون صدري.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- آسفة راجح لم أقصد كل هذا ولكن .. آسفة وكفى، أرجو أن تعذر ضيق أفقي ولتكمل ما بدأت، أنا لا أكرهك راجح أنت تعرف كم أنك شخص عزيز لدي، ولن يغير ما قلته أوستقوله من موقفي تجاهك شيئًا، أنا لا أكره أحدًا يا راجح لا أعرف معنى الكره، فكيف لي أن أكرهك؟ ولكني أيضًا نشأت كغيري من العرب على قصيدة «لا تُصالِح» وأعتقد أن أعمالهم كفيلة بترسيخ المعنى في ضمائرنا وأذهاننا كل يوم أكثر مما قبله، إنه الدم الذي يغلي برؤوسنا لطفل بريء لا يستحق أن يموت برصاصة غدر..

- إن قضية فلسطين هي قضية كلِّ حرٍّ عاليا، وليست قاصرة أبدًا على فئة أوأخرى، لكي تكون إنسانًا لابد ألا يكون تعاطفك انتقائيًا. هل تعرفين أن الحاخام المغربي «موشى أوحيون» بكى كما لم يبكِ من قبل، هذا عام ٢٠٠١ على الطفل «محمد الدرة» لقد شاهدت بكاءه بنفسي.

وهنا تذكرتِ كلمة قالتها امرأة إسبانية سمعتِها أثناء مكوثك هناك، قد قيلت عنها في مناقشة حضرتِها حيث كان يتحدث داوود وبعض الأصدقاء الإسبان والعرب عن الثورات في إسبانيا ثم تطرقت المناقشة للمقاومة الفلسطينية ضد العدوان الصهيوني فنقلتِ كلمتها لراجح:

- كانت هناك إمرأة إسبانية تدعى «لاباسيو ناريا» أثناء الحرب الأهلية الإسبانية، لقد قالت مقولة مشهورة أتذكرها الآن، فقد قالت: «من الأفضل أن تموت واقفًا على قدميك على أن تمشي زحفًا على ركبتيك»....

وهنا قاطعك راجح مشيرًا:

- ومن قال إني أختلف معك في هذا أبدًا، إن أية مقاومة في العالم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

لابد أن تُحترم وأي عدوان غاشم لابد أن يُحتقر، ولا سبيل للتسامح مع من يريد الحرب ويسعى لها، ولكني أتمنى أن تختفي الحرب، لا أعرف متى ولا كيف؟ فقط أشعر بغباء مَنْ يحارب، فكم خسرنا في الحروب؟ وما زلنا نخسر، ثم سكت هنيهة وأردف:

- اعذريني أنا أيضًا لم أقصد بممارسات المسلمين سوى ذلك التشديد وتضييق الخناق على معتنقي الدين، وتطبيق أحكام الردَّة القاتلة ليصبح أيضًا مرتبطًا بالعدوان والإرهاب وهو كما أعرفه دينًا سمحًا بريئًا من كل هذا، لابد لمطبقي الأحكام الدينية من المرونة لمطابقة تلك الأحكام مع التطورات التي طرأت على العالم التي لو شهدها الأنبياء لعدَّلوا قوانينهم بما يُعلي من قيمة التسامح بين البشر على اختلافاتهم، العنف والقتل.. يالها من تهم كبيرة بحق أديان توحيدية سماوية تقوم على العدالة المستمدة من عدالة السماء ما فائدة الدين إذن إن كان مجرد دعوة للقتل أوالإرهاب أوالعنف أوالتمييز العنصري؟ سكت راجح قليلًا ثم أشار لك:

- إن نسب جدي لأمي يرجع لبعض الأصول العراقية ويقال إنَّه يرجع تحديدًا إلى عنان بن داوود ذلك الحبر الجليل الذي اتجه لاستخدام العقل وابتعد عن فكرة الحلولية.

- عنان بن من؟ هاهاها يالمحاسن الصدف.

- ماذا تعنين؟ لا أفهم.

- الأمر يتعلق بالنبوءة ومن أين أتى جدي بالآلة التي خبَّرتنا بالنبوءة، بالتأكيد سأحكي لك فكل شيءٍ يبدو واضحًا إلى حد كبير لي الآن ولكن ما الحلولية هذه التي ابتعد عنها مذهب ذلك الحبر الجليل عنان؟

- أن يحلَّ الربُّ في الأرض فتصير الأرض المقدسة أو يحل في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الشعب فيصير شعبه المدلل المفضل على باقي الشعوب والأجناس وكل تلك الأفكار التي تمهد للكِبر وللعنصرية ويصير العالم باسمها مرتعًا للبغضاء والفساد، أقول لك شيئًا، ثم كتب:

- ألستم خير أمة أخرجت للناس؟

وسكت هنيهة ثم نظر إليك مبتسمًا ابتسامة ذات مغزى وأردف كتابةً:

- ونحن شعب الله المختار.

هنا ابتسمتِ أنتِ عاليا ابتسامةً ساخرةً ممتزجةً بألمٍ لأنك فهمت ما يعنيه راجح.

نظر إليك ونظرتِ إليه ثم اتجهتِ بنظرك للأرض وكأن الكلمات علقت بحلقك، ثم أكمل هو كتابة:

- اعلمي عاليا أني ضحية لعدم تسامح اليهود وعدم تسامح غير اليهود على السواء، فالمسلمون والمسيحيون يرفضونني فلا أنا أستطيع العيش في وطني ووطن آبائي وأجدادي مصر وأعلن عن ديانتي وأمارس طقوسي في سلام ولا أنا راغب في النزوح إلى إسرائيل التي لا أعترف بها من الأصل، حيث إني لا أعترف بكل ما هو غير إنساني كل ما بُني على الدم فهو ليس مني، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة وتابع:

- حتى من اعترفوا بها... وأطرق يفكر ثم استرسل:

- هل تعرفين أن ممارسات الصهاينة العنصرية تمتد إلى اليهود أنفسهم؟ هل تعرفين أنهم يقسمون اليهود داخل إسرائيل، إلى يهود أوروبا وهم الفئة المفضلة التي تملك كل الامتيازات، ويهود المزراحي.

- المزراحي؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– نعم؛ أي يهود آسيا وأفريقيا، اليهود الشرقيون –نحن– وهؤلاء كما تقولون تمامًا «أولاد البطة السوداء» حيث يتحدثون عنهم كأنَّهم نواة الجهل والتخلف بالعالم أجمع، يخاطبونهم خطابًا عنصريًّا صريحًا دون خجل أو مواربة، ينعتونهم بكل الصفات الدونية ويتحدثون عن مدى تضحيات الحكومة الإسرائيلية لمحاولة تنمية هؤلاء ودمجهم في المجتمع الصهيوني، في حين أنهم يستبعدونهم تمامًا من المزايا الاجتماعية التي تمنح للعمال الأوربيين، ليس فقط، بل قصرت الدولة عليهم دور العمال بأجرٍ، فهم ممنوعون من تملك الأراضي كمثال، هل تعرفين أن ساساتهم يحذرون اليهودي «الأشكينازي» من التزوج بيهود «السفردي» أو «المزراحي» أيضًا.

– لقد سمعت تلك المقولة يومًا ولم أفهمها «إنهم يصارعون من أجل أن يحققوا كيانًا أوروبيًّا في الشرق الأوسط لكنه ليس من الشرق الأوسط»، أعتقد أنني فهمت الآن.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٦-

مارس ٢٠٠٩

كانت السماء تظلم تدريجيًا إلى أن حل الليل مكان النهار وكانت الليلة ربيعية رائقة والنجوم تتلألأ في صدر السماء، وكأنها تجسيدٌ حيٌّ يليق بدهشتك وشغفك، فلم تكوني مصدومة بقدر ما كنت في حالة من الذهول مختلطًا بانبهار خفي بشخصية راجح، كنت تنظرين له متأملة جَلده وصلابته في مواجهة كل ما مر به، كانت تحدثك نفسك أنك أمام نموذج إنسانيٍّ فريدٍ، حين تضيفين لذلك تركيبة راجح الفريدة بالأصل والتي خبرتِها قبل حتى أن تعرفي تلك التفاصيل، تجدين أنك أمام شخصية غير عادية بالمرة، شخصية عنيدة، عصية على الانكسار، برغم كل ما مر بها، ثمة شيء كان يخبرك بأنك في تلك الليلة ستتبادلين الألم الذي اعتراكِ طويلًا مع صدق راجح الواضح لصنع مزيجٍ روحيٍّ نادرٍ.

- شيء ما لن يساورك بعد الآن عاليا في أي شيء أوشخص تقابلينه ربما هو اليقين، فقد امتلكت جل الشك في كل شيء وشخص.

تهمسين لنفسك ثم تتبعين ذلك بضحكة مسموعة، مما يجعل راجح ينظر إليك متسائلا:

- ما المضحك في الأمر؟

- ما المضحك في الأمر؟ حقًا ما المضحك في الأمر؟ لا شيء يثير الضحك، لا شيء يثير السخرية، ولا شيء سوى أن الحياة تساومنا، وأنا لن أقبل مساومتها ألبتة.

بدأت تصيحين:

- أيتها الحياة، أنتِ محض ادعاء، أنتِ لا شيء، أنتِ مجرد أمر مضحك فقط.

أخذت نبرة صوتك تعلو تدريجيًا وأنت تصيحين بتلك الكلمات،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حتى أخذك راجح بين ذراعيه مهدئًا إياك:

- اهدأي عاليا، لا شيء يستحق ذلك لو أردت ألا تريني مرة أخرى سأفعل.

- ليتني أريد هذا أوحتى أستطيع أن أفعله، أنت قدرٌ يا راجح؛ لابد لك أن تعرف أن تلك نبوءة تتحقق، ولا يد لنا في كل ماحدث ولا ما سيحدث لأن ما يحدث الآن كُتِب منذ زمن بعيد، وأخذت تعيدين ما قلتِه:

- أتعرف؟ أنت قدرٌ يا راجح.

- قد أكون قدرًا زائفًا، كاذبًا.

- الأقدار ليست اختيار يا راجح، كلٌّ مرتبط بقدره حتى لو كان قدرًا زائفًا.

- عاليا، اهدأي.

اقتربتِ من راجح ولاحظ هو ذلك، فكفَّ عن إشاراته وترك قلمًا وورقة في يديه على أرضية برج الحمام، وضمك إليه في عناق لا تدرين كم دامت مدته، لأنك استفقتِ منه على نجمة داوود في رقبتك وأزواج الحمام تحيط بكما، وقتها شعرت بقلبك يهوى لأسفل في سرعة وهمية، ومن المؤكد أن راجح شعر بنبضات قلبك المستقر بين طيات قلبه في تلك اللحظة، لأنه أخذ كفك بين يديه ثم انحنى عليه برأسه وقرَّب شفاهه منه وقبَّله وهنا لم تستطيعي أن تمنعي دمعة كانت تسكن عينيكِ أن تطفر فمدَّ راجح يده ومسحها برفق ثم أخذ يشير لك قائلًا :

- حياتي ليست بينهم، حياتي هنا في أحشائي الداخلية فقط، إن صراعاتهم لا تخصني ولا أكترث لما يتصارعون عليه ومن أجله، عاليا أحبك؛ ولا يعنيني في الكون غيرك أنا في نظر المجتمع مسلم فبطاقتي وأوراقي وكل شيء يؤكد أني مسلم، وبالمناسبة هذا المجتمع لا يعنيني، أما عني فأنا مؤمن بالله وأعترف بكل الأديان السماوية وغير السماوية أعترف بكل ما يوقف سيل الدم، وكل ما ينقذ العالم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من الحرب والعنف والعنصرية والدمار أنا مؤمن بالحب، بالإنسانية، الرحمة ديني وأريد طمأنتك فما الذي يضير العالم أن أحببتك، وأن أحببتِني؟ ما الشيء الخطير الذي يمكنه أن يحدث جراء علاقتنا؟

- علاقتنا!

رددت باندهاش وكأن الكلمة عادت بك من منطقة بعيدة.

- وبم تسمين ما يحدث الآن؟

أشار راجح متسائلا.

ورددتِ أنتِ:

- قدر.

فأجابك على الفور:

-إذن علاقتنا هي قدرنا.

أطرقت تفكرين، فثمة شيء يدعو للتأمل في شأن تلك النبوءة إن راجح هو داوود وهذا عين ماأخبرتك به جدتك، فقد قالت لك إنك ستقابلين رجلًا انشطرت روحه في جسدين وبقي اسمه واحدًا، ستعرفينه من اسمه، قالت إنك ستقابلين روحًا انشطرت بين رجلين يحملان نفس الاسم وستقعين في غرامهما، هما بالحقيقة رجل واحد، وواحد منهم فقط هو الذي ستظلي معه وسيظل معك، والآن داوود قد رحل وأمامي داوود للمرة الثانية -راجح- ولكن هل سينتهي الأمر عند هذا الحد؟ أم ستكتمل النبوءة بحذافيرها؟

- أأحببت من قبل راجح؟

فاجئتِ راجح ونفسك بهذا السؤال حيث داهم تفكيرك الذي كان مسترسلًا في أمر النبوءة، ابتسم راجح ثم أشار لك بإيماءة تعني الإيجاب:

- اممم مَنْ إذن؟

- تلك قصة قديمة؛ ثم تابع:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– إنها «حفا مراد موصيري» ابنة عمي مراد كنت أكبرها بخمسِ سنواتٍ وأعتقد أنها لو كانت هنا اليوم لكانت حبيبتي بلا شكٍّ.

أثارت كلمات راجح غيرتَكِ ولكنك أخفيتِ ذلك بينما لاحظ هوما تحاولين إخفاءه فأشار لك:

– هي يهودية إسرائيلية، كانت تعيش في إسرائيل حيث غادرت وأمها مصر من بعد ما حدث لعمي مراد، لم يكن ثمة سبيل لرؤيتها فقد انقطعت أخبارها تمامًا، إلا من بعض الأخبار القليلة التي كنت أعرفها بالصدفة عند زيارة صديق قديم لأبي يعيش بإسرائيل، وكان يأتي لمصر كل ثلاث سنوات، فيطمئنًا عليها هي وأمها، وآخر خبر عرفته عنها هو خبر موتها وكان ذلك من الجرائد وليس من صديق أبي، فقد لقت حتفها في قطاع غزة بفلسطين المحتلة وكان ذلك عند محاولتها إيقاف جرافة عسكرية تابعة للقوات الإسرائيلية، كانت تقوم بهدم مباني الفلسطنيين المدنية في مدينة رفح، وذلك أثناء الانتفاضة الثانية حيث حاولت حفا إيقاف سائق الجرافة قبل أن يقوم بهدم منزل لمدنيين، فتعمد سائق الجرافة دهس حفا، ولم يكتف بذلك بل مرَّ بالجرافة فوق جسدها مرتين.

أطرقت حزنًا من تأثير حكاية حفا ابنة عم راجح ثم ما لبثت أن ابتسمت ابتسامة متألمة ساخرة فنظر إليك راجح متعجبًا ثم سألك عن معنى ابتسامتك فقلتِ كلمتين:

– إسرائيل... فلسطين المحتلة.

مشيرةٍ إلى تردده بين الاسمين.

– حقًا لا أدري ماذا يمكن أن أقول لتعرفي إنني بالفعل غير معترف بكل ما يقوم على الدم وعليه فأنا غير معترف بدولة إسرائيل ذلك لا يمنع أن الإسرائيليين لهم كل الحق في البحث عن وطن ولكن لا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يعطيهم هذا الحق أبدًا الحرية في نهب أوطان غيرهم أو إقامة دولة على أشلاء أهلها.

قاطعته:

- إذن هي فلسطين.

ابتسم راجح ابتسامة مشدوهة تبين استنكاره لحِدة ملامحك وحدة صوتك على السواء ثم استكمل مشيرًا:

- لقد دفعت حفا حياتها -عن طيب خاطر- ثمنًا غاليًا لمبادئها ولانحيازها للمقاومة الفلسطينية، فقد كانت علاقة حفا جيدة بالفلسطينيين على غير رضا من أمها، وعملها كصحفية أتاح لها أن ترى الأحداث من وجهة نظر الطرف الآخر، مما جعلها تنتقد سياسات الصهاينة وتساند الفلسطينيين وقد قضت قرابة العامين بالسجون الإسرائيلية لارتباطها بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويقال إن الصهاينة اغتالوها عن عمد لهذا السبب، وهكذا انقطعت أخبارها تمامًا وإلى الأبد.

- يالها من مفارقة، يُقتل عمك على يد العرب وتُقتل ابنته على يد الصهاينة، ثم ابتسمت ابتسامة مريرة وأردفتِ:

- يبدو أنك ما زلت تجتر حزنك لهذا الأمر.

وأشار لك راجح:

- بالطبع إنها ابنة عمي.

-آسفة.

- لا عليكِ.

- امم، لكن يبدو أن حزنك ليس لأنها ابنة عمك فقط!

- بالطبع، هذا فضلًا عن إنها كانت جميلة.

- نعم!

- ماذا؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– ماذا أنت؟

ترك الإشارة وبدأ يكتب:

– يبدو أنك متوترة، من أي شيء حبيبتي؟ لم هذا التوتر؟

– يبدو أنك تمزح.

– لا، إنك متوترة بالفعل، لِمَ تضعين يديك بين رجليك هكذا وتهزين رجليك في اضطراب؟

– راجح اصمت.

– أصمت؟ هاهاها إنه الفعل الوحيد الذي أداوم عليه منذ ولدت.

– آسفة.

– لا عليكِ؛ أنا أمزح ولكني قلت لك من البداية أنني أحببتها بالفعل في فترة كبيرة من حياتي، ولكن ... لم أكن أدري أن هذا الأمر سيكون مزعجًا بالنسبة لكِ إلى هذا الحد، يبدو أنني مهم لديك.

– أنت لا تدري شيئًا، لا تدري كم أنت مهم؟ وأنا أيضًا لا أدري ما الذي أتى بتلك القلادة إلى عنقي؟ ولا كيف سأرتديها؟ إن آخر ما فكرت في ارتدائه يومًا كان قطًا فرعونيًا، ربما مفتاح الحياة أوهذا الكف ذو الخمسة أصابع، ومن المحتمل عين زرقاء لتمنع عني الحسد، إنما نجمة داوود! هذا ما لم أكن أتوقعه ولا أدري عنه شيئًا أنا الأخرى، أشار لك راجح مقتربًا منك مداعبًا:

– تعال لأخبرك كيف أتت القلادة إلى عنقك.

– لا.

أبعدتِه عنكِ مبتسمة في خجل.

– لماذا؟ أوما أردتِ أن تعرفي؟

– لا، ما أردت أن أعرف، إن ما يشغلني حقًا، هل ستهديني القلادة فعلًا؟ أشك في ذلك.

تعجب راجح من كلماتك وأشار يسألك:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- لِمَ تقولين ذلك؟

- أعذرني راجح فعلى حد معلوماتي أن اليهود يحبون المال وليس من السهل أن يفرط يهودي في شيء يملكه بسهولة ثم تبعت الكلمات بضحكة ماكرة.

انفعل راجح وكتب جملة واحدة:

- هذا في أفلامكم القديمة فقط، ثم انطلق يضحك بسخرية مشيرًا إليكِ:

- هاهاها تعالي تعالي أعرفك على ما ترتدين، إن تلك النجمة لو عرفتِ ماهيتها لندمتِ على عدم ارتدائها ما فات من عمرك ثم بدأ يكتب:

- امم بم نبدأ؟ فلنبدأ بدين الديانات، لقد كانت النجمة السداسية رمزًا هيروغليفيًا لأرض «روح الأرواح» أي الإله «حورس» الذي كان أول إنسان تحول إلى إله ولو كتبت اسم حورس بالهيروغليفية ستجدين جد التشابه بينه وبين النجمة.

- «حورس»!

قلت متعجبة ثم أردفتِ:

- إن ما تشرحه يتقاطع في ذاكرتي مع تلك النبوءة أيضًا، فثمة تشابه بين نبوءة قديمة قالتها لي جدتي وبين قصة إيزيس لا أدري ولكن ربما تكون روحها قد حلت بي أو ستحل بي هذا ما قالته جدتي وعن طفل سأنجبه تحدثت أيضًا وما أعرفه أن حورس ابن إيزيس، إن ما تقوله قد يعني شيئًا ما يتعلق بقدرنا معًا لكني لا أستطيع أن أستشفه واضحًا الآن، ما زلت لا أدركه بوضوح.

- دعي الأقدار تتعامل ولا تشغلي بالك، فلها طريقتها ولن يثني عزمها إدراكك لما تفعله من عدمه.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ٧ -

نجمة داوود

تبتسمين ثم تشيرين لراجح أن يكمل شرح معاني النجمة السداسية فيبدأ في الكتابة مرة أخرى:

- في الممارسة القديمة التي تعتبر أصل علم الكيمياء الحديثة كانت النجمة السداسية رمزًا لتجانس متضادين وبالتحديد «نار النار» و«ماء الماء» أعتقد أنك تمثلين نار النار وأمثل أنا ماء الماء، وكذلك في الهندوسية تستعمل كرمز لاتحاد قوى متضادة كالذكر والأنثى وتمثل أيضًا التجانس الكوني وترمز أيضًا إلى حالة التوازن بين الإنسان وخالقه تلك التي يمكن الوصول إليها عن طريق «الموشكا» وهي حالة التيقظ التي تخمد معها نيران العوامل التي تسبب الآلام مثل الشهوة والحقد والجهل، أظن كل هذه الأشياء تعد أسبابًا كافية لأن ترتدي القلادة بغض النظر عن أي ارتباط سياسي بينها وبين ما تشجبين من ممارسات سياسية تمثلها.

ابتسمتِ ولم تجيبي بالنفي أو الإثبات، ولكن فقط أشرتِ له أن يكمل فاسترسل يكتب:

- في العلوم الخفية «الميتافيزيقيا» أو ما وراء الطبيعة تم استعمال النجمة رمزًا لاستحضار أنواع من الجن.

- إنه لسبب كاف لألا أرتديها أبدًا.

قلت ذلك مداعبة راجح بنبرة يملؤها التعالي، فضحك هو ثم استرسل يكتب:

- في الوثنية القديمة هي رمز للخصوبة والاتحاد الجنسي.

ثم ابتسم ابتسامة ذات مغزى ورددت أنتِ بابتسامة ماكرة ثم قلت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أكمل يا راجح، فاسترسل:
- المثلث المتجه لأسفل يمثل الأنثى أما الآخر فيمثل الذكر.
- هذا سبب آخر يجعلني لا أرتديها.
قلتِ ذلك، فابتسم راجح وأشار لك مداعبًا إياك بغمزة:
- اعتقدت العكس.
ابتسمتِ وأطرقتِ تنظرين للأرض خجلى وقلت له:
- بالخفة ظلك المتناهية.
وسكتَّ قليلًا ثم تابعتِ كلامك بابتسامة حييَّة:
- سأقول لك سرًّا، هل تعرف أن اسمي «عاليا» هو أقرب الأسماء العربية لاسم إلهة الخصوبة باليونان «تاليا» ابنة زيوس لقد سماني أبي بهذا الاسم لأنه كان شغوفًا، مغرمًا بقصص الآلهة القدماء وكان يعتقد بشدة في أن تسميته لي باسم ما سيجعل جزءًا من روح صاحبة الاسم تستقر بجسدي ويقال أيضًا إن تاليا اليونانية تعادل إيزيس المصرية ثم تبعتِ كلامك بضحكة تدارين بها خجلٍ وأردفتِ:
- أكمل، أكمل.
ابتسم هو الآخر ابتسامة صافية وأخذ يفكر قليلًا كأنه يتذكر ما كان سيقوله ثم شرع يكتب:
-نعم؛ إن النجمة أيضًا تعد رمزًا مهمًّا في علم الفلك والتنجيم.
- ليس لي في الشعوذة.
- أعرف أعرف، بأمارة تلك النبوءة التي كنت تتحدثين عنها منذ قليل، لكن الفلك حبيبتي علم معترف به، ليس كنبوءات الجدات .. سأجلب لك كتبًا عنه حتى تدركي أنه علم وليس خرافات ولا شعوذة.
- أرى أن السبب المنطقي الأكبر الذي ربما يجعلني أرتدي تلك القلادة هي حروف اسمك راجح، أقصد داوود، فهي تحمل الحرف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

الأول والحرف الأخير من اسمك وهذا هو السبب المقنع لدي.

ضمَّك راجح بعينيه، ثم استرسل يكتب:

- أعلم بالضبط كيف يكون شعورك الآن عاليا، وأقدره كامل التقدير، أعرف أنك كنقطة الماء التي غادرت لتوها النهر فخرجت من منطقة الدفء والأمان، تلك التي كانت تتمتع بها حين ركودها مستقرة بين ملايين النقط شبيهاتها، أعرف أن التحرك العشوائي بين ملايين الأمكنة والاتجاهات ليس بالأمر اليسير، أعرف أيضًا أن شرودك خارج السرب وعزفك المنفرد خارج الصندوق قد يكون معناه التيه الأبدي بلا رجعة، لكن الأمر يستحق؛ هذا ما أستطيع الجزم به، إننا لا نملك سوى حياة واحدة وهي أقصر من أن نضيعها مكبلين في قوالب جامدة صنعها غيرنا، وأصروا على أن نواصل ما بدأوه، قد تكون فكرة أن تطأ قدمك أماكن جديدة ومساحات لم يقربها غيرك مخاطرة لكني فقط سأكرر لك، إن الأمر يستحق.

- أشعر كأني كفيف ارتطم بضوء شديد جعله يبصر ولكن كانت لحظته الأولى مبصرًا ربما لا تختلف كثيرًا عن لحظات العمى الطويلة، ذلك أنه لم يستطع في البداية أن يدرك أنه صار مبصرًا من شدة الضوء وطول اعتياده للعتمة.

سكتَّ قليلًا ثم تابعتِ كلامك:

- ولكن إلى الآن لا أجد ثمة علاقة بين النجمة واليهود.

سأحكي لك عن تطور علاقة النجمة باليهود، فلم تكن النجمة رمزًا يهوديًا، بل كانت مجرد شكل من الأشكال الهندسية فقط، ثم بدأت في الظهور على بعض المباني اليهودية بغرض الزخرفة ولم يكن لها أي مدلولٍ رمزيٍّ، ولم تصبح النجمة رمزًا دنيويًا رسميًا لليهود إلا في القرن الرابع عشر حيث سمح «تشارلز الرابع» «براغ» بأن يكون لها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

علمها الخاص، فصورت عليه النجمة وكانت في ذلك الوقت مجرد علامة، لا رمزًا دينيًّا، انتشرت في إيطاليا و«هولندا» ثم «ڤيينا» وبعدها «مورافيا» وأخيرًا «أمستردام»، أما شرقي أوروبا فلم تنتقل إليها إلا مع بدايات القرن الثامن عشر وتحولت وقتها إلى شارة لليهود.

تركتِ الكتابة، وأسندتِ رأسك إلى حائط أحد الجدران في برج الحمام، تنفستِ الصعداء، ابتسمتِ من فرط الارتياح فلكم أحببتِ راجح هذا، أغلقت الـ «لاب توب» واندمجتِ تلاعبين الحمام الذي كان يحيط بكِ.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تفيقين على بكاء طفل يبدو أنه يجلس بالخلف فالصوت يأتيك من آخر مقاعد الطائرة لابد وأنه ذلك الطفل الذي ظل يلعب بالمطار بقطع الشوكولاتة التي كان يصنع بها طريقًا على أرضية المطار ويسير بجواره ويصرخ في نهاية طريق الشوكولاتة الذي صنعه:

- الشوكولاتة تزحم الطريق وتجعلني أسير على الرصيف إنها متكدسه أكثر من السيارات.

ثم يعاود جمعها ليعاود رصَّها مرة أخرى ويصرخ بجملته هذه مع كل مرة فقد كان هذا الطفل هو من خفف عنكِ وطأة الانتظار بتأملك له وللعبته تلك فأكثر ما تكرهين في الحياة أوقات الانتظار طالت أم قصرت حيث لا تعرفين ماذا تفعلين؟ ولا فيم تفكرين؟ هذا بالإضافة إلى الارتباك الذي ينتابك بفعل رصد عيون الآخرين لتحركاتك، فهاهو الرجل ذو العيون الخضراء ينظر إليك في تفحص شديد وأنت تفتحين حقيبتك وتعبثين بمحتوياتها ثم تغلقينها دون إحضار أي شيء فنظرته الواثقة إليك قد أربكتكِ وجعلتك تنسين ما قد هممتِ بإخراجه منها، أما تلك السيدة فنظرتها تتناوب بينك وبين زوجها، تنظر مرة لزوجها ثم تنظر إليك في محاولة لإثبات شيء ما لنفسها ونظرتها على عكس نظرة الرجل السابق فليست تلك النظرة الواثقة الثابتة بل نظرة متخفية متلصصة، إنها نظرة الغيرة الكامنة في قلبها على رجلها من امرأة أوقعتها الصدفة في طريق عينيه إنها غيرة النساء تشمينها من على بعد بضع خطوات أوبضعة أمتار.

- يالنا من جنس مسكين ويالَشقاءنا.

هكذا همستِ لنفسك في أسى، بينما أخذت تهربين من النظرات المحاصرة لكِ بأن حاصرتِ أنتِ هذا الطفل الصغير بنظراتك تتابعينه وتتابعين لعبته حتى اقترب منك، فأخذت تلاعبينه بحركة يديكِ وكأنها طائرة محلِّقة قائلة بنبرة تميل إلى تجسيد الموقف:

- إن الطائرات ستهبط إلى الأرض وتتكدس وسط الشوكولاتة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

والسيارات المتراصفة ولن يسمح الزحام لك أن تتنفس.

ينظر إليكِ الطفل والذي عرفت بعد ذلك أنه يدعى «ألف» متعجبًا صامتًا، ثم يقترب منكِ أكثر وكأنه يقول لكِ أكملي الحكاية لقد أعجبتني وبالفعل تسردين له ما يُكمل الفقرة التي بدأتِها مستعينة بخيالك الخصب جدًّا فيما يخص حكايات الأطفال وهو يستمع لكِ بتركيز شديد وإنصات تام تمامًا كما كان ينصت إليك راجح.

مرة أخرى تفيقين على هزة خفيفة بالكتف:

– سيدتي تفضلي العصير.

قالتها المضيفة مصطنعة ابتسامة.

أومأتِ برأسك تشكرينها وأخذتِ ترتشفين العصير متلفتة حولك تتفحصين وجوه الركاب فتلك السيدة التي تجلس هناك وتدعى السيدة «صاد»، والتي تتخفى في ثيابها الكثيرة كانت تبكي بكاء طفلة صغيرة، وتتمتم بآيات وتعاويذ خوفًا من الطائرة، حتى إن المضيفات أخذن يحايلنها مدة من الوقت حتى تقتنع أن تمدَّ إحدى رجليها نحو الطائرة، وأخذت هي تسألهم بصوت مختلط بنشيج بكائها هل المحركات سليمة؟ ألا يوجد بها أية أعطال؟ هلا تأكدتم من ذلك؟ ثم تبكي، وتسأل عن تواجد مهندسي الصيانة على متن الطائرة وتطلب أن تراهم بنفسها، وحين تسألها المضيفة الشقراء عن سبب ارتعابها هذا كله فتجيبها:

–أخاف تصادمات الهواء، أوحدوث أعطال ونحن في الجو.

فتطمئنها المضيفة الشقراء وتهدِّئ من حالة الفزع لديها، ثم تضطر آسفة أن تعطيها بعض الحبوب المهدئة كي تقلع الطائرة التي حتمًا كانت قد تأخرت عن موعدها، ثم تصطحبها إلى كرسيها لتُجلِسها وهاهي تأتي كل بضعة دقائق لتطمئن على حالتها وتطمئنها، ولكنك لم تفيقي مرة إلا ووجدتِها متيقظة، وتقريبًا لا تكف عن طلب الماء مع ترديد بعض الآيات بصوت مسموع، تبدو هذه السيدة صاحبة خيالات غريبة ومرعبة عن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ركوب الطائرة، ولكن مَنْ منا ليس لديه خيالات غريبة يعبِّر بها عن مدى ارتعابه من الحياة، ومن منا ليس لديه توقعات خبيثة عما ستلحقه به الحياة من أذى، إن تلك الطائرة ما هي إلا نموذجًا متحركًا ذا أجنحة يماثل حياتنا، وخوف تلك السيدة ما هو إلا نموذجًا مجسدًا لخوفنا الغريزي من الحياة.

أخذت تصرخين عاليا صرخاتٍ عديدةٍ مدويةٍ قبل أن تستيقظي على هزةٍ خفيفةٍ بالكتف لتجدي أنَّك بالطائرة وأن المضيفة الشقراء تحاول أن توقظك لتناول وجبة العشاء وأنَّ من يصرخ بالفعل لستِ أنتِ بل تلك السيدة «صاد» التي تعاني من فوبيا ركوب الطائرة.

– سيدتي دجاج أم لحم.

سألتكِ المضيفة الشقراء.

– لماذا تتركونها هكذا؟

– لقد تناولت ما يكفي من جرعة المسكن يجب أن أنتظر على الأقل نصف ساعة حتى أعطيها قرصًا آخر من نفس نوع الدواء، ما باليد حيلة سيدتي.

همست لك المضيفة في تحفظ حتى لا تسمعها تلك السيدة.

أومأتِ أنتِ برأسك أنك تتفهمين، لكنك زممت شفتيكِ في أسى واضح لحال تلك السيدة ثم رددتِ:

– كان الله في عونها.

أعادت المضيفة سؤالك:

– دجاج أم لحم سيدتي؟

أجبتها بنصف ابتسامة:

– لا هذا ولا ذاك، فقط بعض البامية.

– نباتية.

فقد كرهتِ اللحوم منذ رحيل داوود؛ فمع مَنْ ستتناولين شرائح «الكوردون بلو» المتبلة؟ كما أن قلبك أصبح يرى مشهد الذبح قبل كل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجبة تتناولينها فأصبحت تشمين طعم الدم في كل وجبة غذائية تحتوي على اللحم ولذا قررت ألا تسمحي لها بالدخول إلى جوفك بعد ذلك، ولكن هل حقًا رحل داوود؟

تصب لك المضيفة بعضًا من البامية في طبقٍ صغيرٍ وبعضًا من عصير الجوافة:

- تفضلي.

تحييكِ بابتسامة ثم تكرر سؤالها للشخص الجالس بجوارك:

- دجاج أم لحم سيدي؟

- دجاج من فضلك وقليل من القهوة.

يجيبها بنفس العبوس الذي يعلو ملامحه من أول الرحلة ثم يعدل من وضعية نظارته.

كلما نظرت إلى هذا الشخص في المقعد المجاور أيقنت أنَّك ميِّتة، كأنه أحد الأشباح التي ترافقك في رحلة موتك وروحك تلهو الآن في البرزخ، تتنقل بخفة ويسر غير عابئة بالزمان ولا المكان.

لكن عاليا، هل ما زلت حية ؟ هذا السؤال الذي يلح عليك وتريدين له إجابة شافية.

استفقتِ على زمزمةٍ وأنينٍ، فإذا بها تلك السيدة التي تعاني «فوبيا» ركوب الطائرات مرة أخرى، وما عداها يجلس الجميع في هدوء وتسير الأمور طبيعية بالطائرة.

فالشخص الذي يجلس بجوارك خلع نظارته، وترك كتابه ونام لأول مرة منذ إقلاع الطائرة، ربما لو لم ينم هكذا لكنت ظننت أنه مجرد تمثال من العاج، وليس شخصًا حقيقيًا، ساعدك وجود الشخص الجالس بجوارك نائمًا والهدوء على متن الطائرة على الاستسلام لنومٍ عميقٍ مرة أخرى.

الأمر أشبه بنعاس، لا تستسلمي له، لا تجعليه يتمكنَّ منك، إن إدراكك لحقيقتك الداخلية لا يتطلب كل ذلك، لتصمتي قليلًا، فقط اصمتي إلى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأبد وسوف تنكشف الأمور من تلقاء نفسها، لكل منا موسيقاه الخاصة به، وحده، ابحثي عن معزوفتك بداخلك، ما الذي تحتاجينه في الرحلة غير الألم، وقليل من الوقت لتكتبيه - ألمك- حين تكتبين تتضح عظمة ذاتك، تدريجيًا، جسدك يحوي رياحًا وبردًا، ويحوي شمسًا ودفئًا، وأنتِ وحدك من يقرر مصير هذا الجسد، اجعلي شمسه تشرق من الداخل».

الأمر أشبه بنعاس فلا تستسلمي له، نظفي بقايا القسوة في قلبك أولًا بأول، أنتِ تعرفين أن لا موت هناك كل ما في الأمر بعض النعاس الذي تنتقلين خلاله من حياة لأخرى، عليكِ فقط التأكد أن لوح الزجاج الذي يفصل الحياتين ليس مكسورًا.

«أستنشق كل الهواء الموجود بالحجرة، لا أدعه يمر، أكتمه بداخلي.»

- لماذا سمحت له بكل هذا الاقتراب؟

- لا أعرف فلقد فوجئت به يتجول بأوردتي، ويقوم بتفاعلاته كاملةً بداخلي، لا أخفي عليك إنني كنت أستمتع كلما توغل فيَّ، كان لانتشاره في جسدي لذة لا يضاهيها شيء.

تقول جارتها إن شاب الدور الثالث الشديد الوسامة، طالب كلية الطب، الوحيد من بين أبناء الحي يليق زوجًا لها، تنظر لها في استخفاف قائلة: لن أتزوج من حيكم بل من بلدتكم كلها، وتندفع إلى حجرتها لتطمئن أن مدونتها التي كتبت بها أربعة أحرف عن شاب الدور الثالث مرفق بهم قلبًا من القطيفة الحمراء ووردة ذابلة، كما هي بدرج المكتب المغلق لم يفتحها أحد.

- أنتِ التي استسلمت، وقد حذرتك من الاستسلام مرارًا.

- لم أستسلم، أنا أحببت المكوث في هذا الركن المظلم الهادئ من الحياة، أردت للأصوات الكثيرة أن تخفت، وللروائح المتداخلة أن تهدأ.

يقول البطل للبطلة في مشهد من فيلم عربي قديم: أنتِ في قرارة نفسك تؤمنين بالتحرر، بالحب، بالحياة، افعلي ما تؤمنين به قبل فوات الأوان.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

– أية سعادة باكية تلك التي تصفينها؟

– إن للبكاء نشوة لا يعرفها إلا من يبكي حتى الطفو، ذلك الإحساس بالحزن حد ترك كل شيء ينفلت من بين يديك فتصبح خفيفًا، فتطفو، أو بالسعادة حد التحليق متخففًا من كل ما يثقلك، فتطفو أيضًا.

لم يقل شيئًا ذا بال؛ أخوها، بل وخزها بشدة لأن القميص الذي كانت ترتديه انفك أحد أزراره العلوية وقبل أن تنتبه فتغلقه كان قد استرق النظر أحدهم، كانت الوخزة مؤلمة ونظرة أخيها أيضًا.

– الحب قطعة من الثلج تذوب في كأس الزمن.

– ماذا لو أن الزمن أصبح يمتلك لسانًا؟ ماذا لو صار للزمن عينان؟

– لسان أم صوت؟ عينان أم بصر؟

– ماذا لو أن الزمن امتلك يدي فنان فأعاد رسم اللوحة بما يليق بطيبتنا وخذلاننا؟

– الأجدر أن تكون هاتان اليدان للطبيعة كي تمتد لتحتضننا حضنًا شاسعًا لا ينتهي حين تفوح من أرواحنا رائحة الألم.

يقول مدرس الرياضيات إن ذكاءها من نوع نادر لم يصادفه قط وأن طريقتها في حل التمارين الهندسية تعصف بنظريات فيثاغورث وإقليدس فهي تبتكر طرقها الخاصة جدًا والتي لا تماثلها نظريات ولا نتائج ولا حتى تمارين مشهورة؛ لم تنس التعبير الذي كان على وجهه يومها.

– هل ترين قطع البازل المتناثرة في الهواء هذي؟ إنه جسدك يتطاير في كل ناحية.

– دعني ألملمني وأرسم دائرة كبيرة وأعيد ترتيبي، هنا صوتي وعينايَ وهنا ضميري وأنفي وهنا أذنايَ، هنا عنقي قريبًا من شفتي وأما قلبي فهنا عند مركز الدائرة.

يقول أبي إن جمالك هنا ويشير إلى قلبي، وتقول أمي حسبنا الله؛ لا يجتمع حظ مع جمال وأنت جميلة وتبكي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- يبدو أن تأثير هذا الدواء قد بدأ بالسريان بجسدك.
- إنني أطارد قطة صغيرة في الشوارع الخلفية لمنزلنا، لم أستطع اللحاق بها.
- ما كل هذا البوم المنتشر في حجرتك؟
- أجد صعوبة في مسامحتهم.
- أتثأر الملائكة؟ هذا الكائن النوراني! أحقًا يفعل؟

أقول لنفسي: كمقص يعيد ترتيب قطع زهرة ذابلة غير عابئ برقتها ولا متعاطف مع موتها ؛ كوني حادة.

الأمر أشبه بنعاس، لا تستسلمي له، لتصمتي قليلًا، فقط اصمتي إلى الأبد وسوف تنكشف الأمور من تلقاء نفسها.

«أخرج زفيرًا لنفسٍ كنت قد كتمته داخل صدري».

تستيقظين على هزة شديدة تحرك جسدك كله لولا حزام الأمان لكنتِ سقطتِ أرضًا، يعتذر الطيار مبررًا ما حدث بأنه مطبٌّ جويٌّ مما جعل الطفل الصغير الجالس بآخر مقاعد الطائرة يبكي لكن بكاءه تلك المرة كان أقوى من كل المرات الفائتة، أما تلك السيدة التي تعاني من «فوبيا» ركوب الطائرة كان حالها أصعب بكثير من أي وصف فقد أخذت تصرخ وتهذي بكلام غريب في جمل قصيرة متقطعة واستنفدت المضيفة الشقراء كل محاولات تهدئتها دون جدوى إلى أن أعطتها حبة مهدئة أخرى غير تلك الحبات التي أعطتها لها في بداية الرحلة وظلت معها حتى تحول صراخها تدريجيًا إلى هسيس مهموس بنفس الكلمات غير المفهومة، ثم نامت وبعد أن نامت عاد الهدوء للطائرة نوعًا ما بعدما أيقظت تلك الهزة كل من فيها وساهم الصراخ في جعل الكل متيقظًا لبعض الوقت، استلقيتِ على الكرسي محاولة استعادة هدوئك ثم رحت تتبعين خيط الأفكار الذي انفلت منكِ، ها قد أمسكتِ به، نعم إنه ذلك الطفل الذي كان يبكي منذ قليل والذي كان يلعب بالمطار وجلس يسمع حكاياتك حتى موعد إقلاع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

الطائرة لقد سألتِه عن اسمه:

- أولًا يجب أن أتعرف إليك، اسمي «عين»، وأنت؟

وقبل أن يجيبك قاطعتِه قائلة:

- انتظر لا تُجِب بل دعني أخمن فأنا بارعة في ذلك.

وأشار لك بحركة من رأسه تعني قبول الاتفاق وأردفتِ مفكرة ثم قلتِ:

- إمممم.. «ألف».. اسمك «ألف».

اتسعت ابتسامة الطفل من خده الأيمن حتى الأيسر مشدوهًا ومبتهجًا وسألك بدلال وبراءة:

- كيف عرفتِ؟ أقالت لكِ «ماما»؟

تبتسمين ابتسامة أكبر من ابتسامته، وقلبك يبتهج من براءته ثم تجيبينه بلهجة أشبه بلهجة الأطفال وكأنكِ تقلدينه:

- لا.. لم تخبرني الـ «ماما» ولكني قلت لك من قبل أنا بارعة في أمور الحدس والتخمين، تتحدثين بثقةٍ تجعله يسألك:

- إذن قولي لي متى ستأتي الطائرة المتأخرة هذه التي ننتظرها؟

ويضعك سؤاله في حيرة للحظات وكأنه مأزق لا تستطيعين الخروج منه، ولكنك تداركتِ الأمر وأجبته بوضوح وصرامه:

- بعد قليل.. نعم.. الطائرة الشريرة المتأخرة ستأتي بعد قليل.

استرق صوت المضيفة سمعكِ وأعادكِ مرة أخرى إلى تلك الرحلة الجوية فقد كانت تسألكِ:

- قهوة أم شاي؟

فأجبتِها:

- عصير جوافة من فضلك.

وتوجهتُ أنا بنظري إليك عاليا لأسألكِ:

- لماذا تتبعينني؟ لقد ظننت أنك لم تطلبي السفر أبدًا ولم يكن لكِ فيه رغبة يومًا ما، ولكنك الآن تسافرين معي على نفس الطائرة وإلى نفس

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المكان، لم أرحل عنكِ كما أردتِ دومًا ولم ترحلي عني يومًا، لكن هل تعلمين؟ إن نفسي لا تقاوم الضحك مما يحدث، فقد ظننت لبضعة لحظات أني تركتكِ هناك وأني لن أراكِ مجددًا، ولكن ها أنتِ هنا بجواري ولعل وجودك ما كسر حاجز صمتي ودفعني للحكي بهذا الشكل، ولو لم تكوني هنا ربما أمضيت الوقت صامتة عن كل شيء ولما تكلمت أبدًا، لكنك هنا الآن وأنا أتحدث إليكِ.

كان الوقت يمر بطيئًا في تلك الرحلة وَلِمَ لا يمر بطيئًا؟ فما يعجل من إدراكنا للوقت هو كم الأحداث المتلاحقة والإنجازات التي ننجزها في مروره، وفي الحقيقة إن أعظم إنجازاتي في تلك الرحلة المدهشة كان التحديق في وجوه من حولي أو في سماء أتتني عبر زجاج سميك لم أستطع حتى أن أفرد جناحاتي وأطير بها.

ومما لاشك فيه أن وجود الطفل «ألف» ساعدني كثيرًا على تحمل إنجازاتي العميقة، لقد أخبرني ذلك الطفل بالكلام الذي لم يقله عن تبعات الحيرة التي أعاني منها وأشار لي بصمته على بواطن الألم الكامنة فيَّ لن أستطيع أن أشرح ما فعله بي ذلك الطفل وما فعلته بي تلك اللحظات التي قضيتها معه لأنها أعمق من أي توصيف، فقد أخذتِ أحكي له حكاية وهمية وأنظر في عينيه اللتين كانتا صافيتين بدرجة مرعبة مما جعل قلبي يخفق بشدة ومما جعلني أتأنى في كل حرف أرويه بالرغم من أنها حكاية متخيَّلة، وللحظات كنت أمَسُّ بيدي على شعره لأتأكد من وجوده، وأستدل من وجوده على وجود كل من حولي، وبالتالي أتأكد من حقيقة ما يحدث لي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-١-

يوليو ٢٠١٢

حين استيقظ الشخص النائم والذي ناديتِه «چاكوب» لم يكن وجودك في منزله وبجانب سريره غريبًا بالنسبة له بل إنه تمطع بكل أريحية، وقال لك وهو يتثاءب:

– عاليا، عزيزتي، كم مر من الوقت وأنا نائم؟ يبدو أنني قد نمت وقتًا طويلًا، كم الساعة الآن؟

الغريب في الأمر أنك رددت عليه وكأنك أيضًا لم تتعجبي لوجوده:

– لا لم تنم كثيرًا، ولكن هذا الدواء المنوم الذي أخذته هو ما جعلك تعتقد ذلك، فهذا ما قاله الطبيب عن الأعراض الجانبية للدواء، أنسيت أنني كنت أتناوله قبلك؟

ردَّ يعقوب:

– لم أنسَ بالطبع عزيزتي، ولكنك شُفيتِ تمامًا وأنتِ الآن التي تعالجينني تحت إشراف نفس الطبيب «بارت».

رددت عليه بحزم:

– نعم لكن رحلة العلاج كانت قاسية «چاكوب» ويلزمها الكثير من الصبر، أعرف أن لديك من القوة ما يكفي لتخطي هذا.

واستطرد يعقوب معقبًا على ردك:

–ولكن الألم كان قويًا، كان فوق الاحتمال، ولذلك فالوقت اللازم للشفاء لابد وأن يتساوى مع مقدار الألم، أتتذكرين أول جلسة تعرفت فيها إليكِ؟ جلسة العلاج الجماعي تلك التي أصر الطبيب أن أجلس معكم فيها بالرغم أنني أخبرته أن ما جاء بي إليه هو مجرد الاستشارة الطبية فقط حيث أرسلتني صوفيا إليه بناء على المعلومات التي ذكرتِها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لها عنه، ولكنه صمم على تواجدي، حيث كنتِ أنتِ، كان وجودك، كانتا تلك العينين اللتين شجعانني على الاستمرار في جلسات العلاج، العينان اللتان مهما كان وصف صوفيا لهما من قبل فلم يكن بأي حال كما رأيتهما، فبرغم يأسي الشديد في أول الأمر شجعني جدًا تواجدي معك في مكان واحد، ولا تتصورين مدي فرحتي باختيار الطبيب «بارت» لك تحديدًا لتتابعي علاجي بعد أن أتممت شفاءَكِ.

تبتسمين ابتسامة ودودة وتناولين يعقوب نوعًا آخر من الدواء مع كوب من الماء هامسة:

– تفضل.

يأخذ منك يعقوب حبة الدواء ويشرب الماء ثم يستطرد:

– لم أتوقع أبدًا خيانتها.

تنظرين له نظرة ذات معنى، ويستطرد هو:

– لم يلتئم بعد، أعتقد أنه لن يلتئم، ذلك الجرح الذي تركَته لي چوليا، لقد كنت أثق بها ثقة لا حدود لها، فمنذ عدنا من إسبانيا إلى أمريكا بعد أن انتهت مدة تلك البعثة التي تعرفت إليها وتزوجتها خلالها وأنا لها الزوج والوطن، هل تصدقين أن تأتي معي إلى أمريكا لمجرد الهروب من موطن فقير كإسبانيا لتبحث عن أحلامها في وطن يستطيع تحقيق تلك الأحلام كأمريكا، متسلقة فوق قلبي بل فوقٍ روحي، غير عابئة بمدى فجيعة أثر خيانتها، چوليا ليست إنسانة ، إنَّ من يخطط بهذه الخسة، ويفعل ما يريد حتى ولو فوق أرواح من أحبُّوه ليس إنسانًا أبدًا، لو كان هناك ثمة شيطان فلابد أنه چوليا .

أنهى يعقوب كلماته وانخرط في شبه نحيب، بينما عانقتِه أنتِ وربتِّ على كتفيه.

كانت الستائر الداكنة تملأ المكان، فبحسب أوامر الطبيب لن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يتعرض يعقوب لمدة طويلة إلى الضوء الطبيعي ذلك لما سببه له ضوء الشمس من انهيارٍ شديدٍ، في آخر مرة ذهب فيها لجلسة العلاج، ومنذ هذا الوقت الذي كان في أواخر الشهر قبل الماضي وهو يتلقى العلاج في منزله وأنت تتابعين علاجه وترددين على منزله لأداء تلك المهمة.

يعقوب؛ ذلك الشاب الأمريكي الممتلئ عن آخره بالحياة، الموسيقي الشهير، صاحب البشرة البيضاء، والشعر البني القصير، مما يزيد من تركيز من ينظر له على وجهه الوضَّاء لتزداد جاذبيته ووسامته، ذلك الشاب ذو الخمسة وثلاثين عامًا الذي قضى عمره بعد انفصال والديه بين عائلة أبيه الأمريكية الشديدة الثراء وعائلة أمه الإسبانية الفقيرة، تعرَّف إلى صفية أو صوفيا كما كان يناديها ولا أدري ما الذي غيَّر الظروف فبدلًا من أن يتزوج من صوفيا كما توقع جميع من يعرفهم عاد من إسبانيا في إحدى المرات إلى موطنه الأصلي أمريكا وفي يده چوليا؛ زوجة شابة في أواخر العشرينيات، إسبانية، أحبَّها حبًّا حقيقيًّا، في حين استغلت هي شهرته ونفوذه لتصل إلى أحلامها فوق أكتافه ثم تهجره لتتزوج من صديقه، ليترك هو كل شيء في موطنه خلف صدمته فيها، ويعود إلى شوارع إسبانيا ليكوِّن فرقة موسيقية فقيرة تجوب الشوارع للعزف، يعمل بها ڤوكاليست، يترك شهرته وماله وموطنه من أجلها إلى أن يفقد اتزانه المعهود ويعترف أنه يحتاج بالفعل للعلاج فيبدأ رحلته من حيث انتهيتِ أنتِ، كل هذا من أجل امرأة خائنة كسرت كل ما تبقى في روح رجلٍ أحبها كسرًا مباغتًا، لتتسلق إلى حياتها وطموحها الأناني، وترحل؛ تاركة فوضى في إيقاع الرجل، وخيبة لا تُدَاوى، وبقايا صدأ، ولحنًا مكسورًا في صدره، وذريعة تكفي لإيلامه ما تبقى من العمر، وخوفًا مرعبًا من كل النهارات.

- أيضًا خانك داوود عاليا، لكني أتعجب كيف كنت تقولين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

وتكررين أنك سامحتِه؟

باغتك يعقوب بجملته الموجهة إليكِ.

– داوود محض حلم، وأنا الآن متيقظة.

أجبت بحياد مراوغ.

ولكن يعقوب كان مُصرًّا على جذب تلك المنطقة من الحوار فأردف:

– احكِ لي عن داوود.

ابتسمتِ ثم قلتِ:

– أيُّ داوود فيهم؟

وأردفتِ:

– حين عرفت داوود كنت ألتمس فيه صديقًا، وونسًا، لكنه باغتني برغبته فيَّ، ولما أحببته، نصحني بضرورة ألَّا أنغمس في حبه، وأنه لشيء معقد لا يستطيع احتماله أن أعشقه، لكنه وعدني باكتشاف مناطق لن تخطر لي على بال، إذا دلفت معه لفانتازيا الرغبة، والجنس، وحين اعترف أخيرًا بحبه لي بل عشقه كانت قد حانت النهاية ووجدت أنني مضطرة لأن أواجه بعض الصور «الإيروتيكية» التي تجمع «بطوط وزيزي» وتلك الأخرى لـ «ميكي ومیني»، مع احتباسٍ شديدٍ في البول، .. والمشاعر أيضًا.

أنهيت كلامك بضحكة غريبة ودموع تملأ عينيكِ، أما يعقوب فأحنى رأسه دون أن ينبس ببنت شفة.

ولكنك قطعت الصمت الذي دام للحظات:

– مالي أبتسم هكذا كالبلهاء؟ مالي أضع ابتسامتي كلمسة شخصية خلف وأمام كل كلمة أنطق بها؟ ما المبهج في الأمر لأمطَّ شفتي بزاوية مائة وثمانين درجة عند كل حديث حتى ولو كان مؤلمًا؟ حتى ولو كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

حديثًا سياسيًّا لزجًا؟

- يبدو أنه سينتهي بي الأمر كعجوز متعبة، أدركتْ أن كل ما كان، لم يكن سببًا مقنعًا كي يُفضي لما سيكون، كما أدركت أن كل الكلمات التي تعلمتها، كانت قاصرة أما لحظة الانسجام الوحيدة، التي أرادت وصفها، فامتصت عشمها، وابتلعت دهشتها، ودغدغت خيبتها على مهلٍ، وبصقت حنينها بعنفٍ، وإلى الأبد، ثمَّ نامت داخل الحافلة، -تلك التي ستظل تسير بها بعد أن تتخطى محطتها-، ولأنها عجوز، ولأنها نائمة، ستغفل الأمر، وستبقى منسية في الحافلة السائرة، حتى إنها لن تدرك إلَّا في نهاية المطاف؛ أنها ذهبت لأبعد بكثير مما كانت تريد.

أطرقت مفكرة للحظة، ثم استطردت:

- أعرف أن النحافة ستعتريني حتى تجعل كل تقاسيم جسدي تختفي، وربما أكون قد تبرعت بنهديَّ كعضوين حيويين مهمين لإمرأة مقبلة على الزواج لديها نهدان صغيران، ذلك أنني قررت التخلص من نهديَّ خشية الإصابة بذلك المرض المميت ولكن هل النهود من الأعضاء التي نستطيع التبرع بها، بعد فعلتي هذه إن صحَّت سأقف صامدة لمواجهة أي شيء ذلك لأنني قد قررت أنه حين يزورني الموت يجدني معافاة أنتظره بلا مرض، سأنتظر نهايتي في وضح النهار، لن أختفي أو أختبئ منها، أعرف أني محض جزئ في كيمياء الكون ستنتهي دوراته التفاعلية في أي وقت وينهار متفتتًا إلى ملايين الذرات التي ستتفرق أشلاء لا تُرى بالعين المجردة لتخلق مليون عاليا جديدة تأخذ كل منهم قطعة صغيرة من تلك التي عشتها وكنتها، فأنتهي بالاستمرار وأستمر بالانتهاء.

- تنتهين.

- أنتهي كتكرارٍ إنسانيٍّ، مملٍّ، أليم.

- تنتهين مختصرة كل حياتك الطَّويلة في كفنٍ أبيضٍ، وصندوقٍ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خشبيٌّ، وصمتٍ يعادل كل ما قلتِه يومًا.

– يفعلون كل الأشياء التي تؤلمني، وحين أحاول إيلامهم، فقط أموت، لأتركهم يألمون لفراقي.

– عوضًا عن كل ما حدث لك وآلمك، يأتي موتك فيحدث لك ويؤلمهم هم، ياله من انتقام.

– وبعد محاولات عديدة –فاشلة– للحياة، تكون تلك المحاولة الوحيدة الجيدة بينهم، هي محاولة أخيرة للموت.

– بعد محاولات زائفة للسعادة، تكون تلك المحاولة الحقيقية الوحيدة والأخيرة أيضًا للسلام الأبدي، المعنى الحقيقي للسعادة، طلبت منك أن تحدثيني عن داوود، فحدثتِني عن الموت.

– ليس ثمة فارق بينهما.

– داوود، أريد أن أعرف عن داوود أكثر.

– كشريطٍ سينمائيٍّ يمر داخل رأسك، تتتابع المشاهد السريعة لحياتك، ومن بين تلك المشاهد المتلاحقة تبقى لقطة واحدة، تظل تلح على ذاكرتك، وتتكرر كـ«فلاش باك» بين الحين والآخر، ستظل تلك اللقطة، هي الوحيدة من بين كل مشاهد حياتك، القادرة على اختراق ذاكرتك يوم تصاب بـ «ألزهايمر» وستبقى أيضًا هي الوحيدة التي تطل عليك في فراش الموت البارد لتجعل الدفء يسري في بدنك فتبتسم، ثم تغادر في سلام، تلك اللقطة في الشريط السينمائي الخاص بحياتي هي .. داوود.

– كل هذا الحب، وكل هذا الألم، كيف يمتزجان بداخلك عاليا؟

رددتِ على سؤال يعقوب بصمتٍ ثقيلٍ، بيد أنه كان متواطئًا مع فوضى داخلية، تبحث عن ذكريات حية لم يقبرها الزمن وحوارات بعيدة لم تنمحِ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٢-

لوحة المفاتيح

ما حدث مع راجح منعك من أن تسترسلي تلك الليلة في حديثك الداخلي ومنعك من أحلام اليقظة وخيالاتك الغريبة ولكن أثر هذا لم يمتد سوى بضع ليالٍ فقط كنت قد شفيت فيها جزئيًا من داوود وقضيت تلك الليالي تقرأين كتاب طوق الحمامة الذي أعطاه لك راجح في نهاية ليلتكما التي قضيتماها معًا، كنت تمرين على الصفحات التي سبقك راجح بقراءتها مرورًا وجدانيًا مقدسًا فلم تكن أناملك ولا عيناك التي تمر على الورق بل روحك، كنتِ تتلمسين في صفحات الكتاب أنفاس راجح ومشاعره المنسكبة فوق وبين السطور، لكن ذلك لم يدم إلا إلى أن انتهى الكتاب، ثم عدت إلى داوود أوعاد إليك وبمنتهى القوة هذه المرة.

لم يكن داوود أبدًا ذلك الرجل الذي تتوقعين خيانته، فقد كان يحبك حبًا من هذا النوع الذي يكاد لا يتكرر من فرط ندرته لكنه في الفترة الأخيرة تحديدًا كان قد تغير تغييرًا كليًا، لم يكن واضحًا لك أي شيء من تصرفاته فقد صار كالطحلب المتطفل يتغذى على قلقك ويشبعه أنينك، كم تسلل ليلًا لينهب قطعة من مخزون كرامتك ويسرق جزءًا من روحك وأنت نائمة وكم من مرةٍ كان يحلي بفتات الابتسامة التي تركها لك الزمن فوق جبال وجعك ويسير راقصًا فوق جدار روحك الذي خبأتِه من أعين الزمن سنوات طويلة، ذلك الجدار الواقي من تلصص المتطفلين، لم تكوني تعلمين أنه أحدهم لأنك كنت مستسلمة لرغبة عميقة في النوم بعد أن سهرت طويلًا،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

كنت تتوقعين أي شيء وكل شيء إلا ما فعله معك داوود أخيرًا، لكن، ولأن لكل شيء نهاية حتى ولو كانت عكس توقعاتك تمامًا لذا فمن الأفضل للمرء ألا يضع في هذه الحياة أية توقعات، فلو أنك عرفت أن تلك نهاية قصة حبك لكانت أشياء كثيرة قد تغيرت.

- لكن لماذا دائما تحدث الأشياء ثم نتعود وجودها؟ لم لا يحدث العكس؟ أن نتعود وجود الأشياء على مهل ثم تحدث هي بعد ذلك فيحمينا هذا من التخبط بفعل هول الصدمات، إننا لسنا بهذه القوة لنتحمل كل هذا الألم الذي يلم بأجسادنا وبأرواحنا من وطأة التحامل الذي تمارسه الحياة علينا، فمثلًا حين ماتت صديقتي ربما لو جاءني خبر موتها قبل أن تموت لكان ذلك أفضل ربما أعانني هذا على منحها بعض الوقت قبل أن تموت.

هكذا همست لنفسك، ثم استطردتِ:

- يتكرر السيناريو الكوني ولا يتجدد ومع ذلك لا يفنى، والعجيب بالأمر أن وجعك عزيزي الإنسان مستمر لا زوال له، مازلت تتفاجأ وتندهش أولتقل تنصدم، ما وجه المفاجأة فيما يتكرر يوميًّا؟ وما وجه الأمل -الذي تعقبه الصدمة بالضرورة- فيما لا أمل فيه من البداية؟

كان يذكِّرك ماحدث من داوود بشيء بعيد في ذاكرتك حتى أنك لا تستطيعين الجزم بحدوثه لكنه يرقد مثل مئات الذكريات المتراصة في خلايا مخك الزاخرة بتجارب لا تدرين حتى ما الذي أتي بها إلى رأسك وإن كنت قد عشتِها بالفعل أم لا؟

دائمًا ما تشعرين بأنك كنت عالمة أو باحثة أو شيء من هذا القبيل فشكل حجرتك القديمة كلما تبادر إلى ذهنك لم يكن أبدًا ذلك الشكل المعتاد لحجرات النوم بل كان كمختبر كبير تقضين فيه الوقت بين التحاليل والأبحاث وكانت تحوي الحجرة أقفاصًا لحيوانات عديدة،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بيد أن بحثك كان متعلقًا بنفسية الكائنات الحية ومدى تأثرها بالظروف المحيطة وتأثير الانفعالات العاطفية في سلوكها ومقارنة ردود أفعالها بردِّ الفعل الإنساني والاستجابة البشرية لنفس النوع من الظروف والعوامل المؤثرة، أيضًا تتذكرين رحلاتك لتفحص حيوانات البرية ومقارنتها بحيوانات المختبر، تتذكرين تفاصيلَ دقيقة مثل التجربة التي أجريتِها على ذلك القرد الذي انعدمت قدرته على التلذذ بأي شيء بعد خيانة رفيقته فقد هجرته وذهبت لقرد آخر تتذكرين تغير تعابير وجهه وفقدانه الاهتمام بكل الأنشطة التي كانت تعنيه من قبل وأيضًا فقدان الشهية والرغبة الجنسية بالرغم من أنك وضعت معه أنثى أخرى لكنه رفض تمامًا محاولاتها للاقتراب منه، وبدأ يقل تفاعله الاجتماعي مع أقرانه، ثم أخذ يخدش أجزاء معينة من جسده حد النزف مع حدوث تغيرات في نشاطه الصباحي وعادات نومه، ولم يكتف بألا تقترب منه أية أنثى أخرى، لا؛ بل طردهم جميعًا ثم أخيرًا استسلم للموت وحيدًا منزويًا، مازالت تلك الجملة التي كتبتِها كاستنتاج لتجاربك ترن في أذنيك وكانت تقول:

- الچينات في الحيوان لا تختلف كثيرًا عن الإنسان.

فكل كائن حي يحتاج للحب وكل كائن حي كاره للخيانة والخِسة بالفطرة، من ذا الذي يستطيع أن ينفي وجود الروح في كل الكائنات وتأثيرها في سلوكهم؟ من ذا يقدر أن ينفي إحساسهم بالاكتئاب والعجز والفشل وأيضًا الحب والدهشة والإعجاب؟

الروح هي السر، هي التواقة للحياة الوثابة لتفاصيلها الدقيقة، وبدونها يصبح الجسد خاملًا خاويًا كأنه الفراغ.

الفراغ؛ لقد سئمت هذا المعنى، ذلك أنني أشعر به يتجول حولي، يحملق فيَّ، يرتدي زيًا نسائيًا أملكه، يمد لي يديه كأنه يعرفني، لا لا كل ما أحاول توسيمه به ليس صحيحًا، فالفراغ يملؤني، يتجول

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بداخلي، يرتديني أنا، بل يحتفل ويطفئ شمعة كل يوم احتفاءً بتجوله في جوفي بكل تلك الحرية، هذا هو التوسيم الأمثل.

من المتعارف عليه أن العقل هو السبب الأساسي للقلق عند الإنسان وهو السبب الأصلي لاختلاف طريقة شعوره وبالتالي ردَّة فعله تجاه الكائنات والمواقف وأن هذا الأول أي-العقل- غير موجود بالحيوان، فكيف يقلق الحيوان؟ إن الإحساس أيضًا من مسببات القلق ومن أسباب الشعور ولذلك يقلق الحيوان ويكتئب وتسيطر عليه الكثير من المشاعر المشابهة للمشاعر الإنسانية.

تتذكرين وقت كتابتك لهذه الكلمات كأنه الآن، تتذكرين صوت نقر أصابعك المرتجفة على لوحة المفاتيح بجهاز الـ«لاب توب» كأنها خلفية موسيقية تقترن بمشاهد حياتك، وكأنك بالفعل كنت تمرين فوقها لتدوين كل ما حدث أو ما يحدث وربما ما سيحدث أحيانًا لحظة بلحظة، ربما هذه النقرات السريعة المغرقة في الجدية والعملية هي ملاحظاتك واستنتاجاتك التي كنت تدونينها فورالانتهاء من إحدى تجاربك في معملك الخاص، وربما تلك النقرات الهادئة هي رسائلك لداوود تلك التي كنت تقررين البوح فيها بأي شيء وكل شيء مالا يعرفه وما يعرفه ويتجاهله، وربما هي نقرات حزينة تكتب وصية امرأة في الثلاثينيات تشبهك إلى حد بعيد قررت إنهاء حياتها داخل مشرحة تصطف فيها العديد من الجثث، هي جثث لشباب صغير السن تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر وثلاثين عامًا ترقد بين رائحة الدم وأكياس القطن الرديء ولكن فيم يهم؟ إذا كنت قد استيقظت لتجدي نفسك في أحضان حبيبك الذي يشبه أيضًا إلى حد كبير داوود وزجاجات الـ«فودكا» تحيط بكما ولكن هل من المعقول أن تكونا قد تلحفتما بالحب عاريين وسط كل هذه الجثث الملقاة حولكما؟ هل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

تستطيع الحياة أن تنجو بنفسها من بين كل هذا الموت؟

ربما هي نقرات أرجل القط ذي الفراء البيج الذي كان يقفز بمجرد أن تفتحي الـ «لاب توب» وتنوين الكتابة ليسير متبخترًا فوق لوحة المفاتيح بل ربما هو الفأر الذي شاركك زنزانتك وقرض كتبك التي كنت تقرأينها أثناء مدة حبسك، ليس فقط، بل قرض تلك الأوراق التي كنت تروين فيها ما حدث لك داخل السجن هذا الذي زيَّنت له نفسه أنه إن لم يستطع تمزيق حروفك الإلكترونية فعلى الأقل يكون قد قام ببعثرتها، وربما كانت تلك النقرات المسجونة التي كانت تحاول التحرر هي حروفك التي نقشتِها على الجدران كجراثيتي تداعبين به حارس السجن الذي كان يقدم لك الطعام كل يوم ولا يغادرك إلا بعد أن يقصَّ عليك حكاية تنتهي وقت أن تفرغي من طعامك والذي اكتشفت فيما بعد أنه كفيف ولم ير شيئًا من رسائلك له على الجدران، بل ربما كانت نقراتك السطحية التائهة هي محاولات الترجمة لأعمالك الأدبية التي طلبها منك يعقوب أو كما كنت تنادينه «چاكوب» صديقك الأمريكي الذي قابلتِه في جلسات العلاج النفسي الجماعي في إسبانيا لأنه أراد القرب منك وقراءتك من خلال أعمالك وترك لك همَّ ترجمتها.

حادة هي الأمواس تنزلين بها برفق يدك الصغيرة الحانية لتبحثي عن شعرة نابتة فوق خد داوود لإجهاضها، ثم تبحثين عن أماكن النبض فتصافحينها بالعطر، وتثبتينه بالقبلات، ثم تطفئين الأنوار فالصلاة لا تحتاج سوى شمعة واحدة، أنت تحفظين بعضًا من الترانيم والآيات التي ستتلينها في أذنيه، تتوضأين ببعض قطرات الدم، تلك التي سالت من ذقنه على يديك، ويتوضأ هو بلعاب قبلاتك الذي سال فوق أماكن النبض عنده، ثم يخرج من الصلاة بعد أول ركعة، تلفِّين في الحجرة باحثة عن سجادة الصلاة، فلا تجدين غير رماد سجائره تلك التي أطفأها في أرضية قلبك، تخرجين قلبك من بين ضلوعك لتبحثي عن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سجادة صلاتك ولكنه ينبض بالكاد، نبضًا بطيئًا زاحفًا نحو الحياة، ويبدو أن لونه صار رماديًا بلون رماد سجائر داوود، بينما قلبه بداخل صدره هناك أحمر ينبض نبضًا قويًا.

- أنت الآن غاضبة هم يخترقون جدار هدوئك ولا يشبعون أبدًا من نهش لحمك الشهي وابتلاع دمائك دفعة واحدة كآخر رمق في آخر زجاجة نبيذ يتجرعونها ولكن مالي أراك تقاومين الغضب.

كان يخاطبك داوود:

- استسلمي لغضبك عاليا كيف تظنين ببعث يأتي قبل أن يتهاوى جلدك فوق عظامك؟ كيف تظنين بخلود روح لم تمت أولًا؟ لا تتخاذلي كامرأة شهريار في الليلة الألف وتتهاوين جثة هامدة، إنك إيزيس التي قاومت حتى النفس الأخير.

كان يكررّ خطابه لك ممسكًا بجسدك بين يديه يهزه:

- كيف تظنين ببعث يأتي قبل أن يتهاوى جلدك فوق عظامك؟ وكيف تظنين بخلود روح لم تمت أولًا؟

ثم يأخذك برفق بين ذراعيه وتهدأ نبرة صوته:

- أنتِ التي كنت تلمسين شذى روحي في المدى، هيا اقتربي ولا تخشي شيئًا، لا تخشي ساعديَّ غزيري الشعر ولا تخشي شفتيَّ المتورمتين هما فقط كانتا في مهمة شاقة لإيذائهم جميعًا كل هؤلاء الحمقى الذين أغضبوكِ، كنت ألعنهم بالسباب من أجلك هيا اقتربي والفظي كل ما يأتيك من خلالهم واسمعيني، أنصتي لما قلت وما أقول سأهمس لك بسرٍّ حبيبتي:

- إن المنظومة الاجتماعية تتآمر ضد الفطرة فلا تتبعيهم أبدًا، لا تتخفين في زحامهم بل ودعي اختلافك يميزك دعي حريتك تبدأ من داخلك، فقط اتبعي فطرتك.

هيا اقتربي ولا تخبريهم وإن كان على شفتي سأعتني بهما من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

أجلك سأضع البلسم المرطب كل ليلة، اقتربي مني، اقتربي من تلك الحفرة التي سنقع فيها سويًا لقد حفرت سنوات وسنوات وأعددتها من أجلك حتى نتلاقى بغير ترتيب، أغمدي أنينك حبيبتي في صدر جراحي وابكِ، ابكِ لي، وابكِ معي، ومن أجلي، ابكِ من فرط تجلي جسدكِ فيَّ ومن فرط امتزاج رحيقينا ثم سبِّحي بابتهال عابد وبخشوع مُصلٍّ وبشوق عاشق سبحي بعدد نبضاتي المحمومة لا يخلُ تسبيحك من ترتيل أجوف لكلمات قدسية هي كلمات سافرة في الحقيقة تحمل كل معاني العشق ولا تعني شيئًا، هي كل الكلمات التي تعرفينها وربما هي الكلمات التي لم تمر عليكِ يومًا هي أيضًا كلمات نبيلة، لكن الأنبل منها فوضى جسدينا المتعانقين هناك فوق رفِّ الكتب الذي يحمل اسمك وسجائري وتمثالاً عاجيًا لراقصي تانجو يرقصان رقصة أخيرة تشبه تلك التي حملتنا وقذفت بنا إلى هوة عميقة في تلك الحفرة التي أعددتها من أجلنا لنذوب فيتلاشى الغضب مثل كل شيء آخر تلاشى فينا.

تبكين عاليا وتتذكرين ابتهالاتك من أجل أن يدلف داوود حياتك لقد حكيتِ له عنها في أول لقاء بينكما، همست له وهو بين ذراعيك:

- لقد ذهبت إلى السماء وطلبت منها حلمًا طازجًا فوق شفتيك فأعطتني رشفة من زفراتك الحارة،و ذهبت إلى الشمس واكترثت جيدًا لما تهمس عنك فحكت لي سرًا طالما اختبأ بين جفونك، وذهبت إلى البحر أسأله عنك فتقاذفتني أمواجه ككرة ماء، فذهبت إلى الله وتوسلت إليه أن يستجيب ويجعل عمري يجري بين يديك وعلى عتبات قربك تضرعت إليه لكنه أبى أن يستجيب لامرأة مثلي لقد أحبَّك الله داوود وجذبه حزن عينيك فاستجاب لك وجعلك نبيًا وما أنا بقديسة، لقد أحبك الله داوود حتى إنه فرق روحك شتاتًا ليتعذر على امرأة مثلي العثور عليك.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٣-

نوفمبر ٢٠٠٩

استيقظت مساءً بعد أن تركك راجح، وكالعادة لم تدركي كم مرَّ من الوقت وأنت نائمة، قمت بغسل وجهك وتأملتِه قليلًا في المرآة التي كانت تذكرك دائمًا أن جمالك يحتاج لمزيد من العناية، كان الماء يتدفق برفق بين يديك، تبتلعي القليل من معجون الأسنان ثم لا تلبثين أن تغمضي عينيكِ وتعدين وأنت واقفة فوق الميزان:

-واحد، اثنان، ثلاثة.

وبعد أن تفتحي عينيك تكتشفين أنه يجب فورًا التقليل من تلك السعرات الحرارية التي تتناولينها في «الشيكولاتة» و«القهوة» و«المياه الغازية» والتي سرعان ما تتحول لبعض من «كيلو جرامات» زائدة في وزنك، تتجهين للخروج، وتلقين نظرة على الساعة المعلقة بالطرقة المقابلة للحمام، تتعجبين كيف مرت ساعة كاملة؟ تهرولين إلى غرفتك حتى إنك من فرط السرعة تصطدمين بالإصيص الذهبي الحامل لتلك الوردات الثلاثة والموجود أمام غرفتك فيزعجك صوت الارتطام فتنتبهي لإشعال النور، فالمنزل يسبح في ليل دامس، لكن يبدو أنك اعتدتِ هذا الاصطدام المسائي، حتى إنك تمارسين الانزعاج كفعلٍ مكورٍ، بيد أيضًا أن ذبول الوردات الثلاثة في تلك اللوحة المعلقة فوق سريرك كان مرهونًا بذلك الاصطدام المتكرر، فأنت تتذكرين جيدًا أنَّك حين اشتريت تلك اللوحة كانت لثلاث وردات حمر مبهجات، ظل الشحوب يتسلى على لونهم إلى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أن انسحب منهم اللون تمامًا، فصارت اللوحة رمادية قاحلة كأنما رُسمت بالغبار، كان ذلك يومها الأخير حيث انتزعتِها فيه من فوق سريرك لتعلقي مكانها اللوحة الأخرى للفتيات الثلاثة التي جلبتِها معك من إسبانيا.

إن الليل طويلٌ، مدلهمٌّ، والسرير بارد دون وجود حبيب يفرش ذراعه وسادة لرأسك الصغير تفردين شعرك الأسود فوقه، ثم يمد ذراعه الأخرى ليحتضنك فتنامين قريرة العين، لا شيء في هذا الليل سوى قطع من الزجاج مختلطة ببعض الورود الأرامل التي مات أزواجهن في الإصيص الذهبي، انتشر كَسر الزجاج فوق سريرك عقب تهاوي تلك اللوحة التي كنت تعتقدين أنك غيرتِها فور عودتك من إسبانيا، تسمرت أمام قطع الزجاج وعينيك تذرف الدمع، فكرت للحظة أن تنهضي لتنظفي بقايا اللوحة المكسورة، وتزيلي القطع الزجاجية والورود الرمادية التي رسمها الفنان بعناية لا تليق أبدًا بها تلك النهاية القاسية فوق سريرسيدة وحيدة. وبمنتهى الظلم وفي منتهى الظلمة قررتِ أن تستلمي للنوم مرة أخرى دون أن تحملي بقايا الزجاج.

استيقظتِ لتجدي أن زجاجة العطر هي التي انكسرت، وتبعثرت قطع الزجاج تملأ المكان، فحاولتِ جمعها لكن انجرحتِ يدك، بل انجرح ذراعك، بل وجهك، بل قلبك، لا، إن ما انجرح حقًا هو عقلك الذي انطلق كالمجنون يسأل أسئلة كثيرة بلا إجابات، ولم يكف عن الأسئلة منذ ذلك اليوم.

- ماذا ستفعلين الآن؟

سأل راجح.

- راجح أنت تتكلم، أنا أسمع صوتك.

- هاتِ جروحك كي أخيط منها ما استطعت، ولا تبالي بصوتي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

- ولكنك تتحدث، إنَّ صوتَك آسرٌ حقًّا يا راجح، لم يختلف كثيرًا عما تخيلته.

- إن جراحك كثيرة عاليا، من أين أبدأ؟

قال راجح ذلك وبدأ يخيط لك جرحًا هناك أسفل الجهة اليسرى من صدرك، وفجأة بدأ ينزف هو من كل مكان بجسده، ما هذا؟ إن راجح ينزف دمًا معطرًا بنفس رائحة عطرك المنسكب عن آخره، يبدو أن دمك اختلط بدم راجح، لكن لماذا يسيل دمك رماديًّا، بالرغم من أنه يخرج من أوردة راجح أحمر داكنًا؟

تبحثين حولك في كل مكان عن راجح، تصرخين عليه عله يجدك ويفسر لك ما يحدث:

- راجح أين أنت يا راجح؟ أين أنت؟ هل ذهبت مع الذين ذهبوا؟

كبرتقالة وحيدة لم تنضج بعد فوق شجرة برتقال كبيرة نضجت كل ثمارها، تمددتِ فوق سريرك جثة هامدة والمحاليل معلقة حولك وتلك الإبرة المتصلة بوريدك توخزك من حين لآخر، تسقط دموع أمك الساخنة فوق يدك، تودين لو طمأنتِها أنك بخير لكنك لا تستطيعين الكلام، تتدثرين ببكائها، فأنت تشعرين بالبرودة حد الارتجاف بالرغم من درجة حرارتك التي تخطت الأربعين درجة مئوية والتي لم تمنعك من التذكر أيضًا، تلاحظين تغامز الممرضات وتعجبهن من هروب أوردتك، أيضًا يتعجب الطبيب من سبب الحمى وذلك الورم، كل ما يستطيعون وصفه أنك تعرضت لضغطٍ عصبيٍّ شديدٍ، أنت وحدك تعلمين ما أصابك، أنت وحدك تعلمين إنه لم يعد هناك سببٌ واحدٌ يدعوك للبقاء بينهم.

هزالٌ بالجسد، وشحوبٌ بالوجه، وآثارِ الحقن المتناثرة في كل أوردتك، رفَّةٌ مزمنةٌ بالعين اليسرى، ليس كلُّ ميراثك من داوود، بل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ألم ملأ جنباتك، أمَّا ما لا تفهمينه حقًّا المعنى خلف ما قالته لك الممرضة هامسة:

-إنه لشيء غريب بالفعل سيدتي، فلون المحلول يتغير من اللون الشفاف إلى اللون الرمادي فور توصيله بأوردتك.

لم ترضِ عن تلك النهاية، لذا قررتِ إعطاء الفرصة كاملة لبعض أبطالك كي يغيروا حياتهم ويكتبوا نهايات تليق بهم، فإن كان معظمهم قد رضخ للموت واعتبره نهاية محتومة إلا أنك مازلت ترين الموت نهاية مأساوية، فعلى الأقل ليعافر بعضهم متمسكًا بحقه في الحياة، ومعبرًا عن ذلك الوميض المتقطع من الضوء في ظل الحياة الحالكة السواد، هل تتذكرين إضاءة الدرج المظلم؟

وعلى ما سبق قررت كتابة نهاية أخرى، أخذت تحدقين بشخوصك، الذين وقعتِ بغرامهم وبدأتِ تكتبين:

كبر تقالة ناضجة عرفت طريقها لا لتؤكل أو تموت فوق الشجرة الأم، بل لتبدأ حياة أخرى وتغرس أساسًا لشجرة أخرى وليدة لها حياة جديدة يبدو أنك تلدين الآن عاليا، طفلك يصرخ آتيًا إلى الحياة فتتلقفه صوفيا من يد الطبيب فيسألها عن اسمه فتجيبه:

- أمير داوود النادي.

فيما تفيقين أنت للحظة وتقولين:

- بل أمير راجح نجيب، ثم تغطين في سبات.

* * *

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٤-

عاليا

حين تقرأين ما كتبته الآن ستعرفين أنني اتحدت بكِ حد الجنون، وصدقتك حد الإيمان، أما حين تقرأين ما رسمته في عينيكِ ستجدين نفسك في عوالم مستحيلة صنعتها من أجلك، صنعتها من العبث الحياتي اليومي حد الموت ومن الهرج حد الجد، ومن الكره حد الحب، ومن التفاهة حدالعمق ومن القصور حد الكمال، فصوري المرسومة تقذف بواقعك الفارغ إلى أقرب سلة مهملات، بينما تقذف بواقعي المرسوم بعناية إلى ما تحت مسام لحمك الطري لتستقبل من خيالي الوسيع كل ما بداخلي كمصل أدسه فيكِ، نعم سيؤلمك، لكنه سيحملك لتحلّي بي، لتغوصي بداخلي حد اكتشاف ما لا أدرك وجوده في نفسي من الأساس، ليس فقط بل سأرسم لك النفس الذي تتنفسينه، والماء الذي تشربينه بنهم وعنفٍ، تودين لو ابتلعك لا ابتلعته أنتِ، وحتى «الكولا» سأرسمها لتتقيئيها، سأرسم البياض ليبتلعك وتبتلعيه، وارسم السواد لتقذفي به خارج هويتك الشفافة، سأرسم لكِ الشمس لتصبح مصدرًا للدفء في حياتك، والقمر ليمسي مصدرًا للونس في روحك، فقط أغمضي عينيكِ واتركيني أرسم جمالك، فأنتِ جميلة حقًا، هل أخبروكِ بذلك؟

اعلمي أيضًا أنني حين أترك الرسم سيكون ذلك من أجل الهمس في أذنيك، فاسمعيني:

- أنا قريبة منكِ لكن ليس بالقدر الكاف، أعلم أن حدة صوتي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الآن تزعجك، لكن لن يزعجك حبيبتي أن أحلَّ فيكِ وتحلين فيَّ، فانتبهي إذن لقصائدي التي سأتركها تحت وسادتك كل ليلة، وانتبهي إلى زجاجات النبيذ الفارغة التي سأكسرها تحت نافذتك، انتبهي إلى صوتي كي تستطيعي تمييزه من بين ملايين الأصوات المختبئة في ثنايا أذنيك الرقيقتين اللتين لا تحتملان فظاظة صوتي الحاد، لكني أفعل كل هذا من أجلكِ، ومن أجلي، من أجلنا.

لا تخافي لن أرحل عنك، سأعاود الهمس لك كل حين متمنية أن تعي جيدًا ما أردتك أن تعيه، اسمعيني:

- النوارس بيضاء، ولكن في عالمنا؛ سنلونها كيفما نشاء، لن أدعكِ تهربين مني مرة أخرى لن أترك لكِ فرصة الاختيار الذي خذلني كثيرًا من أجلهم، أنتِ الآن مني ولي ولن تعودي يومًا إليهم، لا تخافي كعادتك من الألوان، ولا تخشي تغيير الأبيض هيا ننطلق معًا لنلون النوارس بكل الألوان ونجعلها تُطلق الضحكات.

هل تتذكرين ذلك اليوم الذي التقيت بك عاليا بعد سنوات الغياب حين رأيتك لأول مرة بعد كل هذه السنوات التي ضاعت من عمرك بينهم وليت أحدهم استطاع أن يكون واعيًا بالمزيج المختلط في كيمياء مشاعرك ليكون وفيًا لكِ أو حتى يستطيع التفاعل معكِ دون حدوث خسارة فادحة في روحك لكن أحدًا لم يفعل، يومها وجدتكِ مستلقية في سلام فوق سريرك، أطفأتِ الأباجورة التي تسلط نورها القبيح لسنوات على جرحك وأضأتِ بعض الشموع الصغيرة التي سرعان ماكانت تذوب فتعود الحجرة الممتلئة بطلاسمك من جديد لظلمتها المعتادة ومع ذوبان أول شمعة كانت تذوِّب معها بقايا الحنين الذي تجمد في صدرك لسنوات وصنع كرة من الجليد شديدة البرودة كلما قذفت بها خارج حدود روحك عادت لتستقر من جديد آمنة غير

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عابثة بالضرب المبرح الذي كانت تتلقاه يوميًا على يد العقل فالقلب قد تعود على ربط جرحه بشاش السكون المهترئ، أما العقل ففجيعته فيهم كانت أكبر من حجم ارتطام مدوٍّ حدث بفعل شعاع الضوء الذي دخل مع آشعة الشمس حين تعرضتِ للنهار مرة عن غير قصد.

أحضرت لك الطبيب بأقصى سرعة فقد كان لابد لي من إنقاذك قبل أن ينفصل آخر خيط في آخر قطعة شاش تضمد جرح قلبك عن النسيج الواصل أناملك بالحياة، وجاء الطبيب وعرَّى الكثير ليواصل الكشف ليستطيع تشخيص حالتك ثم سكت قليلًا قبل أن يقول:

- لابد من استئصال الورم وملء الفراغ بحبل من الغسيل عليه العديد من الغيارات الداخلية من الماركات الفاخرة.

تنحيتِ جانبًا ولم تواصلي سماع ما يقول الطبيب في حين كنت أحمل أنا إحدى الشموع بيدي وأنصت له، فيما استرسل في قوله موجهًا كلامه لي:

- يجب أن تقف كل ليلة بالشرفة الضيقة لتجفف جسدها من لعاب الكلاب الضالة.

وهمست لنفسي:

- يبدو أن هذا الطبيب لا يستطيع استيعاب أن الهواء بالشرفة الضيقة بالكاد يكفي لتنفس سيدة تعاني من ورم يسحب كل الهواء لينتفخ ويتمدد وينتشر في جسدها ولا سبيل لاستئصاله لأنه أصبح مختلطًا بكيمياء دمها فمن أين لها بهذا الكم من الهواء الذي يُبقي لها حياتها؟ من أين لها أن تتنفس؟

- الزيارات النهارية ممنوعة ويجب الإطاحة بهمجية أيِّ زائرٍ نهاريٍّ.

هكذا واصل الطبيب حديثه الذي لم أسمع قدرًا كبيرًا منه فيما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

استسلمتِ أنتِ للنوم.

كنت أراك هناك بطريقة أسهل بكثير من تلك التي نلتقي بها وأنت متيقظة، كان النوم يسهل لنا حرية اللقاء، ودَّعتُ الطبيب ووعدته بتنفيذ نصائحه التي لا أتذكر أي منها، ولحقت بك سريعًا، كانت تلك المرآة الكبيرة التي نلتقي بجوارها لاتزال قائمة مستندة بطرفها العلوي إلى حائط قديم متآكلاً بفعل الرطوبة أما طرفها السفلي فكان مستندًا إلى أرضية تبللها المياه والسواد القاتم لا يتخلله سوى بعض الضباب الذي يضيء المكان إضاءة خافتة تجعلني بالكاد أراكِ، تديرين ظهرك للمرآة وأقف قبالتك وما أتوقعه ويتوقعه أي شخص في مكاني أن يرى انعكاسًا في المرآة لجسد سيدة جميلة، لكن ما كانت تعكسه المرآة فعليًا هو الكثير من الكفوف التي تغطي لحمك الأبيض الطري الصافي في تزاحمٍ غريبٍ ومشهدٍ عجيبٍ نادرٍ هو الأول من نوعه في مخيلتك وأمام بصري أنا، إنه مشهد لم يأتكِ يومًا في أحلامك العابرة، وحتمًا لم أره أنا أيضًا عبر شاشات السينما لكنه أمامي الآن، مشهدًا حيًا واقعًا قبالة عيني، فأصرخ:

- ما بكِ عاليا؟ من أين لكِ بكل هذه الكفوف؟ ماذا تفعل فوق جسدك؟

تصمتين وعيناك حجران ثابتان بشكل أصمَّ.. أعاود الصراخ:

- من أين لكِ بالقدرة على احتمال كل هذه الكفوف فوق ظهرك؟ إنها كخلية نحل انفتحت لتوها وجعلت من بشرتكِ الصقيعية الرطبة -في خضم كل هذه الرطوبة التي تعيشين فيها وتعيش فيكِ- وجبة تلتهمها، أجيبيني، لا تصمتي هكذا، أرجوك.

لكنك لا تنطقين، ولا تتحركين وإذ بكِ فجأة ملقاة على الأرض جثة بلا حراك ومهما وصفت لك ماذا فعل بي منظر كهذا فلن أوفيَ نفسي حقها فجرعات الألم الذي سببته لها بقلقي عليكِ لم يكن ليوصف،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخذت أجرجر جسدك الهامد ما استطعت ودخلت بك إلى حوض الاستحمام وبدأت المياه في التدفق وبدأت تفيقين محاولةً إزاحة ما علق بجسدك من مواد غريبة التصقت بلحمك حد الاتحاد به، أخذ الماء ينساب فوق شعرك ويتداخل بخصلاته فتتمايلين كطفلة استيقظت للتو من نومها تتمطع وتتثاءب، ثم ينهمر فوق لحم رأسك فيصطدم بجسم هلامي صغير لم يكف للحظة عن الثرثرة، يبدأ أولًا بالهمس في أذنيكِ وما أن تطمئني له ولا تلبثين أن تنتشي بكلماته حتى يجرَّك إلى حوار طويل يتسلل بين ثنايا جلدك ويخترق كيانك فيجردك مما تبقى لك من أسلحة لمقاومته، ثم يقوم بجَلدك على مرأى ومسمع من قلبك الضعيف الذي يستسلم له ثم يحقن أوردتك بكل ما يحمل من إبر فتنهارين بفعل الوخز اللانهائي، فيظل يصرخ فوق جرحك ولا يكف عن الصراخ حتى تتحدين بشلالات الماء المتدفقة فوقك في محاولة للانفلات من بين ضروسه فتتلاشي بين كفَّي الماء وتصبحين مجرد نقطة في دوامته التي لا تنتهي، تدورين معه في دورته الكاملة نحو اللاشيء، بعدها تقفين ملتقطة قطرات الماء متعمدة إدخالها في فتحتي أذنيكِ فتبوء محاولتك بالفشل ويتساقط الماء على كتفيك لكنك لا تيأسين فتبدأين من جديد في تجميع قطراته مرة أخرى لسد كل المسام المفتوحة بجسدك، ومشاعرك، بعلاقتك بهم، بكل ما يصلك بغلاف الهواء الخارجي، وكل ما يساعدك ويساعد الأحياء مثلك على التنفس؛ بعدها ترخين جسدك وتغلقين عينيكِ تحت الماء وتغطين في سبات عميق.

لا أدري كم مر من الوقت حتى استيقظتِ وشعرتِ بوجودي لكن وقت رأيتني ضممتِني بقوة إلى صدرك وقلت لي بنبرة هزيلة:

- عرفتك من رائحة جسدك وسط كل هؤلاء الذين تجاذبونني لعناقهم أنتِ فقط التي أعرفها لكن هم فلا أعرف أيًا منهم بالرغم من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنني قد رأيتهم من قبل فهؤلاء هم الذين كانوا يطلون علي من سقف حجرتي الذي لم يكن موجودًا يومًا كانت عيونهم تخترق جسدي الممدد بلا حياة وكان يخترق أذني ضجيجهم لم أكن لأستطيع النوم رغم تغيير سريري عدة مرات لكن البرودة لم تكن صفة متغيرة بتغير الأسرَّة، بل كانت صفة دائمة في أي مكان أنام فيه إنهم مزعجون حقًا أما أنت فلا.. أنت لست منهم بل منِّي أنا أفهم ذلك جيدًا.

تنهين كلماتك بابتسامة ودودة دافئة وأبتسم أنا ابتسامة مشدوهة حزينة ثم أهمس لك.

- الطريق مليء بالعثرات عاليا، كثيرة هي الأحجار الصغيرة ومتناثرة بطول حياتك لكنكِ لا تخشين التعثر بها قدر خشيتك الانزلاق في الماء الآسن، لا تخشين الشوارع غير المرصوفة ولا الطرقات التي رصفت ثم حفروها مرة أخرى لتركيب خطوط التليفونات، بل هذه المرة خطوط أنابيب الغاز، لا تخشين الكهرباء المقطوعة ولا غياب النور في المشاهد الأساسية لسيناريو عمرك، أنتِ فقط تخشين الحُفر تلك التي تختبئ ولا ترينها إلا من موقعك بالأسفل وأنتِ واقعة فيها، لا تخشين أكوام القمامة ولا الذباب والبعوض حتى الجراد الذي يهجم على بلادك لا تخشينه، لكنك تخشين ذلك القط البائس الذي يأكل من أكوام القمامة، لا تخشين الرجل الجائع الواقف بجانب القط يشاركه الأكل من القمامة ولا تلك السيدة التي سرقتك بل تخشين رائحة نتنة تصدر من أفواههم لا تنفرك بل تخيفك، لا تخشين البندقية بل تخشين رجلًا يرتدي رداءً أسود بأزرار نحاسية يحملها، لا تخشين الجنس ولكنك تخشين حبيب أراد تجربته معك، فمات.

حين استيقظتِ كان كل شيءٍ هادئًا أويبدو هكذا، ولكن، ما الذي بداخلك؟ ما الذي احتفظتِ به من الماضي لتستردِيه الآن؟ أنتِ بالفعل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في حاجة لكل شخص وكل شيء قد كان فربما تستعيدين بتلك التفاصيل المبعثرة داخل كيانك جزءًا من واقعك الهارب، أسمع تأوهاتك وأنصت لكِ ربما تحتاجين شيئًا أسمعك تهمسين بأنينٍ أشبه بنحيب:

- آه.. جسدي يؤلمني.. آه.

أقترب منك وأسألك ماذا بكِ؟ بم تشعرين؟

تنظرين في عينيَّ بثبات رغم ألمك وتهمسين بصوتٍ متألم:

- أشعر كأن سيارة للنقل الثقيل مرَّت فوقي وأنا نائمة ولكن هل كان هذا حلمًا؟ لم أشعر بحقيقته؟ إن جسدي يؤلمني فعليًا وبشدة وكأن الآلام تكاثرت عليه وتدافعت نحوه، أشعر بالألم في كل قطعة منه.

لا أندهش مما تقولين وأجيبك مبتسمة:

- لا تقلقي.. سيكون كل شيء على ما يرام.

تسترسلين أنتِ في حديثك شاردة تفكرين:

- ولكن هل من الممكن أن تدهسني سيارة بهذا الحجم والوزن وأخرج من تحتها سالمة وأظل على قيد الحياة؟ فقط أعاني بعض الآلام الجسدية؟ إنني أعاني ارتباكًا جسديًا بل إنه ارتباكٌ نفسيٌّ يفوق كل ألمي الجسماني.

أراك تتألمين ولا أستطيع أن أنبس ببنت شفة، أراك تعصرين ذاكرتك ربما آتاك شيءٌ من الماضي البعيد أو ليكن القريب، حتى اللحظة الزمنية لا تستطيعين تحديدها، ربما يفيدك لو تناولت قليلًا من الطعام، وقفت استعدادًا للتوجه نحو المطبخ وفي حين أعطيتك ظهري وهممت بالانصراف، أوقفتِني متسائلة عن وجهتي:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟ هل ستتركيني؟

وأجبتك دون أن أنظر في عينيكِ:

- لا لن أتركك أبدًا.. ألا تعلمين؟ إنني لا أصدق أني وجدتك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فكيف إذن أتركك؟ فقط سأقوم بإعداد بعض الطعام من أجلك.

تبتسمين ابتسامة مرهقة وتقولين:

- لكني لست جائعة بقدر ظمأي.. خذيني معكِ إلى الثلاجة كي أشرب، أريد أن أتحرك من هذا السرير

وأجبتك بسرعة مُرحِّبة:

- بالطبع؛ تعالي معي.. هيا.

وقفتِ أمام الثلاجة تقرأين للحظات تلك الوريقات المعلقة عليها والتي كتبتِها يومًا بخط يدك، قائمة بما أحتاج هذا الأسبوع:

١- علبة كبيرة من عصير الجوافة.

٢- بعض أعواد القرفة.

٣- كيس من البازلاء الخضراء.

٤- استكمال كتابة الفصل الأخير من روايتي.

٥- رسالة دافئة من داوود.

٦- مساحة ولو ضئيلة من وقت طفولتي التي كانت بلا هموم.

تبتسمين ابتسامة صافية، فأنتِ أمام ورقة تنضح بالحياة ثم تقومين بفتح الثلاجة وتنتزعين زجاجة المياه من بين أكوام الطعام الملقاة بلا ترتيب تتناولين المياه بلهفة كأنك لم تشربي لسنوات وما أن تبتلعي أول قطرة حتى تتقيئيها بعنف وتنظرين للزجاجة في تعجب واشمئزاز يبدوعلى ملامحك علامات الامتعاض والاستياء الشديدين، إن ما شربتِه لم يكن ماءً بكل تأكيد إنه سائلٌ ذو رائحةٌ نفاذةٌ تكاد تسد أنفك وله طعمٌ أشبه بطعم الدم.

تستديرين وتنظرين إليَّ متسائلة:

- ما هذا؟ قولي لي شيئًا؟ اشرحي لي؟ هل كنت أرتوي بالدم من قبل؟ هل كان هذا شرابي المفضل؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تصمتين برهة وأنت تتلفتين حولك في ذهول ثم تنتزعين الوريقة المعلقة على باب الثلاجة والتي قرأتِها منذ دقائق وتضعينها أمامي وتصرخين عليَّ:

- ها هي طلباتي قبل ذلك اليوم.. ها أنا أطلب علبة من عصير الجوافة لم أطلب علبة من عصير الدم أليس كذلك؟ انطقي.. أريد أن أعرف ماذا حدث لي؟ أوما الذي بالفعل يحدث؟

تلقين الزجاجة بغضب ممتزج بعنف شديد وتصرخين بكل قوتك ثم تستسلمين لنوبة بكاء هيستيرية حتى تسقطي على الأرض مغشيًا عليكِ وسط الدم والزجاج.

لا أعرف لمتى سأظل صامتة وأنا أراكِ تتعذبين أمامي؟ لا أعرف متى سأتدخل لأساعدك في فهم ما أردتِ فهمه؟ لقد آن الأوان لأحرر روحك من ضلالاتها لتعودين صافية، ألم تحِن هذه اللحظة بعد؟ بل حانت وآن أوان أن أتركك كي تعيشي بدوني، بدون خيالات غريبة ولا أوهام ولا ذكريات تجترينها لابد وأن تعيشي حاضرك فقط ولا شيء سيجعلك تفعلين سوى أن أرحل عنك.

يومًا ما، ستدركين أنه لم يعرفك أحد، لم يحبك أحد، وأنك لم تقابلي أحدًا، وأن أحدًا لم يقابلك من الأساس، يومًا ما، وفي لحظة ستدركين أنك لم تذهبي للعمل صباحًا، ولم تتأخري أبدًا، ستكتشفين أنك لم تكتبي تلك القصة ولم تسهري تلك الليلة وأنَّ القمر وهمٌ في مخيلتك وأنك فقط نمت طويلًا، وأن كل ما مرَّ بك لم يتعد كونه حلمًا وأنك وحيدة ـ فلا أحد ـ تلك هي الحقيقة التي أخافتك دائما فتجاهلتِها حتى قضت عليك.

هل تعرفين ما الذي يتراكم بداخلك؟ ما الذي يترك فيك ندباته؟ ليست أفعالهم معك فهم غير موجودين بالأصل إن ما يؤلمك حقًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ويغرس أسنانه في لحمك الطري تلك الدقات الصادرة من ساعة غرفتك وتلك الوريقات التي تمزقينها كل يوم من نتيجتك المكتبية وتلك الشموع التي تحرقينها كل عام مع صوت ضحكهم المبتذل، يومًا ما ستعرفين أن ما فعلتِه هو أنك راقبتِ ظهوره، وتساءلتِ أسئلة كثيرة دون الحصول على إجابات، ثم انتظرت اختفاءه، وراقبت ذلك كله، نعم؛ راقبتِه بمنتهى الإخلاص.

- عاليا

همست لأول مرة باسمك في أذنيك بعد أن كان صوتي مدويًا في كل أنحاء جسدك.

- هممممم.

- سأريحك.. سأجيب عن كل أسئلتك الآن لتعودي كما كنت صافية.

- أسئلتي؟ لا أسئلة لدي فقط سؤال واحد.. من أنا؟

- أنت أجمل عاليا في الوجود؛ كل ما مررت به أومرَّ بك كان مرورًا عابرًا لم ينقص من روحك شيئًا لم يترك فيها ولو خدشًا رقيقًا، ظلت روحك كما هي محتفظة بنقائها، بعذوبتها برغم كل شيء.

- ومن أنت؟

- أنا حكاية بعيدة تعود لأزمتك مع داوود، أنا صوت الوعي بداخلك، الذي تبدَّل وتغيَّر مئات المرات فخلق منك عاليا جديدة مع كل خبرة اكتسبتِها من الدنيا، حين هربتِ منهم جميعًا لم تجدي سوى نفسك فاصطدمت بها وبدأت في التعرف إليها من جديد لذا اخترعتِني لأصادقك وأحميك منهم، لأعرِّفك إلى نفسك، ذكرياتك، أحلامك، هواجسك وهمومك، ربما كتبتِني أوعشتِني لكن الأكيد أننا اندمجنا حد التطابق.

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

-٥-

ديسمبر ٢٠١٣

إن تلك الشجرة العتيقة التي يطل عليها منزلي ترفرف بأوراقها على شباك الصالة، وذلك القط الشيرازي ذو الفراء البيج يجلس في وداعة لينظف جسمه بلسانه، أما أمير طفلي ذو الأربع السنوات يلاعبه يعقوب في صالة المنزل، حيث يحاولان الإمساك بخيط من الغبار صنعه ضوء الشمس الذي لم يعد يهابه يعقوب، وهناك لوحة مقلدة للعشاء الأخير لـ«ليوناردو داڤنشي» وبجانبها لوحات كثيرة اقتنيتها عامًا بعد عام من مزادات الشوارع الجانبية لمتحف «إل برادو» وعلى الجانب المقابل من الحائط صورة لثلاثة فرسان يمتطون جَوَادِيهِم وكل منهم يرتدي زيًا يدل على هويته، بيد أنها صورة رمزية للأنبياء موسى وعيسى ومحمد ينظرون لبعضهم البعض في انسجام، ويوجد أسفل الصورة طاولة صغيرة عليها آلة تأخذ شكل نجمة داوود مرقمة ببعض الأرقام، وأنا أجلس في أحد الأركان على كنبة من الجلد الأحمر الداكن أشغل شالًا، وتجلس صفية على أحد الكرسيين الهزازين بالسمر المؤدي إلى غرفة نومي تطعم بعض الأسماك في حوض صغير يتوسط الكرسيين، ويترك يعقوب اللعب مع أمير ليقاطع تتابع أفكاري قائلًا:

- تطل الأشياء والأشخاص والعلاقات في حياتنا بوجه طفل مولود، وبمظهر قمر، إنه سحر البدايات، لكن هل يظل الطفل صغيرًا؟ وهل يظل القمر بدرًا؟

- الحياة أقصر من أن نفكر فيها، يراودني دائمًا إنني أعتلي قمة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جبل تمتد جذوره في عمق المحيط وتناطح ذروته آخر سماء، والكون يرقد تحتي مساحة زرقاء شاسعة، محيطًا ضخمًا هائلًا، ومن موقعي أرى كل البشر، كفقاعات مياه تظهر وتختفي في تتابع أحمق، بفارق توقيت بسيط بين ظهورها واختفائها، وأنا أتابع المشهد ضاحكة، وضاربة كفًا بكفٍ.

- إن الحياة لا تمهلنا لمعرفة أجوبة أسئلتنا عنها، لذلك يجب أن نواجهها بازدرائها، بألّا نفكر فيها، بل علينا فقط أن نستمتع بها.

- لابد أن يكبر الطفل، يظل يكبر إلى أن يختفي، ولابد أن ينفلق القمر شطرين ليتبقى نصفه، النصف فقط، ذلك الذي يختفي أيضًا تدريجيًا، تتداعى في رأسي أسئلة كثيرة أهمها:

- لِمَ يكون النمو دائمًا مرهونًا بالألم؟

- كيف نحافظ على أنفسنا برغم الزحام؟

- لا مفر من الزحام، من تلك الكثرة المقترنة بالنمو، إذن لا مفر من الألم.

- لا مفر من الألم.

- ما الذي يسري فيك حين تسمع معزوفة اعتدت أن تسمعها مع أحدهم -ذلك الأحدهم- الغائب الآن؟ ما الذي تفعله بك رائحة عطر كنت قد اعتدت أن تشمها في مرحلة من عمرك؟

- إنه أثر الزمن، هل تعرفين عاليا؟ أنا لا أحب مطلقًا إطالة التأمل في ملامحي في المرآة ولا أفعل أيضًا أمام الساعة ولا ورق النتيجة، هؤلاء الثلاثة يجعلونني أتساءل: ما قيمة أي ما نصل إليه؟ ما قيمة ما نملك -إن كنا حقًا نملك-؟ فكيف لنا أن نملك ما لانستطيع أن نضمنه لثانية واحدة؟

- وأنا مثلك تمامًا «چاكوب»، ولكني على النقيض من هذا أحب أن أطيل النظر إلى وجوه المواليد حديثًا، وإلى وجوه الكهول هؤلاء

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الذين عاشوا كثيرًا وأتأمل أثر الزمن في خطوط التجاعيد التي تملأ وجوههم، فتسري رعشة ببدني من هول ما يفعله بنا.

- كيف خانكِ داوود؟ احكِ لي.

- ألم تنس ذلك السؤال بعد؟ قلت لك.. لقد قتلته وانتقمت لنفسي من خيانته، أتدري؟ لقد وضعت له السم في الزبد.

- ألم تقولي من قبل أنك وضعت له السم في حساء الـ«سي فود».

- بلى تذكرت في حساء الـ"سي فود» فعلًا.

- عاليا إن الطبيب وضَّح لنا حالتك فور شفائك وقال إن حكاية قتلك لداوود هذه قصة اخترعتِها في خيالك مع صديقتك الوهمية تلك التي كانت تشاركك كل صغيرة وكبيرة في حياتك وقال أيضًا إنكِ اخترعت تلك القصة فور صدمتك في موت داوود فلنبتعد حبيبتي عن قصة قتلك له هذه ولتحكي لي كيف خانك؟

ابتسمتِ ثم رددتِ:

- لقد خانني داوود، ولكن فيم تهم تفاصيل خيانته إن كان كل الرجال خائنين؟

أليس الكذب بخيانة؟ أليس الهجر خيانة؟ إن من يترك حبيبته لينام على صدر غيرها لليلة واحدة هو خائن فما بالك بمن يتركها وينام فوق صدر الموت دائمًا وأبدًا.

- ماذا؟ أتريدين أن تقولي إن خيانة داوود التي تتحدثين عنها هي موته؟

- أوليس الموت هو الخذلان الأكبر؟ وهل هناك خيانة أعظم من الترك، الهجر، الفقد نهائيًا وأبدًا؟

- إذن مات داوود، فقررت أن تقتليه في خيالك بعد أن اخترعتِ قصة وهمية عن خيانته وصدقتِ أنك قاتلة ترتوين بدم ضحاياكِ ثم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أصبح خوفك من السجن كخوف أي مجرم هارب من العدالة لذا كانت تطاردك دائمًا صورتك وأنتِ مسجونة تحلمين بالجدران العالية وقتامة الزنازين وتلك الأرقام التي يرتديها المساجين، يالها من قصة عجيبة.

- لقد شُفيتُ هذا ما قاله الطبيب.

- بالتأكيد شُفيتِ عاليا من المرض، ولكن هل شفيت من الحب؟

- هل شفيت أنت منه؟ هل منه شفاء بالأساس؟ لقد قتلت داوود وكم كان مريحًا ذلك الفعل.

- بل قتلك غيابه، يالك من مسكينة.

- الحب هو ما بحثت عنه دائمًا ونفسي هي ما تبقت لي خلف كل قصة حب.

ثم أردفتِ:

- وماذا عنك أنت؟ لماذا لم يدق قلبك لصفية رغم أنك تعلم كم تحبك هي؟

- صوفيا.. إنها حبيبتي بالفعل، فقط لو كانت صوفيا أعطت لنفسها ولي الفرصة منذ أول لقاء بيننا ربما كانت وفرت على تلك التجربة المؤلمة، لكن صوفيا كانت دائمة الخوف من الحياة فجرأتها البادية ظاهريًا ما هي إلا ثوب تتخفى خلفه من خوفها المرضي من خوض أية تجربة حقيقية، صوفيا يمكنها أن تشرب وترقص وتصاحب وقد تحب أيضًا لكنها أبدًا لن تخوض تجربة كاملة، صوفيا تشجعك على خوض التجارب لكنها أبدًا لا تمد إحدى رجليها لتحظى بشرف الفشل أوالنجاح.

- إن كلامك صحيح بالفعل فحتى تلك النبوءة التي أخبرتني بها جدتي كان من المفترض أن تكون صوفيا صاحبتها لكنها تراجعت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ساحر الكتب

في آخر لحظة كعادتها دائمًا ووقتها كان قد ملأني أنا الشغف لخوض التجربة بكل ما فيها.

– لنستعيد كلامنا عن داوود.

– ماذا تريد أن تعرف عن داوود؟ لقد أخبرتك بكل شيء.

– ليس كل شيء عاليا، هناك سر يطل من خلف عيونك الصافية.

– إذن أنت تريد أن تعرف ما السر؟ وأنا أيضًا أريد أن أحكي سري هذا الجاثم فوق روحي.. سأخبرك.

– بعد وفاة داوود الطبيعية بالتأكيد، وبعد عودتي من إسبانيا بثلاثة أشهر تقريبًا اكتشفت أن جنينًا يتحرك بأحشائي وبالرغم من اقتراب راجح مني جسديًا في تلك الفترة إلا أنه لم يشك للحظة أن هذا الطفل ابنه، ساعدني راجح في أيام الحمل الصعبة وكان يقنعني يوميًا بالعودة إلى إسبانيا للعلاج النفسي فور ولادتي حتى أشفى وأستقبل ابني بغير ضلالات ولا أمراض لقد كان يحدثني عن الطفل بحماس عجيب لكنه غير غريب على شخص مثل راجح فماعهدته إلا جميلًا، طيبًا، محبًا للخير، كان يشرح لي كيف سيهتم به عندما يأتي ويفيض ويسهب في تفاصيل اعتنائه به كأنه ابنه تمامًا، وبالفعل أنجبت طفلي الذي كان جميلًا مثل أبيه ولكن أخبرني الطبيب عن حكاية قلبه المثقوب والذي جعله محكومًا عليه بالموت قبل أن يحيا ثانية واحدة وبالطبع عرف راجح حكاية ابني وبدأنا نقترح حلولًا مثل أن نشتري له قلبًا صناعيًا، ففاجأنا الطبيب بأن القلب الذي سينقذ ابني من الموت لابد أن تكون له مواصفات خاصة أولها أن يكون قلبًا طبيعيًا وأن يكون لأحد الأشخاص المرتبطين بالابن بعلاقة روحية قوية كأمه أوأبيه وهنا خطرت لي فكرة أن أقتل نفسي إنقاذًا لابني ولكن راجح كان له رأي آخر.

طلب مني راجح في أحد الأيام أن اتصل بالطبيب معتز لأعرف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

موعد عودته إلى مصر هذا العام وكان معتز البنا صديقًا مقربًا لداوود النادي وهو الذي ساعدني في تنفيذ وصيته في التبرع بأعضاء جسده بعد موته وكان معتز بارعًا في ذلك النوع من عمليات نقل الأعضاء ولأنه مصري الجنسية يعيش بإسبانيا فقد كان يأتي إلى مصر كل عام لمدة شهر يقوم فيه ببعض العمليات المستعصية ثم يسافر مرة أخرى.

لم أكن على دراية بالذي يدور برأس راجح ولكني فعلت ما طُلب مني بالضبط وعرفت من معتز أنه سيأتي لمصر في شهر فبراير وطلب مني راجح في هذا الشهر أن أُعدَّ عشاءً كالذي أعددته لداوود قبل رحيله وقام بمساعدتي في تجهيز المائدة كعادته معي خلال العام المنصرم الذي كان يعد لي فيه كل وجباتي بيده، وقام بصب حساء الـ«سي فود» لنفسه، وكان حديثه كله أثناء العشاء عن تلك النبوءة التي أخبرتنا بها الآلة عند جدتي وكيف أنه «راجح» هو نفسه داوود وأنه وداوود بالأصل كانا مجرد روح واحدة قد حلَّت برجلين، ثم أخبرني عن كيف ستكون العلاقة الرّوحية بينه وبين ابن داوود لأنه جزء من روح أبيه ولم أفهم كلماته إلا حين فتحت الورقة التي أعطاها لي وطلب مني ألا أفتحها إلا حين أتأكد يومًا أنني لن أراه مرة أخرى ولم أنتظر لأنني تأكدت أنه قد فعل شيئًا بنفسه، فقد كان من السهل أن استشف ما سيفعله راجح وإن كان هناك شيئًا غريبٌ أم لا، فكم كان رجلًا بسيطًا، عذبًا، واضحًا، بالفعل فتحت الورقة لتقطع شكي باليقين، إن راجح قد وضع لنفسه السم بحساء الـ«سي فود» وأوصى في هذه الورقة التي اعترف فيها بانتحاره بالتبرع بقلبه للطفل أمير داوود النادي وهنا صرخت عليه:

- لم فعلت هذا يا راجح؟ لم؟

وقتها شعرت أن أبسط حقوقه في تلك اللحظة أن يعرف ما أخفيته

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عنه منذ علمت بحملي، حيث إن داوود لم يلمسني قط بالطريقة التي تجعلني أنجب منه رغم قوة علاقتنا والمرة الوحيدة التي فعلت فيها هذا كانت مع راجح في أعلى ذلك المنزل في برج الحمام القابع فوق السطح، حين فقت من بعدها لأجد نجمة داوود برقبتي ولم أعرف لم أخفيت عن راجح حقيقة أبوته لأمير؟ ربما لأنني تمنيت الإنجاب من داوود وليس من راجح وربما لأنني خشيت توريط نفسي في الزواج من راجح والوقوع في مشاكل مع مجتمعي بسبب اختلاف ديانتنا.

– كم أنا إمرأة أنانية. همست لنفسي في حين كان يشير راجح إشارات مرهقة بطيئة:

– إذن أمير ليس أمير داوود النادي بل أمير ... وقاطعته:

– أمير راجح نجيب، بل أمير رافائيل موصيري، أمير ابنك أنت ديڤيد.

– أمير ديڤيد رافائيل موصيري، أشار بها، وابتسم ابتسامة رائقة بطعم السلام الذي كان يسكبه فيمن يقترب منه حيًا وميتًا، وراح في سبات أبدي.

طفرت منكِ دمعة بعد أن انتهيت من حكايتك في حين لاحظت اقتراب أمير من الآلة الموضوعة على الطاولة الصغيرة وحينها مسحت دموعك بسرعة ونهرتِه للابتعاد عنها فأشار لكِ:

– أريد اللعب بهذه اللعبة. فأشرتِ له أنتِ فقد أصبحت تتقنين لغة الإشارة ببراعة فائقة:

– ليست لعبة إنها آلة والآلة بكل تأكيد تختلف عن اللعبة.

* * *

«تمت»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نجمة داوود

الواقع يفرض علينا أشياء لا يمكن تصديقها .. روح طيبة من قديم الأزل تسكن في فتاة طيبة فتحاول تغيير مسار حياتها عدة مرات الى الأفضل ، لكن الحياة ليست بتلك البساطة ، تبدد الذكريات دفء الحنين ، وتعصف الأفكار والشكوك بلحظات السعادة المؤقتة ، وتبقى البطلة رهينة القلق والوهم وغشاوة الذاكرة .. هل يمكن أن نكتشف حقيقة عن أنفسنا لم ندرك حدوثها من قبل ؟ كيف نتعامل مع الحب الذي يظهر فجأة كلما حاولنا الابتعاد ويختفي فجأة كلما قربنا الاقتراب ؟ ما الذي يحدث إذا لم تتحقق النبوءات التي طالما آمنا بها ؟ ثم ماذا سيحدث بعد استنفاد كل محاولات البقاء ؟

في رواية حالمة، رائقة وكتابة مفعمة بالحنين والعاطفة .. تطل علينا الكاتبة نرمين يوسف بتفاصيل ممتلئة بالألم والشوق والشجن وبملامح لشخصيات تكاد تكون حقيقية .

نرمين يوسف

كاتبة مصرية، تخرجت في كلية الآداب ، نُشر لها العديد من الكتابات الأدبية، والقصص القصيرة في عدة صحف ومجلات منها "الأهرام المسائي" و"روز اليوسف" و "التحرير" وجريدة "روز" الصادرة في الامارات، وتُعد نجمة داوود هي أحدث انتاجها الأدبي.

تصميم الغلاف كريم آدم

دون